الرسالة إلى مؤمني

رومية

هذه الرسالة هي كاتدرائية الإيمان المسيحي.

فردريك جودي *Frederic Godet*

١. المكانة الفريدة بين الأسفار القانونيّة

طالما تقدّمت الرسالة إلى أهل رومية، بالحقّ، رسائل الرسول بولس في كل حين. وبما أن سفر أعمال الرسل ينتهي بوصول الرسـول بولس إلى مدينة رومية، يصبح من المنطقيّ أن يبتدئ قسم رسائل العهد الجديد برسالة ذلك الرسول إلى أهل رومية، والتي كُتبت قبل قيامه بزيارة المؤمنين هناك. وعلى نحو حاسم، فالرسالة إلى المؤمنين في رومية هي أهم بحث لاهوتيّ في مجمل مجلّد العهد الجديد، لكونها أقرب ما يكون إلى عرضٍ منظّم للاّهوت المسيحي في كلمة الله.

تاريخيًّا، الرسالة إلى أهل رومية هي السفر الأكثر تأثيرًا بين جميع أسفار الكتاب المقدس. فقد رجع أوغسطينوس إلى الله من خلال قراءته لرومية ١٣: ١٣، ١٤ (في سنة ٣٨٠ ب م)؛ وقد انطلق الإصلاح البروتستانتي بعدما فهم مارتن لوثر *Martin Luther* معنى برّ الله، وبأن «البار فبالإيمان يحيا» (وذلك في سنة ١٥١٧). وقد تيقّن جون وسلي *John Wesley* بخلاصه بعدما سمع مقدّمة لوثر لشـرحه الرسالة إلى أهل رومية عندما قُرئت في مبنى كنيسة المورافيّين على شارع ألدرزجايت *Aldersgate* في مدينة لندن سنة ١٧٣٨. وكتب جون كالفن *John Calvin*: "عندما يفهم الإنسان هذه الرسالة ينفتح أمامه السبيل لتفهُّم الأسفار المقدسة كلها".

٢ـ الكاتب

المهرطقون وحتى النّقاد الأشـدّ سـلبيّة قد قبلوا، لمرّة، الرأي التقليدي المقبول عامة بين المسـيحيين؛ أنّ مؤلّف رسـالة رومية هو رسـول الأمم. وقد كان الهرطوقي ماركيون *Marcion* أول كاتب معـروف ذكر بالتحديد أن بولس هو كاتب الرسالة. وقد اقتبس من تلك الرسالة مسيحيون مستقيمون مثل أكليمندُس الروماني وأغناطيوس ويوستينوس الشهيد وبوليكاربوس وهيبوليتوس وايريناوس. وقد وضع القانون الموراتوري *Muratorian Canon* تلك الرسالة ضمن لائحة الرسائل التي كتبها بولس.

أمـا الأدلة الداخلية الـتي تثبت أن بولس هو المؤلف فهي أدلة قوية أيضًا. فاللاهوت والمفردات وروح الكتابة هي كلها من ميزات بولس. وطبعًا، فالواقع أن الرسـالة نفسـها تذكر أن مؤلفها بولس (١: ١) ليس كافيًا لإقناع المشـكّكين. ولكن نسبة الرسالة إلى بولس مدعومة بشواهد أخرى مثل ١٥: ١٥ـ ٢٠. والأكثر إقناعًا ربّما كان العدد الكبير من المقاطع المُماثلة التي جاءت في سـفر الأعمال: مثلاً، الشواهد التي تدل على جمع العطاء للقديسين وذكر غايس وأراسـتس والرحلة إلى رومية التي خطط لها بولس طويلاً. فكل هذه الأمور تشـير إلى أن بولس هو كاتب الرسالة، وأن ترتيوس كان المدوّن للرسالة (١٦: ٢٢).

٣ـ التاريخ

كُتبت الرسالة إلى أهل رومية بعد رسالتي كورنثوس الأولى والثانية، لأنه حالما كُتبت هاتان الرسالتان كان جمع العطاء قد تمّ وصار حاضرًا ليؤخذ إلى القديسين الفقراء في أورشليم. والإشارات إلى كنخريا، التي هي مرفأ مدينة كورنثوس (١٦: ١)، وتفاصيل أخـرى، تجعل معظم العلماء يميلون لاختيار كورنثوس باعتبارها المدينة التي بُعثت منها الرسالة. وبما أن بولس مكث هناك ثلاثة أشهر (في نهاية رحلته الثالثة) وقبل أن يُطرد من هناك نتيجة للمؤامرة ضده، فقد استطاع أن يكتب تلك الرسالة خلال ذلك الوقت القصير. وهذا ما يحدّد تاريخها نحو سنة ٥٦ ب م.

٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

كيف وصلت المسـيحية أولاً إلى رومية؟ لا نسـتطيع أن نعطي جوابًا كافيًا وأكيدًا لهذا السـؤال. ولكن ربما بعض اليهود الذين كانوا يقومون بزيارة أورشليم في يوم الخمسين (انظر أعمال ٢: ١٠) حملوا البشارة إليها في السنة ٣٠م.

لم يكـن بولس قد قـام بعد بزيارة رومية عندما كتب هذه الرسـالة من كورنثوس بعد مرور نحو الثلاثين سـنة على يوم الخمسـين. ولكنه كان يعرف عددًا كبيرًا من المؤمنين هناك، كما يظهر في الأصحاح السـادس عشـر. فالمسـيحيون في تلك الأيام كانوا جماعة متنقلـة، إمّا كنتيجة للاضطهادات أو لأنهم مبشّـرون أو لأجل متطلبات عملهم. كما أن المسيحيين في رومية كانوا من خلفيات يهودية وأممية معًا.

وأخيرًا وصل بولس إلى رومية في سنة ٦٠م. ولكن ليس كما كان يُتوقّع، إذ جاء إليها سجينًا من أجل يسوع المسيح.

ورسالة رومية هي تُحفة كلاسيكية. فهي تقدِّم لغير المخلَّصين عرضًا واضحًا لحالتهم الخاطئة والهالكة كما تعرض خطة الله البارة لخلاصهم. ويتعلم منها المؤمنون الأحداث عن اتحادهم بالمسيح وعن النصرة بقوّة الروح القدس. ويجد المؤمنون الناضجون فرحًا مستمرًا في عرضٍ واسع وغنيّ من الحقائق المسيحية، التعليمية منها والنبوية والعمليّة.

والطريقة الممتازة لتَفهُّم الرسالة إلى رومية هي أن نحسبها محاورة بين بولس ومعترض لم يذكر اسمه. وفيما يقدم بولس بشارة الإنجيل يظهر كأنه يسمع المعترض يثير كل أنواع الاعتراضات الجدليّة ضدّ البشارة، ومن ثمّ يجيب الرسول عن أسئلة المعترض واحدًا فواحدًا. وعندما انتهى كان قد ردّ على كل حجّة اعتراضيّة يستطيع أن يقدمها الإنسان ضد إنجيل نعمة الله.

في بعض الحالات نجد الاعتراضات مسجّلة بوضوح، وفي بعض الحالات كانت مسجّلة ضمنًا. ولكنها كلها كانت تتمحور حول الإنجيل الذي هو البشارة التي تعلن الخلاص بالنعمة وبالإيمان بالرب يسوع المسيح، دون أعمال.

ونحن ننظر في الرسالة إلى أهل رومية كرسالة تعالج أحد عشر سؤالاً رئيسيًّا. ١ـ ما هو موضوع الرسالة؟ (١: ١، ٩، ١٥، ١٦). ٢ـ ما هو الإنجيل؟ (١: ١ـ ١٧). ٣ـ لماذا يحتاج الناس إلى الإنجيل؟ (١: ١٨ — ٣: ٢٠). ٤ـ كيف يستطيع الخطاة أن يتبرّروا أمام الله القدوس بحسب الإنجيل؟ (٣: ٢١ـ ٣١). ٥ـ هل يتفق الإنجيل مع العهد القديم؟ (٤: ١ـ ٢٥). ٦ـ ما هي الفوائد التي تجتنيها حياة المؤمن من التبرير؟ (٥: ١ـ ٢١). ٧ـ هل تعليم الخلاص بالنعمة والإيمان مُشجّع على حياة الخطيّة؟ (٦: ١ـ ٢٣). ٨ـ ما هي علاقة المسيحي بالناموس؟ (٧: ١ـ ٢٥). ٩ـ كيف يتمكن المؤمن من أن يعيش حياة مقدّسة؟ (٨: ١ـ ٣٩). ١٠ـ هل يعني الإنجيل بوعده الخلاص لكلّ من اليهود والأمميين أن الله نقض وعده لشعبه الأرضي؟ (٩: ١ـ ١١: ٣٦). ١١ـ كيف ينبغي للذين تبرّروا بالنعمة أن يتجاوبوا معها في حياتهم اليومية؟ (١٢: ١ — ١٦: ٢٧).

إن معرفة الأحد عشر سؤالاً، وأجوبتها، توفّر معرفة فعّالة لهذه الرسالة المهمة. فالجواب عن السؤال الأول: "ما هو موضوع الرسالة؟" هو بطبيعة الحال «الإنجيل». ولم يتوانَ الرسول عن الخوض في النقطة المهمة. وقد ذكرها أربع مرات في الآيات الستّ عشرة الأولى (ع١، ٩، ١٥، ١٦).

وهذا يُفضي إلى السؤال الثاني، "ما هو الإنجيل؟" فالكلمة نفسها تعني الخبر السار، أي البشارة. ولكن في الأعداد ١ـ ١٧ يخبرنا الرسول بستّ حقائق عن الخبر السار: ١ـ مصدره هو الله (ع١). ٢ـ وقد وعدت به أسفار العهد القديم (ع٢). ٣ـ وهو الخبر السار عن ابن الله، الرب يسوع المسيح (ع٣). ٤ـ وهو قوة الله للخلاص (ع١٦). ٥ـ وهو لجميع الناس، أممين كانوا أم يهودًا (ع١٦). ٦ـ وهو بالإيمان فقط (ع١٦).

بعد هذا الكلام الذي أوردناه كمقدّمة، لننظر إلى آيات هذه الرسالة نظرة تفصيلية.

التقسيم

١ـ الجزء التعليمي: إنجيل الله (أص١ـ ٨)

أـ مقدّمة للإنجيل (١: ١ـ ١٥)

بـ تعريف بالإنجيل (١: ١٦، ١٧)

جـ الحاجة العامة للإنجيل (١: ١٨ـ ٣: ٢٠)

دـ أساس الإنجيل وبنوده (٣: ٢١ـ ٣١)

هـ تناغم الإنجيل مع العهد القديم (أص ٤)

وـ فوائد الإنجيل العملية (٥: ١ـ ١١)

زـ نصرة عمل المسيح على خطيّة آدم (٥: ١٢ـ ٢١)

حـ الإنجيل طريق للعيش بقداسة (أص ٦)

طـ مكان الناموس في حياة المؤمن (أص ٧)

يـ الروح القدس مصدر القوّة للحياة المقدسة (أص٨)

٢ـ الجزء التدبيري: الإنجيل والشعب القديم (أص٩ـ ١١)

أـ ماضي الشعب القديم (أص٩)

بـ حاضر الشعب القديم (أص ١٠)

جـ مستقبل الشعب القديم (أص ١١)

٣ـ الجزء العملي: الحياة بحسب الإنجيل (أص١٢ـ ١٦).

أـ في التكريس الشخصي (١٢: ١، ٢)

بـ في الخدمة بحسب المواهب الروحية (١٢: ٣ـ ٨)

جـ في العلاقة بالمجتمع (١٢: ٩)

دـ في العلاقة بالدولة (١٣: ١ـ ٧)

هـ في العلاقة بالمستقبل (١٣: ٨ـ ١٤)

وـ في العلاقة بالمؤمنين الآخرين (١٤: ١ — ١٥: ١٣)

زـ في خطط بولس (١٥: ١٤ـ ٣٣)

حـ في تقدير خدمة الآخرين . . . . (أص١٦)

التفسير

١ـ الجزء التعليمي: إنجيل الله (اص١ـ٨)

أ. مقدّمة للإنجيل (١: ١ـ١٥)

١ : ١ يقدّم بولس نفسه كإنسان اشتُرِيَ (وهذا يتضمّنه التعبير عبد ليسوع المسيح). المدعو (دُعي على الطريق إلى دمشق كي يكون رسولاً، أي مبعوثًا خاصًّا للمخلّص) **والمفرز** (مخصّص لكي يحمل بشارة الإنجيل إلى الأمم ـ انظر أعمال ٩: ١٥؛ ١٣: ٤٧). ونحن أيضًا قد اشتُرينا بدم المسيح الثمين، ودُعينا لكي نكون شهودًا لقوّته المخلِّصة، وفُرِزنا لكي ننشر الخبر السار حيثما ذهبنا.

١ : ٢ ولئلا يظن أحد من قرّاء بولس اليهود أن الإنجيل فكرة مُستحدثة كُليًّا ولا علاقة له بتراثهم المقدس، ذكر أن **أنبياء** العهد القديم كانوا قد وعدوا **به في تصريحات واضحة** (تث١٨: ١٥؛ إش٧: ١٤؛ حب٢: ٤) وبأمثلة ورموز (مثلاً فلك نوح وحية النحاس والنظام الذبائحي).

١ : ٣ الإنجيل هو الخبر المفرح عن ابن الله، يسوع المسيح ربنا، الذي هو من نسل داود حسب الجسد (أي من جهة ناسوته). والتعبير «من جهة الجسد» يتضمن أن ربنا هو أعظم من مجرد إنسان. فالكلمات تعني "بالنسبة إلى ناسوته". فلو كان المسيح مجرد إنسان لكان من غير الضروري أن يشير إلى تلك الحالة إذ لا توجد حالة أخرى، ولكنه أعظم من مجرد إنسان كما يبين العدد اللاحق.

١ : ٤ لقد تميّز الرب يسوع بوصفه ابن الله بقوة. والروح القدس قد دُعي هنا روح القداسة، وقد ميّز يسوع عند معموديته وخلال خدمته في صنع العجائب. وعجائب المخلّص التي صنعها بقوة الروح القدس شهدت للحقيقة بأنه ابن الله. وعندما نقرأ أنه تبرهن (تعيّن) **أنّه ابن الله بقوة... بالقيامة**، نفكر طبعًا بقيامته هو. ولكن القراءة الحرفية هنا تقول «بقيامة الأموات». فالرسول ربما قد فكر أيضًا بإقامة المسيح ابنة يايرس وابن أرملة نايين ولعازر. ولكن ما من شكّ بأن قيامة الرب نفسه هي الموضوع الرئيسي هنا.

عندما نقول أن يسوع هو ابن الله، نعني أنّه ابن ليس كأي ابن آخر. فلله أبناء كثيرون، كما أن كل المؤمنين هم أبناء الله (غل٤: ٥ـ٧). حتى الملائكة وُصفوا بأنهم بنو الله (أي١: ٦؛ ٢: ١). ولكن يسوع هو ابن الله بمعنى فريد. عندما تكلّم ربنا عن الله بوصفه أباه، فَهِم سامعوه من اليهود بالحق أنّه صرّح بمساواته لله (يو٥: ١٨).

١ : ٥ لقد كان به أي بيسوع المسيح ربّنا أن قبل بولس نعمة (الإحسان غير المستحق والذي خلّصه) والرسولية **(الرسالة)**. وعندما يقول بولس «**قبلنا نعمة ورسالة** (أي الرسولية)» فهو بطبيعة الحال يستخدم ضمير الجمع بطريقة أدبيّة معروفة، وربطة للرسولية **بالأمم** يشير إلى نفسه وليس إلى الرسل الآخرين. لقد فُوّض بولس لكي يدعو الناس من كل الأمم **لإطاعة الإيمان**؛ أي ليؤمنوا برسالة الإنجيل بالتوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح (أع٢٠: ٢١). وهدف نشرة للرسالة في كل العالم كان **لأجل اسم** الرب ولمسرته وتمجيده.

١ : ٦ بين الذين قبلوا الإنجيل كان أولئك الذين شرّفهم باللقب «**مدعوو يسوع المسيح**»، مشدِّدًا أن الله هو الذي يبتدئ بعملية خلاصهم.

١ : ٧ الرسالة موجّهة إلى جميع المؤمنين **في رومية**، وليس (كما في رسائل أخرى) إلى كنيسة واحدة. وأصحاح الرسالة الأخير يشير إلى وجود عدة جماعات من المؤمنين في تلك المدينة، وتلك التحية شملتهم جميعًا.

أحباء الله المدعوون قديسين. فهذان اللقبان العزيزان هما بالحق تمييز لجميع المفديين بدم المسيح الثمين. وهؤلاء الذين أنعم عليهم الله هم هدف محبة إلهية خاصة، وقد دُعُوا لكي يُفرزوا من العالم، لأن هذا ما يعني **بقديسين**.

وتحية بولس الخاصة تجمع **النعمة والسلام**. **فالنعمة** (خاريس *charis*) هي تشديد يوناني، **والسلام** (شَلُوم *shalom*) هي تحية اليهود التقليدية. فجَمْعُهُما معًا هو ملائم لأن رسالة بولس تخبرنا كيف أن المؤمنين من اليهود واليونانيين أصبحوا الآن واحدًا في المسيح.

إن **النعمة** المذكورة هنا ليست هي بالنعمة التي تخلِّص (فَقُرّاء بولس كانوا قد تخلَّصوا) ولكنها النعمة التي تجهز وتقوّي لأجل الحياة المسيحيّة والخدمة للمسيح. **والسلام** لا يتضمن السلام مع الله (فالقديسون كانوا قد حصلوا عليه لأنهم كانوا قد تبرّروا بالإيمان)، ولكنه سلام الله المالك في قلوبهم وقت وجودهم في وسط مجتمع مضطرب. **النعمة والسلام** أتيا **من الله أبينا والرب يسوع المسيح**، وهذا يتضمن، بقوة، مساواة الابن مع الآب. فلو كان الابن مجرد إنسان لكان من غير الجائز أن نعده مساويًا لله في إعطاء النعمة والسلام. وبهذا نصبح وكأننا نقول "نعمة وسلام من الله الآب وفلانٍ من عُظماء الناس"!

١ : ٨ حيثما كان ممكنًا، ابتدأ الرسول رسائله معبرًا عن تقديره عمّا كان جديرًا بالثناء في قرائه (وهذا مَثَل صالح لجميعنا). فهو هنا يشكر الله بالمسيح يسوع، الوسيط، من أجل أن إيمان مسيحيي رومية كان قد أُعلن **في العالم أجمع**، وشهادتهم كمسيحيين قد تُكُلِّم عنها في كل أطراف الإمبراطورية الرومانية التي كانت تشمل العالم كله في نظر الذين قطنوا سواحل البحر الأبيض المتوسط.

١ : ٩ ولأن مسيحيي رومية قد جعلوا نورهم يشعّ أمام الناس، فلذلك انحصر بولس للصلاة من أجلهم **بلا انقطاع**، وهو يستدعي الله شاهدًا لعكوفه على الصلاة، إذ لا يستطيع أحد آخر أن يعرف هذا. ولكن الله يعلم — الإله الذي **خدمه** الرسول **بروحه في إنجيل ابنه**. فخدمة بولس كانت **بروحه**، وتلك الخدمة لم تنتج عن إكراه ديني في اجتياز طقوس لا نهاية لها وترديد صلوات التعليم الديني؛ ولكن صلوات الإيمان الحارة سندت خدمته، تلك الخدمة التي كانت لا تكلّ مكرّسةً وصادرة من إرادته وملتهبة بروحٍ أحبّت الربّ يسوع بسُمُوّ. فقد كانت عاطفته ملتهبة لتنشر الخبر السار عن ابن الله.

١ : ١٠ بالاقتران بشكر بولس لله من أجل قديسي رومية، رفع صلاته كي يقوم بزيارتهم في القريب العاجل. وكالأمور الأخرى في حياته، أراد الرسول أن تكون رحلته إليهم بحسب مشيئة الله.

١ : ١١ ورغبة الرسول الملحة كانت في مساعدة القديسين روحيًّا لكي **يثبتوا** أكثر في الإيمان، وهو لا يعني هنا أن يمنحهم نوعًا من "البركة الثانية"، ولا أن يعطيهم أيّة موهبة روحية بوضع يديه (مع أنه فعل ذلك مع تيموثاوس في ٢تيموثاوس ١: ٦). ولكن القضية هنا معنيّة بمساعدتهم

على النموّ الروحي بواسطة خدمة الكلمة.

١ : ١٢ يستمر الرسول ليشرح لهم وجود بركة متبادلة، وبأنه سيتشجع بإيمانهم وهم يتشجعون بإيمانه. ففي كلّ بنيانٍ جماعيٍّ إغناءٌ روحيٌّ، إذ أن «الحديد بالحديد يُحدَّد، والإنسان يحدّد وجه صاحبه» (أم٢٧ : ١٧). لنلاحظ تواضع بولس وسماحة نفسه؛ إذ أنه لم يحسب نفسه أعلى من أن يساعده القديسون الآخرون.

١ : ١٣ لقد خطّط الرسول مرارًا عديدة لزيارة رومية ولكنه **مُنع**، ربما لأجل حالات مُلحة في مناطق أخرى، وربما لأن الروح القدس قد منعه مباشرة، أو لأن الشيطان قد عارضه. لقد اشتهى أن يكون له ثمر بين الأمم في رومية كما كان له **ثمر** بين الأمم الآخرين. فهو يتكلم هنا عن ثمر الإنجيل كما يبيّنه العددان التاليان. ففي العددين ١١، ١٢ يعبر عن هدفه أن يرى مسيحيي رومية يُبنون بالإيمان، ويشتاق هنا أن يرى النفوس تخلص في عاصمة الإمبراطورية الرومانية.

١ : ١٤ كل من له المسيح فعنده الجواب لأعمق حاجة في الدنيا. كما أنّ عنده العلاج لمرض الخطيّة: طريق الهروب من رعب جهنم الأبدي، وضمان السعادة الأبدية مع الله. هذا يضع المؤمن تحت الضرورة كي يوصل بشارة الإنجيل إلى الشعوب من كل الثقافات: **يونانيين وبرابرة**، والناس من كل درجة علميّة: **حكماء وجهلاء**. فبولس قد شعر بالواجب بكل حماسة وقوة.

١ : ١٥ ولكي يفي بولس ذلك الدّين، كان مستعدًا لأن **يبشّر بالإنجيل** أولئك الذين كانوا **في رومية** بكل القوة التي منحه إياها الله. وبطبيعة الحال، تبشيره لم يكن موجّهًا للمؤمنين في رومية، إذ إنهم كانوا قد تجاوبوا مع بُشرى الخلاص السارّة، بل كان مستعدًا أن يبشر الأمميين غير المخلّصين في تلك المدينة العظيمة.

ب. *تعريف بالإنجيل* (١: ١٦، ١٧)

١ : ١٦ **لم يستحِ** بولس بأخذ الإنجيل إلى رومية المتكلفة بعلمها، مع أن الرسالة قد برهنت أنها صخرة عثرة لليهود وجهالة للأمم. ولكنه عَلِم أنها **قوة الله للخلاص**؛ أي أنها تخبر كيف أن الله يخلص بقوته كل من يؤمن بابنه. وهذه القوة متيسرة لليهود واليونانيين على السواء.

إن الترتيب الزمني في قوله **لليهودي أولاً ثم لليوناني**، قد تم تاريخيًّا خلال حقبة أعمال الرسل. أما واجبنا يقضي بتبشير جميع الناس، فليس مطلوبًا منا نحن أن نبشّر الشعب القديم قبل الذهاب إلى الأمم. فاليوم يتعامل الله مع جميع الناس على المستوى نفسه إذ أن الرسالة والتوقيت هما للجميع.

١ : ١٧ بما أن الكلمة «برّ» تُدرج في الرسالة أوّل مرّة هنا، فسنتوقف قليلاً لنتأمّل معناها بتمعّن. فالكلمة قد استُخدمت بعدّة طرق في العهد الجديد، ولكننا سنتوقّف عند ثلاثة معانٍ فقط.

أولاً: استُخدمت لتصف تلك الميزة في الله التي بها يعمل دائمًا ما هو حق وعادل ولائق ومتناغم مع جميع ميزاته. فعندما نقول إن الله بار، فنحن نعني أنه لا يوجد فيه خطأ ولا خداع ولا ظلم.

ثانيًا: يمكن أن يشير برّ الله إلى طريقته في تبرير الخطاة الأشرار. فهو قادر على أن يفعل هذا ويبقى بارًّا لأن الربّ يسوع، البديل المنزّه عن الخطيّة، قد

وفّى كل متطلبات العدالة الإلهية.

وأخيرًا: برّ الله يشير إلى المركز الكامل الذي يمنحه الله لكل من يؤمن بابنه (٢كو٥: ٢١). وأولئك الذين ليسوا أبرارًا بأنفسهم يُعامَلون كأنهم أبرار لأن الله يراهم في كل كمال المسيح. فالبرّ قد وُضع على حسابهم.

ولكن ما هو المعنى الموافق في العدد ١٧؟ في حين أنه يمكن أن يكون أيّ واحد من تلك المعاني الثلاثة، فبرّ الله يظهر أنه يشير خاصة إلى طريقته لتبرير الخطاة بالإيمان. برّ الله مُعلن في الإنجيل. أولاً، الإنجيل يخبرنا أن برّ الله يتطلب مجازاة الخطايا والعقاب هو الموت الأبدي. ولكننا نسمع أيضًا أن محبة الله تَسُرّ ما يتطلبه برّه. لذلك أرسل ابنه ليموت بديلاً عن الخطاة وليفي العقوبة كاملةً. والآن لأن متطلبات برّ الله قد وُفيت، صار باستطاعته أن يخلّص كل من يَقبل في قلبه عمل المسيح.

إن برّ الله مُعلَن بإيمان لإيمان. أو من إيمان لإيمان، التعبير الذي يمكن أن يعني: ١-من أمانة الله إلى إيماننا؛ ٢-من درجة إيمان إلى أخرى؛ ٣-بالإيمان من البداية إلى النهاية. والأخير هو المعنى المرجَّح. إن برّ الله لا يُعطى على أساس الأعمال ولا يتيسّر لأولئك الذين يبغون أن يكتسبوه أو يعتقدون أنهم يستحقونه، بل هو معلن على أساس الإيمان فقط. هذا التعبير يوافق المرسوم الإلهيّ في سفر حبقوق: «البارّ بإيمانه يحيا» (حب٢: ٤)، مّما يمكن فهمه أيضًا بمعنى "سيحيا من يتبرر بالإيمان".

في السبعة عشر عددًا الأولى من الرسالة إلى رومية، قدّم بولس موضوعه وعرّض بإيجاز بعض النقاط الرئيسية، وهو يجيب عن السؤال الرئيسي الثالث: "لماذا يحتاج الناس إلى الإنجيل؟"؛ والجواب ببساطة هو أنهم بغيره لا محالة هالكون. وهذا ما يثير أربعة أسئلة فرعية: ١-هل الأمم الذين لم يسمعوا الإنجيل هالكون؟ (١: ١٨-٣٢)؛ ٢-هل أصحاب الأخلاق الجيدة ذوو البرّ الذاتي هالكون، يهودًا كانوا أم أمميين؟ (٢: ١-١٦)؛ ٣-هل شعب الله الأرضي القديم، أي اليهود، هالك؟ (٢: ١٧ — ٣: ٨)؛ ٤-هل جميع الناس هالكون؟ (٣: ٩-٣٠).

ج. *الحاجة العامة للإنجيل* (١: ١٨ — ٣: ٢٠)

١: ١٨ هنا نجد الجواب عن السؤال التالي "لماذا يحتاج الناس الإنجيل؟". والجواب هو أنهم هالكون بغيره، وأن **غضب الله مُعلن من السماء على فجور الناس الذين يحجزون الحق** بطرقهم الشريرة وحياتهم الآثمة. ولكن كيف **يُعلَن** غضب الله؟ النص هنا يزوّدنا بأحد الأجوبة: يسلمهم الله إلى النجاسة (١: ٢٤)، وإلى أهواء الهوان (١: ٢٦)، وإلى ذهن مرفوض (١: ٢٨). لكن الله أحيانًا يتدخل في تاريخ الإنسان لكي يُظهر غضبه الشديد على خطية الإنسان — مثلاً، الطوفان (تك ٣)، ودمار سدوم وعمورة (تك ١٩)، وعقاب قورح وداثان وأبيرام (عدد ١٦: ٣٢).

١: ١٩ "هل الأمميون الذين لم يسمعوا الإنجيل هالكون؟". يبرهن بولس أنهم هالكون، وليس بسبب عدم معرفتهم، بل بسبب النور الذي عندهم والذي قد رفضوه، وتلك الأمور التي يدركها الإنسان عن الله في الخليقة قد أُعلنت لهم. فالله لم يتركهم بغير إعلان واضح عن نفسه.

١: ٢٠ منذ خلق العالم، قد وضع الله ميزتين من ميزاته غير المنظورة في عرض دائم كي يراهما جميع الناس، ألا وهما: **قدرته السرمدية ولاهوته**. والكلمة التي يستخدمها بولس تعني ألوهيته، وهذا يقترح صفة لله بدلاً من كينونته الواجبة، وصفاته المجيدة بدلاً من ألوهيته المتأصلة. فألوهيته مُسَلَّم بصحّتها وقبولها.

والحجة هنا واضحة: فالخلق يتطلب خالقًا. والتصميم هنا يتطلب مصمّمًا. وعندما ننظر إلى الشمس والقمر والنجوم نعلم أنه يوجد إله.

والجواب عن السؤال التالي "وماذا بخصوص الوثنيين؟» هو أنهم **بلا عذر**. فالله قد أعلن نفسه لهم في خليقته. ولكن لم يتجاوبوا مع ذلك الإعلان. فهم لا يُدانون لرفضهم مخلّصًا لم يسمعوا به، بل لعدم أمانتهم في الأمور التي كانت قد عرّفتهم بالله.

١: ٢١ مع أنّهم **عرفوا الله** بأعماله، **فإنّهم لم يمجّدوه كإله ولم يشكروه** من أجل كل ما صنع، بل بالحري، أسلموا أنفسهم لفلسفات وتخمينات عن آلهة أخرى. بالنتيجة فقدوا قدرة التفكير السليم. "فالنور المنبوذ هو نور مفقود". وأولئك الذين لا يريدون أن يروا، يفقدون القدرة على الرؤية.

١: ٢٢ إذ يصبح الناس أكثر فأكثر معجبين بأنفسهم نتيجة لمعرفتهم التي اكتسبوها ولأسلوب حياتهم، يغوصون أعمق فأعمق في الجهل والتفاهة. وهاتان هما الصفتان اللتان تميزان أولئك الذين يرفضون معرفة الله: يصبحون مُعجبين بأنفسهم لدرجة لا تُطاق، وجُهلاء لدرجة سحيقة في نفس الوقت.

١: ٢٣ عوضًا عن الارتقاء من حالة دُنيا، كان "الإنسان الأول" إنسانًا ذا رتبة أخلاقية عالية؛ ولكن برفضه أن يعترف بالله الحق والسرمدي والعديم الفساد، انحدر إلى الحماقة والفسق اللذين يقترنان بعبادة الأوثان. فهذا النص كله يفضح زَيف نظريّة النشوء والارتقاء.

إن الإنسان بغريزته متديّن، وهو يحتاج إلى شيء كي يعبده. فعندما رفض أن يعبد الإله الحيّ، صنع آلهته الخاصة من خشب وحجارة في شبه **الإنسان والطيور والدواب والزحافات** أو الأفاعي. لاحظ الانحدار: الإنسان والطيور والحيوانات والزحافات. وتذكّر أن الإنسان يصبح كمعبوداته. وكما ينحلّ مفهومه عن الألوهيّة هكذا أيضًا تنحلّ أخلاقه. إن كان إلهه أفعى فعندئذ يشعر بحرية كي يعيش كما يحلو له. تذكّر أيضًا أن العابد عادة يحسب نفسه أصغر وأقل شأنًا من غرض عبادته. فالإنسان، المخلوق على صورة الله وشبهه، يأخذ هنا مكانًا أدنى من الأفاعي.

وعندما يعبد الإنسان الأوثان فهو يعبد الشياطين. وقد صرّح بولس بوضوح أن الأشياء التي يقدمها الأمميون للأوثان هي تقدمات للشياطين وليس لله (١كو ١٠: ٢٠).

١: ٢٤ هذا الأصحاح يذكر ثلاث مرات أن الله «**أسلمهم**». فهو قد **أسلمهم إلى النجاسة** (١: ٢٤) **وإلى أهواء الهوان** (١: ٢٦) **وإلى ذهن مرفوض** (١: ٢٨) بكلمات أخرى، كان غضب الله موجّهًا ضدّ شخصية الإنسان برمتها.

ردًّا على شهوات قلوب الناس، تركهم الله فانغمسوا في خطايا جنسية نجسة: الزنى والفسق والدعارة والخلاعة والبغاء وغيره. فالحياة قد أصبحت لهم طقوس عربدة جنسية فيها **يهينون أجسادهم بين ذواتهم**.

١: ٢٥ وإن كان الله قد هجرهم فلأنهم هم أولاً تركوا حقه من أجل كذبة الوثنيّة. إن الوثن هو كذبة وتمثيل زائف لله. والوثني يعبد صورة مخلوق وبهذا يهين الخالق ويحتقره، وهو المستحق ليس الإهانة بل الإجلال والمجد إلى الأبد.

١: ٢٦ ولأجل الأسباب نفسها أسلمهم الله لممارسات جنسيّة شهوانيّة، فاعلين الفحشاء ذكورًا بذكور، ونساء بنساء. فبعض الإناث أصبحن "سحاقيات" ومارسن الأفعال الجنسية غير الطبيعية دون الشعور بالحياء.

١: ٢٧ والذكور أمسوا "لواطيين" في انحراف كلي عن وظيفتهم الجنسيّة الطبيعيّة، تاركين العلاقة الزوجية المرسومة من الله واشتعلوا بشهوتهم نحو ذكور آخرين لممارسة اللواطية. ولكن خطيّتهم يُدفع ثمنها من أجسادهم ونفوسهم. فالمرض، والشعور بالذنب، وتشوّه الشخصية، يهاجمهم كلدغة العقرب. وهذا ما يدحض الفكرة القائلة أن الإنسان يستطيع أن يرتكب هذه الخطيّة دون أن يتعرض لعواقب وخيمة.

لقد تفشّت ممارسة الجنس "المثلية" (مضاجعة النظير *Homosexuality*) في المجتمع اليوم؛ واعتبرها البعضهم مرضًا، وآخرون اعتبروها أسلوب حياة خياري وشرعي. أما المسيحيون فينبغي أن يحذروا فلا يقبلوا أحكام أخلاقيات العالم، بل أن يتبعوا إرشاد كلمة الله. فالعهد القديم قد حكم على هذه الخطيّة بقصاص الموت (لا١٨: ٢٩؛ ٢٠: ١٣)، وهنا حكم العهد الجديد على من يرتكبها أنه مستحق الموت (رو١: ٢٢). ويتكلم الكتاب المقدس عن "المثلية" كخطيّة خطيرة، كما دلّ على ذلك عمل الله في محو سدوم وعمورة حيث قام اللواطيون العنفاء بأعمال شغب وتعدٍّ (تك١٩: ٤-٢٥).

يقدّم الإنجيل عفوًا وغفرانًا للمثليين كما يقدّم الغفران لكل الخطاة الذين يتوبون ويؤمنون بالربّ يسوع المسيح. والذين سبق أن سقطوا في تلك الخطية البشعة يستطيعون الآن أن يجدوا غفرانًا وإصلاحًا في اعترافهم بخطيّتهم وتركها. هناك تحرير كامل من الممارسات المثلية لكل من يريد أن يطيع كلمة الله. والمتابعة بجلسات مشورة طبيّة أمر مستحسن ومهمّ جدًا في أكثر تلك الحالات.

والحقيقة أن بعضًا لهم ميول مثليّة بطبيعة الحال. وهذا الأمر لا ينبغي أن يكون مفاجأة، إذ أن طبيعة الإنسان الساقطة قابلة للقيام بأيٍّ من أعمال الإثم والفساد. والخطيّة الفادحة ليست هي الميول ذاتها، بل الاستسلام لها وممارستها. والروح القدس يعطي القوة لمقاومة التجربة ولإعطاء النصرة الدائمة (١كو١٠: ١٣). فلا ننسَ أن بعض المؤمنين في كورنثوس كانوا براهين حيّة على أنّ المثليّين ليسوا مقيّدين نهائيًا وأبدًا بذلك الأسلوب الحياتي (١كو٦: ٩-١١).

١: ٢٨ ولأن الناس رفضوا أن يُبقوا الله في معرفتهم بوصفه الخالق والرازق والمحرّر، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليرتكبوا قائمة من أنواع الشرور. وهذا العدد يعطي تبصّرًا عميقًا من جهة السبب الذي من أجله تروق نظرية النشوء والارتقاء للإنسان الطبيعي. فالداعي لهذا ليس في عقولهم بل في إرادتهم. فهم لا يريدون أن يبقوا الله في معرفتهم. وليس أن برهان نظرية النشوء والارتقاء برهان قاطع يُلزمهم قبولها، بل بالحري لأنهم يحتاجون إلى تأويل يسمح لهم أن يزيلوا ذكر الله كليًا. وهم يعلمون أن الله موجود، وهكذا هم مسؤولون أدبيًا أمام الله.

١ : ٢٩ هنا نجد قائمة مظلمة بباقي الخطايا التي تميّز الإنسان في بُعده عن الله. ولاحظ أنه مملوء منها وليس مجرّد شخص يلعب بها، فهو مدرّب على الخطايا التي لا تتناسب مع كيانه الإنساني: **إثم** (ظلم وجور)؛ وزنى (دعارة وعهارة وأنواع أخرى من الأفعال الجنسيّة المحرّمة)؛ **وشرّ** (أعمال شريرة)؛ **وطمع** (جشع ورغبة مُلحة للكسب الرديء)؛ **وخبث** (رغبة لأذيّة الآخرين وكراهية كالسمّ)؛ مشحونين **حسدًا** (غيرة من الآخرين)؛ **وقتلاً** (قتل الآخرين عمدًا وبخلاف القانون، إمّا نتيجة غضب وإمّا في سياق ارتكاب جريمة)؛ **وخصامًا** (نزاع وشجار واختلافات)؛ **ومكرًا** (خداع وخيانة وغدر)؛ **وسوءًا** (بغض وضغينة وعداء ومرارة).

١ : ٣٠ **نمّامين** (يشوّهون سمعة الآخرين سرًّا وينشرون الإشاعات الكاذبة)؛ **مفترين** (يهتكون سمعة الآخرين علنًا ويشتمونهم)؛ **مبغضين لله** (أي يكرهون الله)؛ **ثالبين** (مملوؤون عنفًا وإهانة)؛ **متعظمين** (يتبجحون ويفتخرون)؛ **مدّعين** (مغرورون ومتغطرسون)؛ **غير طائعين للوالدين** (ثائرون على الوالدين والسلطات).

١ : ٣١ **بلا فهم** (يعوزهم التمييز الروحيّ والخُلقيّ، عديمو الضمير)؛ **ولا عهد** (ينقضون الوعود ويخرقون الاتفاقيّات والمُعاهدات تبعًا لمصالحهم)؛ **ولا حنوّ** (يتصرّفون بغير مراعاة للرُّبط الطبيعيّة والالتزامات المرتّبة عليها)؛ **ولا رضى** (يرفضون الصُّلح ولا يقنعون بشيء)؛ **ولا رحمة** (قُساة عُنفاء لا يُشفقون).

١ : ٣٢ أولئك الذين يسيئون استخدام النشاطات الجنسيّة (١ : ٢٤) والذين انجرفوا في تيّار الانحراف الجنسي (١ : ٢٦، ٢٧)، والذين يرتكبون الخطايا المدوّنة في الأعداد ١ : ٢٩-٣١؛ عندهم معرفة غريزية ليس فقط بأن هذه الأمور خطأ بل أنها أيضًا تجعلهم **مستحِقّين الموت**. فهم يعلمون أن هذا هو حكم الله رغم محاولتهم لتبرير تلك الخطايا أو تحليلها. ولكن هذا لا يردعهم من الانغماس في الأشكال المتنوعة من الإثم. والحق يقال إنّهم يتّحدون مع الآخرين لنشرها وتعميمها إذ يشعرون بشعور القرابة مع شركائهم في الخطيّة.

الوثنيّون غير المُبشّرين

ما هو جو ابا للهاإذَ السـؤ ال « هلالو ثنيو ن الذ ينلميسمعو اا لبشـا ر ة ها لكِو ن ؟ » . إنّدينو نة ا لو ثنيينهيفيعد ما ستطا عتهمأ نيعيشـو ا بحسـبا لنو ر الذ يأ عطا هما للهاإيّا هفيا لخليقة . و لذلكأصبحو ا عبدة أو ثان ،و با لنتيجة اسـلمو ا حياتهمللدعار ةو الفسق.

و لكنا فتر ضًأ نفر دًا و ثنيًا ا سـتطا عأ ن يعيشبحسـبا لنو ر الذ يأ عطا هإيا ها لله ، و أنّه أحرقأو ثانهو طلبالإ لـها لحق .فماذاإذًا؟

تو جد مد ر ستا فكر فيأ و سـا طا لمؤ منين الإ نـجيليينبخصـو صـهذاالمو ضـو ع.

يؤ منبعضـهمأ نهإ نعا شإ نسـا نو ثنيّ بحسبنو ر ا للهفيا لخليقة ، فسير سـللها لله نو ر ا لإ نـجيل . و يستشـهد و نبمثلكر نيليو س ا لذ يطلبو جها لر بّفصعد تصلا تهو حسـنا ته تذكرِ ةأما ما لله ،و لذلكأر سلاللهبطر سـليخبر ه كيفيخلص(أع ١١ : ١٤).

و آ خر و نيؤ منو نأ نّهإنو ضـعإ نسـا نو ثنيثقته با لإ لـها لو احد الحق ،كما أظهر نفسـهفيا لخليقة ، و لكنهما تقبلأ نيسمعر سـا لة ا لإ نـجيل ؛ فا لله سيعطيهخلا صًا على أ سا سعملا لمسـيحعلى

ا لجلجثة . و معاً نذ لكا لإ نسا نلميكنقد عر ف شيئًا عنعملا لمسيحا لخلا صي ، فإنّا للهسيعز و قيمة ذ لكا لعملمصلحتهلاً نهو ضعتقتهبا لله على أ سا سا لنو ر ا لفطر يا لذ يقبله . و أ و لئك ا لذ ينيتمسكو نبهذ ا ا لتعليميشير و نإ لى كيفية تيسير خلاصا للهللإنسا نقبلا لجلجثة ،و الطريقة التيبها يخلصا لمتخلّفو نعقليًا و الأ و لا د الصغار الذينلميصلوا إلىسنالرشد.

الو جهة الأ و لى يد عمها مَثَلُكر نيليو س ، أمّا الو جهة الثا نية فينقصها سند ر و حيإ ذ تأ تيفي ا لحقبة ا لتيتلتمو تا لمسيحو قيا مته (و ا لتي هيحقبتنا) كما أ نها تُضعفضر و ر ة ا لعمل الإرساليالفعّالفيمجالالتبشير.

لقد برهن بولس أن الوثنيين هالكون كما برهن أنهم بحاجة إلى بشارة الإنجيل (أص١). والآن (أص٢) هو يتحوّل إلى طبقة ثانية من الناس الذين هويّتهم عرضة للجدل نوعًا ما. ونحن نرى أن الرسول يتكلّم هنا إلى أصحاب البرّ الذاتي، يهودًا كانوا أم أمميين. فالعدد الأول يظهر أنهم أخلاقيون ذوو برّ ذاتي، وذلك بالطريقة التي بها يدينون تصرّف الآخرين (مع أنهم أنفسهم يرتكبون تلك الخطايا عينها) والأعداد ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥ تبرهن أن بولس يتكلم عن اليهود والأمميين معًا. وهكذا نجد أن السؤال الذي أثير أمام المحكمة هو "هل الأخلاقيون ذوو البرّ الذاتي، يهودًا كانوا أم أمميين، هم هالكون؟". والجواب كما سنجد هو "نعم هم هالكون أيضًا".

٢: ١ هذه هي الطبقة الثانية، وتتألّف من أولئك الذين ينظرون نظرة احتقار إلى الوثنيين، ويحسبون أنفسهم أكثر تمدّنًا وعلمًا ورفاهية. فهم يدينون الوثنيين لأجل تصرّفهم الشنيع، ولكنهم في الوقت نفسه هم أنفسهم مذنبون على مستوى مساوٍ، وربما بطريقة أكثر تعقيدًا. فالإنسان الساقط يستطيع أن يرى أخطاءً في الآخرين بأسرع مما يراها في نفسه. والأمور التي تُحسَب شائنة في حياة الآخرين تظهر وكأنها محترمة في حياته. ولكن الواقع هو أن قدرته على أن يدين الخطايا في الآخرين تُظهر أن في وسعه معرفة الفرق بين الصواب والخطإ. فإن عرف أنّه من الخطإ لشخصٍ آخر أن يخطف زوجته، فهو يعلم أيضًا أن من الخطإ له أن يخطف زوجة رجل آخر. إذًا عندما يرتكب إنسان الخطايا عينها التي يدينها في الآخرين يُبقي نفسه بلا عذر.

إن خطايا المثقفين هي، في جوهرها، الخطايا التي يرتكبها الوثنيون. ومع أن الاخلاقي قد يجادل بأنّه لم يرتكب كل الخطايا المنهيّ عنها، فإنّ عليه أن يتذكر هذه الحقائق التالية:

١ـ أنه مُمكن أن يرتكبها كلها.

٢ـ وإن كسره لوصية واحدة يجعله مذنبًا في الكل (يع٢: ١٠).

٣ـ وأنه قد ارتكب خطايا بالفكر ربّما لم يرتكبها عمليًّا؛ وتلك أيضًا تمنعها الكلمة. فالربّ يسوع قد علّم أن نظرة الشهوة مثلاً تعادل الزنى (مت٥: ٢٨).

٢: ٢ إن الأخلاقيّ المتعجرف يحتاج لدرس عن دينونة الله. والرسول يستمر في إعطاء ذلك الدرس في الأعداد ٢-١٦. والنقطة الأولى هي أن دينونة الله هي حَسَبُ الحق. وليست على أساس أدلّة عرضية وغير كاملة وغير صحيحة. بل بالحريّ تعتمد على الحق، وعلى كل الحق، وعلى لا شيء إلا الحق.

٢ : ٣ ثانيًا، أنّــه لا بد من وقوع **دينونة الله** على الذين يدينون الآخرين من أجل الخطايا نفسها التي يمارسونها هم أنفسهم. فمقدرتهم على دينونة الآخرين لا تُعفيهم من المُذنبيّة، بل تضاعف دينونتهم.

فلا يمكنهم الهروب مــن دينونة الله عليهم، إلا إذا تابوا وغُفرت خطاياهم.

٢ : ٤ ثالثًــا، نتعلّــم أن دينونــة الله، في بعض الأحيان، تتأنّــى. وهذا التأنّي هو دلالــة على صلاح الله وطول باله وصبره. **غنى لطــف الله** يعني: مع أنه يكره الخطيّة فهو يحب الخاطي. **إمهالُه**: يصف إرجاءه لقصاص شــرّ الإنســان وتمرّده. **طول أناته** هو قوتــه العجيبة لضبط النفس رغم استفزاز الإنسان.

إن **لطف الله**، كما يظهر في عنايته وحمايته وحفظه، إنّما يهدف إلى قيادة الإنســان إلى **التوبة**. إذ أنه «لا يشاء أن يهلك أُناس بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة» (٢بط٣: ٩).

والتوبة تعني تغييرًا كاملاً في الاتجاه والمســلك، إذ يدير الإنسان الظهر للخطية آخذًا اتجاهًا مضادًا. "إنّها تغيير في الفكر، ينشــئ تغيير في الموقف أو التوجُّه، يُنتج تغييرًا في العمل". وهذا يعني أن الإنســان يصبح مؤيّدًا الله ضــد ذاته وضــد خطاياه. ويتضمن هــذا الموقف أكثر من تصديق عقليّ لحقيقة خطايا الإنسان، إذ يمسّ الضمــير أيضًا كما كتب جون نيوتن *John Newton*: "شعر ضميري بذنبي واعترف به".

٢ : ٥ ورابع شــيء نتعلّمه عــن دينونة الله، هو أنها تتدرّج بحسب تراكم الذنب. فبولس يصوّر الخطاة الأشد قساوة وغــير التائبين كأشــخاص **يذخــرون لأنفسهم** دينونة كما يذخــرون كنزًا مــن الذهــب والفضّة. ولكــن ثمّة له من كنز ســوف ينكشف مضمونه في يوم غضب الله عند **دينونة** العرش العظيم الأبيض (رؤ٢٠: ١١-١٥). في ذلك اليوم تظهر **دينونة الله** بكامل برّها وبغير أيّ شائبة أو إجحاف.

٢ : ٦ في الأعــداد الخمســة التالية يذكّرنــا بولس أن دينونــة الله هــي **بحسب أعمال** الإنســان. فالإنســان يســتطيع أن يفتخر بصلاح شــخصيّ عظيم، كما أنه قــد يعتمد اعتمادًا شــديدًا على أصله وجنســه، وقد يُركــن إلى واقع وجــود رجال الله في أســلافه؛ ولكنه سيُدان بحسب تصرُّفه هو وليس بحسب أيٍّ من الأمور الأخرى. فأعماله ستكون العامل الحاسم.

إن عزلنا الأعداد ٦-١١ عن ســياقها فسيكون من السهل أن نستنتج أنها تعلّم الخلاصَ بالأعمال وأن تلك الأعداد تظهــر وكأنها تقول إن أولئــك الذين يصنعون الأعمال الصالحة سيكتسبون الحياة الأبدية بواسطتها.

ولكن ينبغي أن يتوضح لنا أنّ الفقرة لا يمكن أن تعني ذلــك لأنها عندئذ تصبح متناقضة مع الشــهادة المتناغمة في بقيــة الكتاب المقــدس، حيث يشــهد أن الخلاص هو بالإيمان، بمعزل عن الأعمال، ويشــير شــافر *Chafer* إلى أنّ ١٥٠ شــاهدًا في العهــد الجديد تشــترط الإيمان فقط للخلاص. ولا توجد فقرة واحدة يمكن، بعد فهمها فهمًا صحيحًا، أن تُناقض تلك الشهادة الساحقة.

كيــف يســعنا إذًا أن نتفهّــم هذه الفقــرة؟ أولاً، علينا أن نفهم أن الأعمال الصالحة لا تبتدئ إلاّ عندما يولد الإنســان ثانية. عندما سأل الشعب يسوع «ماذا نصنــع لكي نعمل أعمــال الله؟»، جاوبهم قائلاً «هذه هي أعمــال الله: أن تؤمنوا بالذي هو أرســله» (يو٦: ٢٨، ٢٩). إذًا العمــل الصالح الأول الذي يســتطيع

أي إنسان أن يعمله هو أن يؤمن بالربّ يسوع المسيح، وينبغي لنا أن نتذكر باستمرار أن الإيمان ليس عملاً استحقاقيًا يكتسب به الإنسان خلاصه. وهكذا إن وقف غير المخلَّصين للدينونة، على أساس أعمالهم، فلن يكون لديهم شيء له قيمة يستخدمونه كبيّنة لمصلحتهم. وكل أعمال برّهم المفترَضة ستظهر كأنّها خرق بالية (إش٦٤: ٦). فإن خطيّتهم الجالبة للدينونة ستكون أنّهم لم يؤمنوا بيسوع ربًّا (يو٣: ١٨). وما بعد ذلك إلاّ أعمالهم التي ستقرّر درجة عقابهم.

وإن كان المؤمنون سيُدانون بحسب أعمالهم فماذا ستكون النتيجة؟ من الطبيعي أنهم لا يستطيعون أن يقدّموا أي أعمال صالحة بها يكونون قد اكتسبوا خلاصًا مُستحَقًّا. فكل أعمالهم التي سبقت الإيمان كانت أعمالاً خاطئة. ولكن دم يسوع قد محا الماضي إلى درجة أن الله نفسه لا يمكن أن يجد، في ما بعد، أي تهمة ضدّهم ليُدينهم بها بدينونة جهنم. وهم عندما يخلصون يبتدئون يمارسون الأعمال الصالحة، وهي ليست بالضرورة أعمالاً صالحة في نظر العالم، بل هي أعمال صالحة كما يراها الله. إن أعمالهم الصالحة هي نتيجة للخلاص وليس لداعٍ استحقاقيّ. وأمام كرسيّ المسيح ستُفحص أعمالهم، فيُجازَون لأجل كل خدماتهم الأمينة.

ولكن علينا أن نتذكّر أن هذه الفقرة لا تعالج قضية المؤمنين، بل قضية الفجّار فقط.

٢: ٧ عندما فسّر بولس أن الدينونة ستكون بحسب الأعمال قال إن الله سيعطي **حياة أبديّة للذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء**، وكما شرحنا للتوّ، فإن ذلك لا يعني أن أولئك الناس يخلصون لصبرهم في الأعمال الصالحة بمثابرة دائمة، وإلا فيكون ذاك إنجيلاً آخر. وبالطبيعة، لا يعيش أحد تلك النوعية من الحياة. كما أنه لا يستطيع أحد أن يعيشها بلا قوّة إلهية. وكل من تنطبق عليه تلك الصفات حقًّا يكون قد خلص بالنعمة بالإيمان. وواقعُ كونه يطلب المجد والكرامة والبقاء (أو عدم الموت) إنّما يُظهر أنه قد وُلد من جديد.

هو يطلب **مجد** السماء، **والكرامة** التي تأتي فقط من الله (يو٥: ٤٤)، **والبقاء** (عدم الموت) الذي يميّز قيامة الأجساد (١كو١٥: ٥٣)، والذي هو الميراث السماوي والذي لا يزول ولا يضمحل ولا يتدنس (١بط١: ٤).

إن الله سيكافئ **بحياة أبدية** كل الذين أظهروا هذا الدليل على رجوعهم إلى الله. وقد تكلّم العهد الجديد عن **الحياة الأبديّة** بعدة طرق. فهي ملكية في الوقت الحاضر، وقد قبلناها في اللحظة التي فيها وُلدنا ثانية (يو٥: ٢٤). وهي ملكية للمستقبل، تحقّ لنا عندما نأخذ أجسادنا الممجَّدة (هنا وفي رومية٦: ٢٢). ومع أنها هبة نقبلها بالإيمان، فهي ترتبط بالمكافآت المعطاة لحياة الأمانة (مر١٠: ٣٠). ولكل المؤمنين **حياة أبديّة** ولكن بعضهم ستكون لهم قدرة أعظم من الآخرين على التمتّع بها. وهي تعني أكثر من وجودٍ لا نهاية له. إذ هي نوعية حياة، الحياة الفُضلى التي وعد بها المخلِّص في يوحنا ١٠: ١٠. فهي حياة المسيح بعينها (كو١: ٢٧).

٢: ٨ وأولئك الذين يطلبون ما لأنفسهم ولا يطيعون الحق بل يطيعون الإثم فستكون مكافأتهم **السخط والغضب**. هم لا يطاوعون للحقّ، إذ لم يتجاوبوا مع دعوة الإنجيل قطّ. ولكنهم اختاروا أن **يطاوعوا للإثم** سيّدًا لهم. وحياتهم تتميّز بالنزاع والمشاحنة والعصيان، وهي برهان يقيني على أنهم لم يخلصوا البتة.

٢ : ٩ الآن يكرِّر الرسول حكم الله بخصوص نوعين من العاملين والأعمال، غير أنه هذه المرة يعكس الترتيب.

والحكم سيجلب **ضيقة وشدة على كل من يفعل الشر**. وهنا علينا أيضًا أن نشدّد أن تلك الأعمال الشريرة تخدع قلب الإنسان غير المؤمن، فالأعمال هي التعبير الخارجي عن موقف الإنسان تجاه الله.

والتعبير «**اليهودي أولاً ثم اليوناني**» يُظهر أن دينونة الله ستكون بحسب الامتياز، أو بحسب النور المقبول. كان اليهود أولاً في الامتياز كشعب الله المختار قديمًا؛ ولذلك هم أيضًا أولاً في الواجبات. وهذه الوجهة من دينونة الله تُوسَّع أكثر في الأعداد ١٢-١٦.

٢ : ١٠ إن حكم الله سيكون **مجدًا وكرامة وسلامًا لكل إنسان يعمل الصلاح** يهوديًّا كان أم يونانيًّا. ولا يستطيع أحد أن يعمل الصلاح إلاّ إذا وضع إيمانه وثقته بالربّ يسوع المسيح.

والتعبير «**لليهوديّ أولاً ثم لليونانيّ**» لا يمكن أن يشير إلى محاباة أو تحيّز، لأن العدد التالي يشير إلى أن دينونة الله هي غير متحيّزة. وهكذا يشير التعبير إلى الترتيب التاريخي الذي فيه انتشر الإنجيل كما ذُكر في رومية ١ : ١٦، إذ قد أُعلن أولاً لليهود، وأوّل من آمنوا به كانوا يهودًا.

٢ : ١١ حقّ آخر بخصوص دينونة الله هو **أنها بلا محاباة**. ففي محاكم البشر نجد أن التحيّز يظهر لمصلحة من هم حِسان الطلعة وأغنياء وأصحاب نفوذ. ولكن الله لا يحابي البتة، إذ لا يمكن، قطعًا، أن يؤثّر فيه اعتبار لجنس أو لمقام أو لوجوه.

٢ : ١٢ كما ذُكر أعلاه، فالأعداد ١٢-١٦ تتوسّع بموضوع كون دينونة الله موافقة لمقياس النور الواصل للإنسان. وفي المشهد هذا يوجد طبقتان: طبقة أولئك الذين ليس لهم الناموس (الأمميون)، وطبقة الذين هم تحت الناموس (اليهود). وهذا يشمل جميع الناس ما عدا الذين هم في كنيسة الله (انظر كورنثوس الأولى ١٠ : ٣٢ حيث تجد أن الجنس البشري مقسوم إلى تلك الأقسام الثلاثة).

إن الذين أخطأوا **بدون الناموس سيهلكون أيضًا بدون الناموس**. والآية لا تقول "أنهم سيدانون بدون الناموس"، بل **سيهلكون أيضًا بدون الناموس**. فهم سيدانون بحسب الإعلان الذي أعطاهم إيّاه الربّ، فإن عجزوا عن النجاح في العيش بحسب مستوى ذلك الإعلان يهلكون.

وأولئك الذين **أخطأوا تحت الناموس سيُدانون بالناموس**، وإن كانوا لم يطيعوه فهم أيضًا سيهلكون. فالناموس يتطلب طاعة كاملة.

٢ : ١٣ إن مجرد حفظ الناموس ليس بكاف. فالناموس يتطلب طاعة كاملة ومتواصلة. ولا يوجد إنسان يمكن أن يُحسب بارًّا لأجل مجرد معرفة ما يقوله الناموس. والطريقة الوحيدة للحصول على التبرير تحت الناموس هي أن يُحفظ الناموس بكامله. ولكن بما أن جميع الناس خطاة يُصبح من المستحيل عليهم أن يقوموا بعمل كذاك. وهكذا يرسم لنا هذا العدد الحالة المثالية التي لا يستطيع الإنسان بلوغها.

ويُعلِّم العهد الجديد بتشديد أنّه من المستحيل على الإنسان أن يتبرّر بحفظ الناموس (انظر أعمال ١٣ : ٣٩؛ رومية ٣ : ٢٠؛ غلاطية ٢ : ١٦، ٢١؛ ٣ : ١١). ولم يكن قصد الله البتة أن يخلّص أي إنسان بالناموس. حتى لو استطاع أحد أن يحفظه بالكمال من اليوم فصاعدًا، فلا يمكنه أن يتبرّر؛ لأن الله يطالب بما قد حصل في الماضي. وعندما يقول العدد ١٣ إن الذين يعملون **بالناموس**

سيُبرَّرون، ينبغي لنا أن نفهم أنه يعني أن الناموس يتطلب طاعة، وإن استطاع أحد أن يقوم بطاعة كاملة له من اليوم الذي وُلد فيه، فهو سيتبرّر. ولكن الواقع الواضح والمُحزِن هو أنه ما من إنسان يستطيع أن يتمم هذا المطلب.

٢: ١٤ العددان ١٤، ١٥ فكرة بين قوسين، ينظران إلى العدد ١٢، حيث نتعلّم أن الوثنيين الذين أخطأوا بغير الناموس سيهلكون بغير الناموس. ويشرح الآن بولس أنه مع أن الناموس لم يُعطَ للأمم لكنهم أُعطوا معرفة فطريّة للخير والشر. فهم يعرفون معرفة غريزية أنه من الخطإ للإنسان أن يكذب ويسرق ويزني ويقتل. والوصية الوحيدة التي لا يعرفونها بالغريزة هي الوصية بخصوص السبت، إذ أنها وصية طقسية أكثر مما هي وصية أخلاقية.

والنتيجة الواضحة هي أن **الأمم الذين ليس عندهم الناموس... إنّما هُم ناموس لأنفسهم**. فهم يُكوّنون من غرائزهم الأخلاقية قواعدهم الخاصة للتصرّف الصالح والشرير.

٢: ١٥ **يُظهر** الناس **عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم**. ليس الناموس ذاته هو المكتوب في قلوبهم بل **أعمال الناموس**. والأعمال التي قصد الناموس أن يعملها في حياة الشعب القديم يمكن أن تُرى في حياة الأمميين. فواقعُ كونهم مثلاً يعرفون أن يحترموا والديهم يُبرهن أن أعمال الناموس مكتوبة في قلوبهم. وهم يعرفون أيضًا أن بعض التصرّفات هي في الجوهر شريرة. فضميرهم إذ يخدم كناظرٍ، يثبت تلك المعرفة الفطرية. وأفكارهم في عمل دائب لتقرير صلاح أعمالهم أو شرّها، **مشتكية أو محتجة**، مانعة أو سامحة.

٢: ١٦ وهذا العدد هو تكملة للفكرة التي جاءت في العدد ١٢. وهو يخبر متى سيُدان الذين هم بلا الناموس والذين هم تحت الناموس. وهكذا يعلّمنا هذا العدد حقيقة أخيرة عن دينونة الله: أنها ستأخذ بالاعتبار **سرائر الناس** وليس فقط خطاياهم الظاهرة. والخطيّة المُرتكبة في الخفاء في الوقت الحاضر ستكون الفضيحة المكشوفة عند دينونة العرش الأبيض العظيم. والديّان في ذلك الوقت الرهيب سيكون هو الربّ يسوع المسيح، بما أن الآب قد أعطاه كل الدينونة (يو ٥: ٢٢). وعندما أضاف بولس «**بحسب إنجيلي**» فقد عنى "كما يُعلِّم إنجيلي". **وإنجيلي** يعني الإنجيل الذي كان بولس يكرز به، والذي كرز به أيضًا باقي الرسل.

٢: ١٧ قد واجه الرسول طبقة ثالثة ليعالج أمرها. لذلك يلتفت الآن إلى السؤال "هل اليهود الذين أُعطوا الناموس هم أيضًا هالكون؟". وبطبيعة الحال يكون الجواب: "نعم هم أيضًا هالكون".

لا شكّ في أن كثيرين من اليهود قد شعروا أنّهم بمنأى عن دينونة الله. وقد فكّروا أن الله لن يُرسل **يهوديًا** إلى جهنم، أما الأمم فكأنّهم مزوّدون بزيت الوقود وجاهزون للهيب جهنم. وهذا ما أوجب على بولس هنا أن يقضي على هذا الزعم ويبرهن أن الأمميين في بعض الحالات قد يكونون أقرب لله من اليهود.

أوّلاً، هو يستعرض تلك الأمور التي يتباهى بها اليهوديّ وكأنّ له سبيلاً خاصًا إلى محضر الله. فهو يحمل الاسم «**يهوديّ**» وبهذا يعتبر نفسه فردًا من شعب الله الأرضيّ المختار. وهو **يتّكل على الناموس** الذي لم يُقصد به أن يعطي راحة ولكنّه كان ليوقظ الضمير حتّى يشعر بالذنب. كما أنه **يفتخر بالله**، بالله الحق الواحد، الذي قطع عهدًا فريدًا في علاقته بالشعب القديم.

٢ : ١٨ ويعرف مشيئة الله لأن **مخطّطًا تمهيديًّا** عامًّا لتلك المشيئة قد أُعلن في الكتاب المقدس. كما أنه وافق على الأمور **المتخالفة** (المتمايزة أو الممتازة) لأن الناموس علّمه كيفية تخمين القيم الأخلاقية.

٢ : ١٩ وافتخر أيضًا بأنّه **قائد للعميان** روحيًّا وأخلاقيًّا، **ونور للذين في ظلمة** الجهل.

٢ : ٢٠ قد شعر اليهودي أنه مؤهّل لأن **يهذّب الجهال** وغير المتعلّمين **ويعلّم الأطفال** لأن الناموس أعطاه **مخطّطًا** تمهيديًّا للمعرفة والحقيقة.

٢ : ٢١ ولكن تلك الأمور التي افتخر بها اليهوديّ لم تغيّر حياته إطلاقًا. وكل ما كان عنده هو الافتخار بالنسل والدين والمعرفة، بمعزل عن أي تغيير أخلاقيّ موافق أو مطابق. فقد علّم هو الآخرين ولكنه لم يوصل دروسه إلى قلبه هو. كما أنه **كرز** ضدّ السرقة لكنه لم يمارس ما نادى به.

٢ : ٢٢ وعندما منع الزنى كانت القضية قضية "اعمل ما أقول وليس ما أصنع". وفي حين أنه **استكره الأوثان** وكرهها لم يتوانَ عن أن **يسرق الهياكل** وربما حدث هذا بالهجوم على بعض المعابد الوثنية ونهبها.

٢ : ٢٣ كما افتخر بأن له **الناموس** ولكنه أهان الله الذي أعطاه الناموس وذلك **بتعدّيه** لوصايا الناموس.

٢ : ٢٤ هذا الخلط بين الكلام العالي والمسلك المنحط قد جعل الأمم **يجدّفون على اسم الله**. وفعلوا كما يفعل الناس عادة، إذ أصدروا حكمهم على الله من جراء مسلك من يزعمون أنّهم اتباع الله. وهذا ما حدث في أيام إشعياء النبي (إش٥٢ : ٥)، ويحدث الآن في أيامنا هذه. وينبغي لكلٍّ منا أن يسأل نفسه "إن كانت نظرة الناس الوحيدة عن المسيح هو ما يرونه في حياتك يا... (ضع اسمك هنا) فماذا يرون فيك يا تُرى؟".

٢ : ٢٥ وإضافة للناموس افتخر اليهوديّ بطقس **الختان**. وهذه عمليّة جراحيّة بسيطة تُجرى في غُرلة الذكر اليهوديّ. وقد أعطى الله الختان كعلامة للعهد الذي قطعه مع إبراهيم (تك١٧ : ٩-١٤)، وقد عبّر الختان عن انفراز شعب من العالم لله. ومع الزمن افتخر اليهود بإجراء العملية حتى إنهم صاروا يشيرون إلى الأممي باسم «الأغلف» (غير المختون).

وقد ربط بولس **الختان بناموس موسى** هنا وأشار بأنّه كان مقبولاً كعلامة، حين كان متكاتفًا مع حياة الطاعة. فالله ليس مجرّد إله طقسيٍّ، وهو لا يكتفي بمراسم وطقوس قشريّة خارجيّة لا تصاحبها قداسة داخلية. فاليهوديّ المختون الذي يتعدّى الناموس يكون مثله مثل غير المختون.

وعندما يتكلم الرسول في هذه الفقرة عن الذين يحفظون الناموس أو الذين يعملون به، ينبغي لنا ألاّ نفهم الكلام بالمعنى المطلق.

٢ : ٢٦ وهكذا إن تمسّك الأممي بالأخلاقيات الموصوفة في **الناموس**، مع أنّه لم يكن تحت الناموس، **تُحسب غرلته** مقبولة أكثر من ختان يهوديّ متعدٍّ للناموس. ففي حالة مثل تلك يكون قلب الأممي مختونًا وهذا ما هو الأكثر أهمية.

٢ : ٢٧ إن السلوك الراقي عند بعض الأمم يدين اليهود الذين يمتلكون الناموس المكتوب والختان، ولكنهم لا يحفظون الناموس ولا يعيشون حياة الختان، أي حياة الإنفراز والقداسة.

٢ : ٢٨ إن اليهــوديّ الحقيقــيّ في نظــر الله ليس فقط رجــلاً تجـري في عروقه دماء إبراهيــم أو الذي حصل على سِمَــة الختان في جســده. فربّما كان الإنســان قد تمتّع بهذين الامتيازين ومع ذلك قد يبقى إنسانًا مُنحطّ الأخــلاق. والــربّ لا يُحمَــل على تغيــير رأيه لأجل اعتبارات خارجية كالنســل والجنــس والدين. إذ أنه يطلب الإخلاص والطهارة الداخلية.

٢ : ٢٩ إن اليهــوديّ الحقيقــيّ ليــس هو مــن جاء فقط من نســل إبراهيم، بل الــذي أيضًا يعيــش حياة البرّ. وهــذه الفقــرة لا تعلّم أن كل المؤمنين هــم يهود، ولا أنّ الكنيســة هي «إســرائيل الله». فبولس يتكلّم عن أولئك الذين أتوا من نسل يهوديّ، مُصرًّا على أن مجرد الولادة وطقسيّة الختان ليسا بكافيين إذ ينبغي أن يكون هناك الواقع الداخليّ الصحيح.

إن الختان الحقيقي هو مسألة قلبيّة، وليس هو مجرد النزع الحرفي لشــيء من اللحم بل إنه في الواقع عمليّة روحيّة جراحيّة للطبيعة القديمة غير المتجدّدة.

وأولئك الذين يجمعون في حياتهم العلامة الخارجية مع النعمة الداخلية يقبلون مدحًا من الله، وقد لا يكون المــدح من الناس. ونجــد في هذا العدد جناسًــا طريفًا لا يظهــر في اللغة العربية إذ أن الكلمــة «يهوديّ» تأتي من يهوذا ومعناهــا "مدْح". إذًا اليهــودي الحقيقي هو الإنسان الذي خُلُقه من نوع يُكسبه المدح من الله.

٣ : ١ يُتابع بولس موضــوع مُذنبيّة اليهود في الأعداد الثمانية الأولى من هذا الأصحاح. وهنا يظهر معترض يهودي ويأخذ يُعارِض الرســول. والأسئلة تجري على النحو التالي:

المعــترض: إن كان كل مــا قلتــه في ٢ : ١٧-١٩ صحيحًــا فما هــو إذًا امتياز كون المــرء يهوديًّا وما هو نفع الختان؟

٣ : ٢ بولــس: لقد تمتع اليهود بكثــير من الامتيازات؛ وأهمهــا أنهم قــد عُهد إليهم بتدويــن وحي الله. وقد أُعطيــت كتب العهد القديم لليهود للنّســخ والحفظ. ولكن كيف تجاوب الشــعب القديم مع ذلك الامتياز؟ بالإجمال، أظهروا قلة إيمان رهيبة.

٣ : ٣ المعــترض: لنحســب أن أكثرية اليهود لم يؤمنوا، فهل يعــني هذا أنــه ينبغــي أن يرجع الله عــن وعوده وينقضها؟ لا ينبغي أن ننســى أنه هو الذي اختار الأمّة شعبًا له، وقطع عدة عهود واضحة معهم. فهل يصبح عدم إيمان بعضهم عذرًا لله كي ينقض كلمته؟

٣ : ٤ بولس: **حاشا!** فعندما يثار أي سؤال حول صواب الله أو صواب الإنسان، ينبغي أن نتمسك بالقاعدة التي تقول إن الله على صواب وإن كل إنســان كاذب. وهذا ما قاله داود في المزامــير ٥١ : ٤ «لكي تتبرّر في أقوالك وتزكو في قضائك». وما خطايانا إلاّ ختم لصدق كلمة الله.

٣ : ٥ المعــترض: وإن كانت هــذه هي الحالة فلماذا إذًا يديننا الله؟ **وإن كان إثمنا يســبب لمعان برّ الله بأكثر مجد فلمــاذا يضربنــا الله بالغضب؟** (يلاحظ بولــس هنا أنه في اقتباس تلك الكلمات هو يستخدم محاجّةً إنسانيّة).

٣ : ٦ بولس: إن مثل تلك الحجة ليســت مستحقة أي اعتبــار جــديّ، لأنه إن كان هنــاك أي إمكانية لله كي يكون غير بارّ فكيف يكون باستطاعته أن **يدين العالم؟** ولكننا جميعنا نذعن للحقيقة بأنه سيدين العالم حتمًا.

٣ : ٧ المعترض: ولكن إن كانت خطاياي تجلب مجدًا لله وكذبي يبرّر حقّه ويحوّل غضب الإنسان إلى مدحه تعالى، فكيف إذًا يستطيع أن يجد فيّ كخاطئ عيوبًا باستمرار؟

٣ : ٨ ولماذا لا يكون من المنطق أن نقول —

بولس: دعني أقاطع كلامك لأقول أن بعض الناس يتهمون المسيحيين باستخدام هذه الحجة، ولكن مثل تلك التهمة ليس إلا افتراء وتشويهًا للسمعة.

المعترض: فكيف لا يكون من المنطق أن نقول: «لنفعل السيّئات لكي تأتي الخيرات».

بولس: كل ما أستطيع أن أقوله هو أن دينونة الناس الذين يتكلمون هكذا هي دينونة مُستحقة.

(الواقع أن الحجة الأخيرة، مع كل بلاهتها، هي التي يستخدمها الناس ليتهموا إنجيل نعمة الله. فالناس يقولون: "إن كان باستطاعتك أن تخلص فقط بالإيمان بيسوع، يصير عندئذ باستطاعتك أن تذهب وتعيش في الخطيّة. وبما أن نعمة الله تتفوّق على خطيّة الإنسان فإذًا كلما نخطئ أكثر تزداد نعمة الله". هذا الافتراء يردّ عليه الرسول في الأصحاح السادس).

٣ : ٩ المعترض: إذًا هل أنت تقول أننا نحن اليهود أفضل من الأمميين الخطاة؟ أو أن السؤال كما وضعته بعض الترجمات: "هل نحن اليهود اشدّ سوءًا من الأمميين؟" والجواب في كلتا الحالتين أن اليهود ليسوا بأفضل من الأمم أو أسوأ منهم، إذ الجميع أخطأوا.

وهذا يقود إلى السؤال التالي ويوازيه في محاضرة بولس، فهو قد برهن أن الأمميين هالكون وأن الأخلاقيين ذوي البرّ الذاتي يهودًا كانوا أم أمميين هم هالكون. واليهود أيضًا هالكون. والآن يلتفت إلى السؤال: هل جميع الناس هالِكون؟

والجواب هو "نعم لأننا قد برهنّا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطيّة". وهذا يعني أن اليهود لا يختلفون عن الأمميين في هذا الاعتبار.

٣ : ١٠ وإن كانت هناك حاجة إلى برهان آخر فإن ذلك البرهان موجود في العهد القديم. ونرى أولاً أن الخطيّة قد أصابت كل من ولد من أبوين بشريين (٣ : ١٠-١٢)، ونرى أيضًا أن الخطيّة أصابت كل أعضاء الإنسان (٣ : ١٣-١٨). وبإمكاننا أن نضع نصها في صياغة جديدة كما يلي: "لا يوجد إنسان واحد بارّ على الإطلاق" (مز ١٤ : ١).

٣ : ١١ المزمور يخبرنا بأنه ليس من يفهم الله بالحق، إذ ليس من يطلب الله (مز ١٤ : ٢). ولو بقي الاعتماد على الإنسان الساقط فإنه لن يطلب الله البتة. وإن طلب أحد وجه الربّ فهو يطلبه نتيجة لعمل الروح القدس.

٣ : ١٢ «الكل زاغوا معًا فسدوا. ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد» (مز ١٤ : ٣).

٣ : ١٣ «لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوّة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها» (مز ٥ : ٩) «حمة الأفعوان تحت شفاههم» (مز ١٤٠ : ٣).

٣ : ١٤ «فمه مملوء لعنةً وغشًّا وظلمًا» (مز ١٠ : ٧).

٣ : ١٥ «أرجلهم إلى الشرّ تجري وتسرع إلى سفك الدم الذكي» (إش ٥٩ : ٧).

٣ : ١٦ «في طرقهم اغتصاب وسحق» (إش ٥٩ : ٧).

٣: ١٧ «طريق السلام لم يعرفوه» (إش٥٩: ٨).

٣: ١٨ «ليس خوف الله أمام عينيه» (مز٣٦: ١).

هذه إذًا صورة الأشعة التي آخذها الله للجنس البشري وتُظهر عدم برّ ذلك الجنس عامة (ع١٠)، كما تظهر جهله واستقلاله عن الله (ع١١)، وزيغانه وعدم نفعه وقلة صلاحه (ع١٢). فحنجرته مملوّة بالفساد ولسانه غشّاش وشفتاه مسمومتان (ع١٣)، وفمه مملوء لعنة (ع١٤)، ورجلاه عاكفتان على ارتكاب الجريمة (ع١٥)، وكل ما ينتجه هو الخراب والدمار (ع١٦)، ولا يعرف كيف يعيش في سلام (ع١٧)، ولا يعتبر الله (ع١٨). وهنا نجد فساد الإنسان التام. وما نعني بهذا هو أن الخطيّة قد أصابت الجنس البشري كلّه، كما أنها أصابت كل جزء في كيانه. ومن الواضح أنْ ليس كل إنسان قد ارتكب كل خطيّة، ولكنه يمتلك طبيعة باستطاعتها أن ترتكب كل الخطايا.

ولو أراد بولس أن يعطي لائحة أكمل بالخطايا لكان مستعدًّا أن ذكر الخطايا الجنسية كالزنى واللواط والسحاق والدعارة والاغتصاب والفسق والإباحية والكلام البذيء. كما كان بإمكانه أن يذكر الخطايا التي ترافق الحروب كقتل الأبرياء والتنكيل بهم وحجرات الغاز ومعسكرات الاعتقال والأفران وأدوات التعذيب والسادية التي تبتهج بالتعذيب. كما كان باستطاعته أن يذكر الخطايا العائلية كعدم الأمانة والطلاق وضرب الزوجة والاضطهاد النفسي وإساءة معاملة الأولاد. وزد على ذلك جرائم القتل والتشويه والسرقة واللصوصية والاختلاس والتخريب والابتزاز والفساد. وأيضًا خطايا الكلام كالكلام الباطل والنكت التي تُبرز المعاني الجنسيّة والكلام الشهواني واللعن والتجديف والكذب والاغتياب والثرثرة واغتيال السمعة والدمدمة والتذمّر. وبعض الخطايا الشخصية الأخرى هي: السكر وإدمان المخدرات والكبرياء والحسد والاشتهاء والجحود بالجميل والكراهيّة والمرارة. فاللائحة تبدو بلا نهاية — وتشمل التلويث وبعثرة الزبالة والتمييز العنصري والاستغلال والغش والخيانة وكسر المواعيد، وما إلى ذلك من خطايا. ولا حاجة لنا هنا أن نعطي برهانًا أعظم بخصوص فساد الإنسان التام؟

٣: ١٩ وعندما أعطى الله الناموس للأمّة كان يستخدمها كعبرة وأمثولة للجنس البشري. وقد تبيّن أن إسرائيل كان فاشلاً وتلك النتائج تنطبق على البشريّة برمّتها. وهذا يشابه مفتش صحة يأخذ عيّنة من ماء البئر ويفحصها فيُثبت أنها ملوّثة فيحكم أن البئر كلّها ملوّثة.

وهكذا شرح بولس أنه عندما تكلم الناموس تكلم للذين **هم تحت الناموس** — أي الشعب القديم — لكي **يغلق كل فم**: يهوديًّا كان أم أمميًّا، ولكي **يحضر العالم كله كمذنب أمام الله**.

٣: ٢٠ **لا يستطيع أحد أن يتبرّر بحفظ الناموس**. إذ إنّه لم يُعطَ ليبرّر الناس بل لينتج **معرفة الخطيّة** — ليس معرفة الخلاص بل **معرفة الخطيّة**.

ونحن لا نستطيع أن نعرف ما هو الخط الأعوج إلا إذا عرفنا الخط المستقيم. وعندما يمتحن الناس أنفسهم به فعندئذ يستطيعون أن يعرفوا اعوجاجهم.

باستطاعتنا أن نستخدم المرآة لنرى هل وجوهنا قذرة؛ ولكن المرآة لم تُصنع لكي تغسل وجوهنا القذرة. وميزان الحرارة يستطيع أن يبيّن كون الإنسان مصابًا بداء يسبّب له ارتفاع الحرارة؛ ولكن ابتلاع

ميزان الحرارة لن يشفي الداء.

فالناموس صالح عندما يُستخدَم ليُنتج تبكيتًا على الخطيّة ولكنه غير نافع كمخلِّصٍ من الخطايا. وكما قال لوثر: "إن عمل الناموس لم يكن ليبرِّر بل ليُرهب".

د. *أساس الإنجيل وبنوده* (٣: ٢١-٣١)

٣: ٢١ نأتي الآن إلى صُلب رسالة رومية، حيث يردُّ بولس على السؤال "كيف يستطيع الله القدوس أن يبرّر الخطاة الأثمة، بحسب الإنجيل؟".

وهو يباشر بالقول أن **برّ الله قد ظهر بدون الناموس** وهذا يعني أن الخطة أو البرنامج قد أُعلن وبواسطته يستطيع الله أن يخلّص خطاة أثمة دون أن يفرض عليهم أن يحفظوا الناموس. ولأن الله هو قدوس، فهو لا يستطيع أن يتغاضى عن الخطية أو يغفل عنها أو يداعبها، بل عليه أن يعاقبها. وعقاب الخطية هو الموت. ولكن الله يحب الخاطئ ويريد أن يخلّصه وهذا ما يأتي بنا إلى مشكلة. فبرّ الله يفرض موت الخاطئ ولكن محبته تبتغي أن تعطي الخاطئ الفرح الأبديّ. فالإنجيل يظهر كيف يستطيع الله أن يخلّص الخطاة دون أن يتنازل عن شيءٍ من برّه.

هذا المشروع العادل **مشهود له من الناموس والأنبياء**، فقد سبق وأُخبر عنه في أمثلة ورموز بنظام الذبائح الذي فرض سفك الدم للكفارة، كما أنه كان قد سبق وأُخبر عنه في النبوات المباشرة (انظر إشعياء ٥١: ٥، ٦، ٨؛ ٥٦: ١؛ دانيآل ٩: ٢٤).

٣: ٢٢ يخبرنا العدد ٢١ أن هذا الخلاص العادل لا يمكن أن يُكتسب على أساس حفظ الناموس، ويطلعنا الرسول الآن على كيفية الحصول عليه: **بالإيمان بيسوع المسيح**. ويعني الإيمان هنا الاعتماد المطلق على الربّ يسوع المسيح الحي، بوصفه المخلّص الوحيد للإنسان من الخطية والرجاء الوحيد للإنسان للذهاب إلى السماء. وهذا مبنيّ على أساس إعلان الكتاب المقدّس لشخص المسيح وعمله.

فالإيمان ليس بقفزة في الظلام، ولكنه يستوجب الدليل الأشد ضماناً، ويجده في كلمة الله المعصومة. وليس الإيمان غير منطقي أو "لا معقولاً". وما هو المعقول أكثر من أن يثق المخلوق بخالقه؟

والإيمان ليس عملاً يجعل الإنسان مستحقًّا أن يكتسب الخلاص أو يستأهله. فالإنسان لا يستطيع أن يفتخر بأنه قد صدّق الله، إذ أنه يكون أحمق إن لم يصدّقه. وليس الإيمان محاولة لاكتساب الخلاص، ولكنه قبول بسيط للخلاص الذي يقدّمه الله كهبة مجانية.

ويستمر بولس ليخبرنا أن هذا الخلاص مقدّم **للكلّ** ومخيّم **على كلّ الذين يؤمنون**. فهو مقدّم للجميع، بمعنى أنه متيسّر للجميع؛ أي أنه عُرض للجميع، وهو كافٍ للجميع. ولكنه من نصيب أولئك الذين آمنوا، أي أن له فاعليته في حياة أولئك الذين قبلوا الرب يسوع في عمل إيمان واضح. والغفران هو للجميع ولكنه يصبح ساريًا في حياة الفرد الذي قبِله.

وعندما يقول بولس أن الخلاص متيسّر للجميع، فهو يشمل الأمميين كما يشمل اليهود؛ لأنه الآن **لا فرق** إذ أنه ليس لليهود أي امتياز خاص وليس الأممي بمحروم.

٣: ٢٣ إنّ تيسُّر الإنجيل هو شاملٌ شمولَ الاحتياج إليه. والاحتياج شامل لأن **الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله**. فالكلّ أخطأوا في آدم لأنه عندما أخطأ كان يمثّل كل ذريته. ولكن ليس الناس خطاة بالطبيعة فقط، بل أيضًا بالممارسة، وقد أعوزهم مجد الله في أنفسهم.

الخطيّة

ا لخطية هيأ يفكر أ و كلمة أ و عمليقصَّـر دو نمقا ييسا للهلقد اسـة و الكمال . فا لخطية هيإخطا ء ا لمر مى و عد مإصا بة ا لهـد ف . و كثيرً ا ما نسـمعمنأ خفقفيإ صا بة ا لهد ف يقول : «لقد أ خطأ ت » ؛ ففيلغتنا تُسـتخد ما لكلمة عينها ا لتيتعبّر عنا لسـقو طفيا لخطيّة و عن الإخفاقفيإصابةالهدف.

إ نا لخطية هيا لتعد يعلى أ يًّقا نـو ن (١يو ٣: ٤)،و تمرُّ د إر ادة ا لمخلو قعلـى إر ادة ا لله . فا لخطيّة ليسـتفقطا ر تكا بما هو خطأ ، بلهيأ يضًا ا لفشـلفيعملما هو صا لح (يع ٤: ١٧) ، و ما ليسـمنا لإ يما نفهو خطية (ر و ١٤ : ٢٣) . و هذ ا يعنيأ نهمنا لخطـإ للإ نسا نأ نيعملأ يشي ء يشـكّفيصلا حه . و إ نكا نا لإ نسا نيقو مبعملشـي ء بضمير غير صافٍفإذاكيُحسبلهخطية.

«كلإِ ثمهو خطية » (١يو ٥: ١٧) ،و «فكـر ا لحما قة خطية (أم ٢٤ : ٩) . فا لخطية تبتـد ئ با لفكر و بعد ما تتشـجعو تتر عر عتظهر بعمل ، و ا لعمليؤ دّ يإ لى ا لمو ت . و ا لخطية هيفـي الغالبجذابةفيالبدايةلكنهافيالنهايةبشعة.

و يميّز بو لسـفيبعضا لأ حيا نبين الخطاياو الخطية .فا لخطاياتشـير إلىالأمور ا لخا طئة ا لتينر تكبها ، و ا لخطية تشـير إ لى طبيعتنا ا لشـر ير ة ، أ يما نحنعليهفيا لو ا قع . و ما نحنبا لطبيعة هو أ سـو أ بكثير منأ يعمل نعمله . و قد ما تا لمسـيحمنأ جلطبيعتنا السا قطة كما ما تمنأ جلأ عما لنا ا لشـر ير ة . و ا للهيغفر خطا يا نا ، و لكنّا لكتا با لمقـد س لا يتكلّمعنغفر ا نهلخطيتنا و لكنهيد ينتلـك الخطيةفيالجسد(رو ٨: ٣).

و يو جد أ يضًـا اختلا فبينا لخطية و التعـدّ ي . فا لتعدّ يهو مخا لفة نا مو سِمعـر و ف . إ ن ا لسر قة فيا لأ سا سـهيخطية كما أ نها خطأ فيحد ذ ا تها . و ا لسـر قة تصبحأ يضًا تعدّ يًا في حا لو جو د قا نو نيمنعا لسـر قة « إ ذ حيثليس ناموسليسأيضًاتعد»(رو ٤: ١٥).

وقد برهن بولس أن جميع الناس قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله باستمرار، وتابع بعد ذلك مقدّمًا العلاج.

٣: ٢٤ متبررين مجانًا بنعمته. **يخبرنا الإنجيل بكيفية تبرير الله للخطاة كهبة مجّانية، وكمعروف غير مستحَقّ. ولكن ماذا نعني عندما نتكلم عن التبرير؟**

فالكلمة "تبرّر" تعني أن نفترض، أو أن نعلن، كوننا أبرارًا. مثلاً، الله يعلن الخاطئ بارًّا عندما يؤمن ذلك الخاطئ بالرب يسوع المسيح. وهذا هو المعنى الذي تستخدم الكلمة له غالبًا في العهد الجديد.

ولكن الإنسان يبرّر الله (انظر لوقا ٧: ٢٩) بالإيمان وإطاعة كلمة الله. وفي كلمة أخرى، هو يعلن أن الله بارّ في كل أعماله وأقواله.

وبطبيعة الحال، يستطيع الإنسان أن يبرّر نفسه، أي أن باستطاعته أن يحتجّ ببرّه الخاصّ (انظر لوقا ١٠: ٢٩). ولكن هذه ليست إلاّ عمليّة لخداع النفس.

التبرير لا يعني أن يُجعَل الإنسان بارًّا بالفعل. فنحن لا نستطيع أن نجعل من الله بارًّا إذ أنه بارّ في كل حين. ولكن باستطاعتنا أن نعلن أنه بارّ. كما أن الله لا يجعل المؤمن إنسانًا عديم الخطية أو معصومًا أو بارًّا بحدّ ذاته، ولكن الله يضع البرّ على حسابه. وكما عبّر بيرسون *A.T. Pierson* **قائلاً: "إن الله بتبرير الخطاة يدعوهم بالفعل أبرارًا في الوقت الذي فيه هم غير أبرار. فهو لا يحسب الخطية حيث توجد**

فعلاً، ولكنّه يحسب البرّ حيث لا يوجد فعلاً".

وأحد المعاني المشهورة للكلمة «تبرير» هو "كأني لم أخطئ إطلاقًا". ولكن هذا المعنى لا يعطي المعنى الكافي. لأن حينما يبرِّر الله الخاطئ المؤمن فهو لا يبرّئه بل يلبسه برّه هو، وهكذا يجعل منه إنسانًا مؤهّلاً للسماء. "فالتبرير يتعدّى التبرئة ويصل إلى الاستحسان، ويتعدّى الصفح إلى القبول والإعزاز". التبرئة تعني فقط أن الإنسان قد تحرّر من الاتهام، ولكن التبرير يعني أن برّ الله قد صار برّنا نحن بطريقة إيجابية.

والسبب الذي لأجله يستطيع الله أن يعلن أن الخطاة صاروا أبرارًا هو أن الربّ يسوع المسيح قد دفع كُليًّا دَينَ خطاياهم بموته وقيامته. وعندما يقبل الخطاة المسيح بالإيمان يتبرّرون.

وعندما يُعلِّم يعقوب أن التبرير يحصل بالأعمال (يع٢: ٢٤)، فهو لا يعني أننا نخلص بأعمال صالحة أو بالإيمان المصحوب بالأعمال، بل بالحري أننّا نخلص بذلك النوع من الإيمان الذي يُنتِج أعمالاً صالحة.

من المهم أن ندرك أن التبرير هو حساب، أو اعتبار، يبتدئ في فكر الله، وهو ليس بأمر يشعر به المؤمن. فالمؤمن يعلم أن ذلك الأمر قد حدث لأن الكتاب المقدس يخبرنا بذلك. ويعبر عن ذلك سكوفيلد *C.I. Scofield* قائلاً: "التبرير هو ذلك العمل الإلهي الذي بواسطته يعلن الله أن كل من يؤمن بيسوع هو بارّ. وهذا أمر يبتدئ بفكر الله، وليس بجهاز المؤمن العصبيّ أو بطبيعته العاطفية".

هنا في رومية ٣: ٢٤ يعلّمنا الرسول إننا نتبرّر **مجّانًا**. إنه ليس أمرًا نستطيع أن نكتسبه أو نشتريه بل هو بالحري أمر مقدم كهبة مجّانية.

وبالتالي نتعلّم أننا نتبرّر **بنعمة الله**. ويعني هذا أن العمل مفصول كليًّا عن استحقاقنا. ومن جهتنا نحن فهو أمر لم نستحقه ولم نطلبه ولم نشترِه.

وإبعادًا لأي التباسٍ في ما بعد، ينبغي أن نقف هنا ونشرح أنه يوجد ست وجهات مختلفة من التبرير في العهد الجديد: إذ يُقال إننا نتبرّر بالنعمة، وبالإيمان، وبالدم، وبالقوة، وبفضل الله، وبالأعمال؛ ومع ذلك لا يوجد في أي من هذا أي تناقض.

فنحن نتبرّر بالنعمة — ويعني هذا أننا لا نستحقّ البرّ.

ونتبرّر بالإيمان (رو٥: ١) — ويعني هذا أننا نتقبّله بإيماننا بالرب يسوع المسيح.

ونتبرّر بالدم (رو٥: ٩) — وهذا يشير إلى الثمن الذي دفعه المخلّص لكي نتبرّر.

ونتبرّر بالقوة (رو٤: ٢٤، ٢٥) — وتلك هي القوة عينها التي أقامت الربّ يسوع من الأموات.

ونتبرّر بفضل الله (رو٨: ٣٣) — إذ أنه هو القادر أن يحسبنا أبرارًا.

ونتبرّر بالأعمال (يع٢: ٢٤) — فلا يعني أن الأعمال الصالحة تُكسِب التبرير، بل أنها الدلالة على أننا قد تبرّرنا.

وإن رجعنا إلى ٣: ٢٤ نقرأ أننا نتبرّر **بالفداء الذي بيسوع المسيح**. والفداء يعني أن نُشترى بدفع فدية أسر. فالربّ يسوع قد اشترانا من سوق عبودية الخطية. ودمه الثمين كان ثمن الفدية الذي دفعه لكي يفي متطلبات الله القدوس والبار. وإن سأل أحدهم: "ولمن قد دُفع ثمن الفدية؟" يكون قد أخطأ الهدف. فالكتاب المقدس لا يقترح إطلاقًا أن دفعة فدية قد دُفعت لله أو للشيطان، فالفدية لم تُدفع لأحد ولكنها عملية تجريدية لتسديد الحساب وتيسير أسس صالحة يستطيع الله بواسطتها أن يُخلِّص الفجّار.

٣ : ٢٥ لقد قدّم (عرَض) الله المسيح يسوع كفّارة. والتكفير هو الوسيلة التي بواسطتها توفى مطالب العدالة، ويُتجنّب غضب الله، وتظهر الرحمة على أساس ذبيحة مقبولة.

إنّ العهد الجديد يتكلّم ثلاث مرات عن المسيح بوصفه كفّارة أو فدية. وهنا في رومية ٣ : ٢٥ نتعلّم أن كل من يضع إيمانه في المسيح يجد رحمة بفاعلية سفك دمه. وفي يوحنا الأولى ٢ : ٢ يوصَف المسيح بأنه كفّارة لخطايانا ولأجل العالم كلّه. فعمله كاف، لكل العالم ولكنه فعّال في حياة أولئك الذين وضعوا ثقتهم به. وأخيرًا في يوحنا الأولى ٤ : ١٠ قد ظهرت محبة الله في إرسال ابنه ليكون كفّارة لخطايانا.

وصلاة العشّار في لوقا ١٨ : ١٣ حرفيًا كانت "اللهم كفّر عنّي أنا الخاطئ". لقد طلب إلى الله أن يظهر له رحمة ولا يطلب منه أن يدفع جزاء تفاقم ذنبه.

والكلمة «كفارة» تتردد أيضًا في عبرانيين ٢ : ١٧ : «ومن ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب». والتعبير هنا «يكفر» يعني أنه يُبعد القصاص بدفع العقوبة.

والكلمة المساوية للكفارة في العهد القديم هي غطاء تابوت العهد (وذلك الغطاء يُدعى أيضًا كرسيّ الرحمة). فكرسيّ الرحمة كان غطاء تابوت العهد. وفي يوم الكفارة كان رئيس الكهنة يرشّ الغطاء بدم الذبيحة، وبتلك الوسيلة كُفر عن خطايا رئيس الكهنة والشعب أو غُطّيت.

عندما كفّر المسيح عن خطايانا كان عمله أشمل، إذ أنه محا كل خطايانا كليًّا.

والآن يخبرنا بولس في ٣ : ٢٥ إن الله قد أقام المسيح **كفّارةً بدمه، بالإيمان.** لا يطلب الكتاب أن نضع إيماننا بدمه، إذ أن المسيح نفسه هو موضوع إيماننا. وفقط المسيح الحي والمُقام من بين الأموات يستطيع أن يخلّص. فهو الكفارة. والإيمان به هو الشرط الوحيد الذي يؤهّلنا للكفارة. ودمه هو الثمن الوحيد الذي دُفع.

إن عمل المسيح الكامل يعلن **برّ الله لغفران الخطايا السالفة،** وهذا ما يشير إلى الخطايا التي ارتُكبت قبل موت المسيح، ومن آدم إلى المسيح خلّص الله أولئك الذين وضعوا إيمانهم به على أساس الوحي الذي أعطاه لهم. مثلاً إبراهيم آمن بالله فحُسب له إيمانه برًّا (تك ١٥ : ٦). ولكن كيف يستطيع الله أن يفعل ذلك ببرّ؟ إن بديلاً معصومًا لم يكن قد ذُبح ودم الذبيحة الكاملة لم يكن قد سُفك. وبكلمة أخرى، لم يكن قد مات المسيح، ولم يكن قد دُفع الدين، ولم تكن قد وُفيت متطلبات الله البارّة؛ فكيف كان باستطاعة الله إذًا أن يخلص في العهد القديم خطاة ولو آمنوا؟

الجواب هو مع أن المسيح لم يكن قد مات. فإنّ الله قد عرف أنه سيموت فخلّص أناسًا على أساس عمل المسيح في المستقبل. حتى لو لم يعلم قدّيسو العهد القديم بعمل الجلجثة فإنّ الله علم به، وهكذا وضع كل قيمة عمل المسيح لحسابهم حالما آمنوا بالله. وبمعنىً حقيقيّ، خَلَص مؤمنو العهد القديم بالاعتماد الحسابي الذي فتحه الله لمصلحة الناس، إذ أنهم قد خلصوا على أساس الثمن الذي كان سيُدفَع وهكذا نظروا إلى الأمام نحو الجلجثة وأما نحن فننظر إلى الخلف نحوها.

وهذا ما يعنيه بولس عندما يقول أن كفارة المسيح **تعلن برّ الله لأنّه صفح عن الخطايا التي سبق أن ارتُكبت.**

وهو لا يتكلم هنا، كما يعتقد بعضُهم خطأً، عن الخطايا التي ارتكبها إنسان قبل إيمانه. واعتقاد كهذا قد يوحي أنّ عمل المسيح يغطي الخطايا التي تسبق الولادة الثانية، ولكن بعد تلك النقطة يصبح الإنسان مسؤولاً عن نفسه. حاشا! فبولس يتناول لطف الله الظاهر في تغاضيه عن خطايا أولئك الذين خلصوا قبل الصليب. وقد يظهر أن الله عفا عن الخطايا تلك، أو أنه تظاهر أنه لا يراها. ولكن الحق ليس هكذا، كما يقول بولس، بل أنّ الربّ علم أن المسيح سيقدّم تكفيرًا كاملاً، ولذلك خلّص أناسًا على هذا الأساس.

وهكذا كان العهد القديم فترة صبر الله إذ أنه قد أمسك دينونته على الخطية لمدة ٤٠٠٠ سنة. ولكن في ملء الزمان أرسل ابنه ليرفع خطيّة العالم. وعندما حمل المسيح خطايانا سكب الله جام غضبه العادل والمقدّس على ابنه الذي أحبّه.

٣ : ٢٦ والآن يعلن موت المسيح برّ الله. والله بارّ (عادل) لأنه تطلب وفاءً كاملاً لعقوبة الخطية. وصار باستطاعته أن يبرّر الفجّار دون أن يتغاضى عن خطاياهم أو يتنازل عن برّه، إذ أن بديلاً كاملاً قد مات وقام. وقد عبر ألبرت مدلين *Albert Madlane* عن هذه الحقيقة بالكلمات التالية:

برّ الله الكامل قد ظهر في دم المسيح
وفي صليب المسيح نقتفي اثر برّه ونعمته العجيبة؛
فالله لم يستطع أن يغفل عن الخاطئ فخطيته تقتضي موته؛
ولكننا في صليب المسيح نرى كيف يخلّص الله ويبقى بارًّا.
فقد وضع الخطية على المخلّص إذ دفع بدمه دين الخطية.
فالعدالة الصارمة لا تقتضي أكثر
والرحمة تستطيع أن تفيض بمخزونها الغنيّ.

والخاطئ الذي يؤمن يتحرّر
ويستطيع أن يقول: المخلّص مات من أجلي.
ويستطيع أن يشير إلى الدم ويقول:
ذلك قد رتّب لي سلامًا مع الله.

٣ : ٢٧ أين الافتخار إذًا في خطة الخلاص العجيبة هذه؟ لقد جعلته ينتفي، يُستثنى، يُستبعَد. وعلى أي أساس يُستثنى الافتخار؟ أعَلى أساس قاعدة الأعمال؟ كلا. فإن كان الخلاص بالأعمال، يسمح هذا لكل أنواع الافتخار وإطراء الذات. ولكن عندما يكون الخلاص مبنيًّا على الإيمان فلا يسمح ذلك بأي مكان للافتخار. والإنسان المتبرّر يقول: "أنا ارتكبت الخطايا كلّها ويسوع تمّم الخلاص كلّه". والإيمان الحقيقي يستبعد أية إمكانية لمساعدة النفس وتحسينها للخلاص، ناظرًا إلى المسيح مخلِّصًا، ولغته هي:

ليس في يدي ثمن فادفعه،
ولكنّي بالصليب أتعلق،
عريانًا آتي إليك من أجل ثوب،
وبائسًا لا عون لي، أرجو نعمتك.
قذر وفاسد أنا، فأسرع إلى الينبوع.
ألا اغسلني سيّدي وإلاّ أموت هالكًا.

اغسطس تُبلايدي Augustus M. Toplady

٣ : ٢٨ ويردّد بولس السبب الذي لأجله يستثني الافتخار إذ إن الإنسان يتبرّر بالإيمان بدون أعمال الناموس.

٣ : ٢٩ وكيف يقدّم الإنجيل الله؟ هل هو الإله الحصريّ لليهود؟ كلا. **فهو إله الأمم أيضًا.** والمسيح لم يمت من أجل سُلالة أو عرق خاص، بل مات من أجل عالم الخطاة برمّته. وعَرض الخلاص المجانيّ والكامل مُقدّم لكل من يريده، يهوديًّا كان أم يونانيًّا.

٣: ٣٠ لا يوجد إلهان: إلهٌ لليهود وإلهٌ للأمم. وكما يوجد إله واحد فهنالك طريقة واحدة لخلاص بني البشر. وهو **يبرّر الختان بالإيمان ويبرّر الغرلة بالإيمان.** ويغضّ النظر عن نوعية حرف الجر المستخدم بالأصل للتعبير عن الخلاص "في أو بـ" (كما في الأصل واللغات الأخرى)، فالوسيلة المُستخدَمة للخلاص هي الإيمان في كلتا الحالتين.

٣: ٣١ ويبقى سؤال مهم. فعندما نقول إن الخلاص بالإيمان وليس بحفظ الناموس فهل نعني بهذا أن الناموس بلا فائدة وينبغي أن نتجاهله؟ وهل يدفع الإنجيلُ الناموسَ جانبًا وكأنْ لا مكان له بعد؟ على العكس تمامًا، فالإنجيل **يثبّت الناموس** بهذه الطريقة:

يتطلب الناموس طاعة كاملة وينبغي أن يُدفع جزاء تعدّي الناموس. والعقاب هو الموت. وإن دَفَع متعدّي الناموس الجزاء فسيهلك إلى الأبد. ويخبرنا الإنجيل كيف مات المسيح ليدفع جزاء تعدّي الناموس وهو لم ينظر إلى الناموس كشيء يمكن إهماله، بل دفع الدين بكامله. والآن يمكن لأي من تعدّى الناموس أن يأخذ لنفسه حقيقة دفع المسيح للقصاص عوضًا عنه. وهكذا يبيّنُ إنجيل الخلاص بالإيمان عدالة الناموس، بإصراره على أنه ينبغي أن توفى أقصى مطاليبه، الأمرُ الذي تمّ فعلاً.

هـ. *تناغم الإنجيل مع العهد القديم (أص٤)*

والسؤال الرئيسيّ الخامس الذي يعالجه بولس هو: "هل يتفق الإنجيل مع تعاليم العهد القديم؟". والجواب عن هذا السؤال له أهميته الخاصة بالنسبة للشعب القديم. وهكذا يبرهن الرسول وجود تناغم كامل بين الإنجيل في العهد الجديد وفي العهد القديم. فالتبرير كان دائمًا بالإيمان.

٤: ١ وقد برهن بولس على هذه الفكرة بإشارته إلى أعظم شخصيتين في التاريخ العبري، ألا وهما إبراهيم وداود. وقد قطع الله عهدًا مع كل من الرجلين. أحد الرجلين عاش قبل إعطاء الناموس بمئات السنين والآخر عاش بعد إعطاء الناموس. الأول تبرّر قبل الختان والآخر تبرّر بعده.

فلننظر إلى إبراهيم بعين الاعتبار، وهو الذي يعتبره اليهود أبًا لهم. فماذا كان اختباره **بحسب الجسد**؟ وماذا وجد بخصوص الوسيلة التي يتبرّر بها الإنسان؟

٤: ٢ إن كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فيكون عنده سبب كي يفتخر. ويكون باستطاعته أن يربّت كتفه برضىً لاكتساب موقف البرّ أمام الله. ولكن هذا أمر من رابع المستحيلات؛ إذ لا يستطيع إنسان أن يفتخر أمام الله (أف٢: ٩). ولا يوجد أي شيء في الكتاب المقدس يشير إلى أن إبراهيم قد اكتسب أساسًا للافتخار في التبرّر بأعماله.

ولكن قد يُحاجُّ أحدهم قائلاً: "ألا تقول الآية في يعقوب ٢: ٢١ أن إبراهيم قد تبرّر بالأعمال؟". نعم هذا ما تقوله تلك الآية، ولكن المعنى هناك يختلف اختلافًا كليًّا. فإبراهيم قد تبرّر بالإيمان في تكوين ١٥: ٦ عندما آمن بوعد الله بخصوص ذرية له لا تُعَدّ. وبعد أكثر من ثلاثين سنة قد تبرّر (برهن ذلك) بالأعمال عندما ابتدأ في تقديم إسحاق كذبيحة محرقة أمام الله (تك٢٢). وعمل الطاعة ذاك برهن على حقيقة إيمانه. فكانت ظاهرة خارجية بأنه قد تبرّر حقًّا بالإيمان.

٤: ٣ ماذا يقول الكتاب بخصوص تبرير إبراهيم؟ يقول الكتاب «فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا» (تك١٥: ٦).

لقد أظهر الله نفسه لإبراهيم ووعده بذرية لا تُعَدّ. وآمن إبراهيم بالله فحسب الله إيمانه بِرًّا. لقد كان الأمر بهذه البساطة. لم يكن للأعمال ما تؤثّر به في الأمر، بل إنها لا تُذكر البتّة.

٤: ٤ وهذا يأتي بنا إلى واحد من أسمى العبارات الموجودة في الكتاب المقدس بخصوص التباين بين الأعمال والإيمان بالارتباط بخطة الخلاص.

لنفكّر بالأمر في هذه الطريقة: عندما يعمل إنسان ليكتسب معيشته ويستلم راتبه في آخر الشهر، يكون بذلك مستحقًا لأجرة؛ إذ أنه قد اكتسبه. لذلك لا ينحني ولا يجبو أمام صاحب العمل شاكرًا إياه لأجل فضله ومعروفه، على اعتبار أنّه لا يستأهل المبلغ المُعطى له ولا يستحقّه. كلا على الإطلاق. ولكنه يضع المبلغ في جيبه ويذهب إلى بيته مملوءًا بالشعور بأن صاحب العمل عوّض عليه عن وقته وعمله. ولكن هذه ليست هي الطريقة في قضية التبرير.

٤: ٥ وإن كانت هذه حسب الظاهر صدمة، فالإنسان المبرَّر، أولاً، هو الشخص الذي **لا يقوم بأي عمل**. إنه ينكر أي محاولة لكسب خلاصه، وينكر أي استحقاق أو صلاح شخصي؛ ويعترف أن أفضل أعماله لا يمكنها أن تفي مطاليب الله البارّة.

وعوضًا عن هذا فهو **يؤمن بالذي يبرّر الفاجر** إذ يضع إيمانه وثقته بالربّ ويصدق كلمة الله. وكما رأينا، لم يكن ذلك عملاً مستحَقًّا؛ فالاستحقاق ليس في إيمانه بل في موضع إيمانه أو غرضه، أي الربّ يسوع.

لاحظ أنه آمن **بالذي يبرّر الفاجر**، ولا يأتي هو بحجة أنه قام بأفضل محاولاته وأنه عاش بحسب القاعدة الذهبية وأنه ليس شريرًا كالآخرين. كلا. فهو يأتي كفاجر وخاطئ مذنب راميًا نفسه على مراحم الله.

وما هي النتيجة؟ **إيمانه يُحسَب له برًّا**. ولأنه أتى بالإيمان وليس بالأعمال، يضع الله البرّ على حسابه. وباستحقاق المخلّص المُقام من بين الأموات، يُلبسه الله البرّ ويجعله مؤهّلاً للسماء. ومن ذلك الوقت فصاعدًا يراه الله في المسيح ويقبله على هذا الأساس.

وبالاختصار، إنّ التبرير إذًا هو **للفجّار**، لا للصالحين. والقضية هي قضية نعمة، لا دَين. وقبولها يأتي بالإيمان، لا بالأعمال.

٤: ٦ وبالتالي يتحوّل بولس إلى داود ليبرهن حجّته. والكلمة «**كما**» التي يستخدمها في أول العدد تشير إلى أن اختبار داود كان على مستوى اختبار إبراهيم بالذات. و«مرنّم إسرائيل الحلو» قال إن الإنسان السعيد هو الخاطئ الذي حسبه الله بارًّا **بدون أعمال**. ومع أن داود لم يعبّر عن الفكرة هكذا فالرسول استنتجها من المزمور ٣٢: ١، ٢ ثمّ اقتبسها في الآيتين التاليتين:

٤: ٧ طوبى للّذين غُفرت آثامهم وسُترت خطاياهم.

٤: ٨ طوبى للرجل الذي لا يحسب له الربّ خطيّة.

ماذا رأى بولس في هاتين الآيتين! أولاً، هو لاحظ أن داود لم يذكر شيئًا بخصوص الأعمال؛ إذ أن الغفران هو قضية متعلقة بنعمة الله وليس بمجهود الإنسان. ثانيًا، وجد أنه إن كان الله **لا يحسب خطية** لإنسان ما، فلا بدّ أن ذلك الإنسان له مقام بارّ أمامه. وأخيرًا، وجد أن الله يبرّر الفاجر. وقد كان داود مذنبًا بالزنى وارتكاب جريمة القتل: ومع ذلك فهو يتذوق في هذه الأعداد حلاوة الغفران الكامل والمجاني.

٤ : ٩ ولكن قد يُضمِر العبرانيّون فكرةً تقول بأن للشعب المختار زاوية في تبرير الله محجوزة للذين في الختان. فيتحوّل الرسول إلى اختبار إبراهيم ليبرهن أن ذلك الفكر فكر خاطئ. ولذلك هو يثير السؤال: "هل التبرير يحسب للمؤمنين اليهود فقط أم للمؤمنين الأمميين أيضًا؟". والواقع أن استخدام إبراهيم كمثل قد يظهر أنه يقترح أن التبرير هو لليهود فقط.

٤ : ١٠ هنا يركز بولس على الواقع التاريخي الذي لا يلاحظه أكثرنا. فهو يُظهِر أن إبراهيم قد تبرّر (تك١٥ : ٦) قبلما خُتِن (تك١٧ : ٢٤). فإن كان أبو أمّة إسرائيل قد تبرر وهو ما يزال **في الغرلة**، فيظهر هنا سؤال آخر: "لماذا لا يستطيع آخرون في الغرلة أن يخلصوا؟". بمعنى حقيقي جدًّا، قد تبرّر إبراهيم وهو ما يزال بعد على قاعدة أممية، مما يُبقي الباب مفتوحًا على وسعه لأمميين آخرين كي يتبرّروا بغير الختان إطلاقًا.

٤ : ١١ الختان إذًا لم يكن الواسطة السببية لتبرير إبراهيم، إذ لم يكن الختان إلاّ **علامة** خارجية في الجسد بأنه قد تبرّر بالإيمان. فالختان أساسًا هو علامة خارجية للعهد بين الله والشعب القديم، ولكن هنا توسّع المعنى ليشير إلى البرّ الذي حسبه الله لإبراهيم بالإيمان.

وبالإضافة إلى كون الختان علامة، فهو ختم؛ **ختم لبرّ الإيمان** الذي حصل عليه **وهو ما يزال في الغرلة**. **العلامة** تشير إلى وجود الشيء الذي تتضمن معناه. **والختم** يصدّق ويثبّت أصالة الشيء الذي يُشار إلى معناه. والختان جاء يثبّت لإبراهيم أن الله قد اعتبره بارًّا وعامله بوصفه بارًّا بالإيمان.

كان **الختان هو الختم لبرّ إيمان** إبراهيم. وهذا قد يعني أنّ **إيمانه** كان بارًّا، أو أنه حصل على البرّ بالإيمان. والجملة الأخيرة هي التي تحمل المعنى الأكيد. **فالختان هو ختم البرّ** الذي يخصّ إيمانه أو الذي حصل عليه على أساس الإيمان.

ولأنّ إبراهيم كان قد تبرّر قبل الختان، فهو يستطيع إذًا أن يكون أبًا لآخرين **في الغرلة**؛ أي للمؤمنين من الأمم، إذ إنّهم يستطيعون أن يتبرّروا بالوسيلة عينها التي تبرّر هو بها، أي بالإيمان.

وعندما يقول الكتاب أن إبراهيم هو أبو الأمميين المؤمنين فهذا بالطبع لا يتضمن أي نسل جسدي. والمعنى هنا أن المؤمنين هم أولاده لأنهم ساروا على خُطى إيمانه. فهم ليسوا أولاده بالولادة بل باتّباعه كمثالٍ لهم. كما أن النص لا يُعلّم أن الأمميين المؤمنين يصبحون «إسرائيل الله». «فإسرائيل الله» مكوّنٌ من اليهود الذين قبلوا يسوع المسيح ربًّا لهم ومخلّصًا.

٤ : ١٢ وقد قَبِل إبراهيم علامة **الختان** لسبب آخر: ليكون **أبًا** لأولئك اليهود الذين هم ليسوا مختونين فقط **بل أيضًا** يتبعونه في خطواته على درب الإيمان، ذلك النوع من الإيمان الذي أظهره **وهو ما يزال في الغرلة**.

يوجد فرق واضح بين كون الإنسان من ذرية إبراهيم وكونه من أولاد إبراهيم. وقال الرب يسوع للفريسيين: «أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم» (يو٨: ٣٧). ولكنه تابع قوله: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم» (يو٨: ٣٩). وهكذا يُصرّ بولس على أن الختان الجسدي ليس ما ينبغي أخذه بالحسبان. ولكن ينبغي أن يكون هناك **إيمان** بالإله الحي. وأولئك الذين هم **من أهل الختان** والذين يؤمنون بالربّ يسوع المسيح هم بالحق

إسـرائيل الله. وبالاختصار إذًا، مرّت فترة في حياة إبراهيم كان عنـده فيها الإيمـان وهو ما يزال في الغرلـة، ثمّ جاءت الفترة التي فيها كان عنده الإيمان وقد أصبح في الختان. وقد رأت عـين بولس البصيرة في ذلك الواقـع أن جميع المؤمنين الآتـين من الأمم والمؤمنين الآتين من اليهود يسـتطيعون أن يَدعوا إبراهيم أبًا لهم ويتحّدوا معه كأولادٍ له.

٤ : ١٣ "يوالـي بولس المناقشـة بلا هـوادة إذ يلاحق كلّ معترض ممكن في كل درب ممكنة، بردٍّ من المنطق والكتاب المقدس". والآن ينبغي للرسـول أن يعالج الاعتراض على أن البركة أتـت بالناموس وبأن الأمميـين الذين لا يعرفون الناموس قد وقعوا تحت اللعنة (انظر يوحنا ٧ : ٤٩).

وعندما وعد الله إبراهيم ونسله بأنه سيكون وارثًا للعالم لم يجعل وعده مشروطًا بالارتباط بناموس ما (إذ أن الناموس لم يكن قد أُعطي إلاّ بعد ٤٣٠ سنة – غل٣ : ١٧). وكان ذلك وعدًا غير مشـروط من النعمـة ويُقبل بالإيمان، وهو الإيمان عينه الذي به نحصل على برّ الله اليوم.

إن التعبير «وارثًا للعالم» يعني بأنه سيكون أبًا للأمميين المؤمنين كما هـو أب لليهود (٤ : ١١، ١٢) لكي يكون أبًا لأمم كثيرة (٤ : ١٧، ١٨)، وليس لأُمّة واحدة فقط. وبالمعنى الكامل، يتمّ الوعد عندما يتسـلّم الربّ يسـوع المسيح، الذي هو نسـل إبراهيم، صولجان الإمبراطورية الكونية ويملك بوصفه ملك الملوك ورب الأرباب.

٤ : ١٤ إن كان أولئك الذين يطلبون بركة الله، وبالخصوص بركة البرّ، يستطيعون أن يرثوها على أساس حفظ الناموس، فعندئذ يصبح الإيمان متعطّلاً والوعد باطلاً. إذ يُدفع الإيمان جانبًا لأنه قاعدة تعـارض الناموس معارضة كلية. والإيمان هـو قضية تصديق، في حـين أن الناموس هـو قضية عمل.

وبذلـك يصبح الوعـد بلا قيمة، لأنه يصبح مؤسّسًـا على شروط لا يستطيع أحد أن يفي بها.

٤ : ١٥ **والناموس ينشـئ غضـبَ الله** وليس بركته. وهو يديـن الذيـن يفشـلون في حفـظ وصاياه باسـتمرار وبالكمال. وبما أنه لا يوجد إنسـان يسـتطيع أن يقوم بهـذا العمل، فلذلـك جميع الذين هم تحـت الناموس وقعوا تحـت دينونة الموت. ومن المسـتحيل أن نكون تحت الناموس دون أن نقع تحت اللعنة.

ولكن **حيث ليس نامـوس ليس أيضًا تعـدٍّ**. **فالتعدّي** يعني انتهاك **ناموس معروف**. ولا يقول بولس أنه حيث ليس ناموس ليس أيضًا خطية، إذ إن عملاً ما قد يكون بالفطرة خطأً، حتى لو لم يكن هناك قانون يمنعه. ولكنه يصبـح تعدّيًا عندما ترتفع مثلاً اليافطـة قائلةً: "أقصى سرعة ٤٥ كم/الساعة".

وقد اعتقـد اليهود أنهـم ورثوا البركة بواسـطة النامـوس، ولكـن في الواقـع أن كل مـا ورثـوا كان التعـدّي. ولقد أعطى الله النامـوس لكي تظهر الخطية كتعـدٍّ، أو بكلمـات أخرى، لكي تظهـر الخطية بكل خاطئيّتها. ولم ينوِ الله أن يسـتخدم الناموس كوسـيلة لخلاص المتعدّين الخطاة.

٤ : ١٦ ولأن النامـوس يُنتج غضب الله وليس التبرير، صمم الله أن يخلّص الإنسان **على سبيل النعمة، بالإيمان** ويعطي حيـاة أبدية كعطية مجانية غير مسـتحَقّة لخطاة فجّار قبلوها بفعل **الإيمان** البسيط.

بهذه الوسيلة أصبح **الوعد** بالحياة ثابتًا ومؤكّدًا **لجميع النسـل**. وعلينا أن نذكر هنا كلمتين: «**وطيدًا**» و«**جميع**». أولاً، يريـد الله أن يكـون **الوعـد** وطيـدًا أو مؤكّدًا. فإن

كان التبرير يعتمد على عمل الإنسان حسب الناموس، فلا يستطيع أن يتيقن؛ لأنه لا يستطيع أن يعلم هل عمل أعمالاً صالحة كفاية أو هل عمل النوع المطلوب من الأعمال. فلا يستطيع أي من يسعى لكسب خلاصه أن يتمتع بتأكيد الخلاص الكامل. ولكن عندما يُقدّم الخلاص كهبة ينبغي قبولها بالإيمان، عندئذ يستطيع الإنسان أن يتيقن بأنه مخلّص معتمدًا على سلطة كلمة الله.

ثانيًا، يريد الله أن يكون الوعد وطيدًا لجميع النسل، وليس فقط لليهود الذين أُعطوا الناموس، بل أيضًا للأمميين الذين وضعوا ثقتهم بالرب بالطريقة نفسها التي اتبعها إبراهيم. فإبراهيم هو أبو جميعنا؛ أي أنه أب لجميع المؤمنين، يهودًا كانوا أم أمميين.

٤: ١٧ ولكي يثبت بولس أُبوّة إبراهيم على جميع المؤمنين الحقيقيين، أدخل تكوين ١٧: ٥ كأنّها جملة بين قوسين: «**لأني أجعلك أبًا لجمهور من الأمم**». واختيار الله قديمًا لشعب أرضيّ لم يعنِ أن تنحصر نعمته ومراحمه فيهم. وبكل إصرار، يقتبس الرسول آية بعد أُخرى من العهد القديم ليبرهن أن قصد الله كان دائمًا مصوّبًا على إكرام الإيمان حيثما وُجد.

والعبارة القائلة: «**أمام الله الذي آمن به**» تُتابع الفكرة التي أتت في ٤: ١٦ والقائلة: «... **إبراهيم الذي هو أب لجميعنا**». والارتباط في هذا هو أن إبراهيم هو أب لجميعنا في نظر الله الذي آمن إبراهيم به، **والذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنّها موجودة**. ولكي نفهم هذه الصفة لله، علينا أن ننظر إلى الأعداد التالية. **الله يحيي الموتى**؛ أي نظير إبراهيم وسارة، فمع أنهما لم يكونا قد ماتا بالجسد كانا بلا أولاد وشاخا إلى درجة لم يكن ممكنًا فيهما أن يولد لهما ولد (انظر ٤: ١٩). والله **الذي يدعو الأشياء غير الموجودة كأنّها موجودة**، إشارةً إلى الذرية التي لا تُعَدّ وتشمل أممًا كثيرة.

٤: ١٨ لقد شدّد بولس في الأعداد السابقة على أن الوعد أُعطيَ لإبراهيم بالإيمان وليس بالناموس، كي يكون بالنعمة ومؤكّدًا لجميع ذريته. وهذا، بطبيعة الحال، يؤدّي إلى اعتبار إيمان إبراهيم بإله القيامة. فقد وعد الله أن يعطي إبراهيم ذرية لا تُعَد كالنجوم ورمل الشاطئ. ومن الوجهة البشرية فإن وعد كذاك كان وعدًا مستحيلاً. ولكن بعكس الوجهة البشرية، **آمن إبراهيم على رجاء أن يصبح أبًا لجمهور من الأمم**، تمامًا كما وعده الله في تكوين ١٥: ٥ «**هكذا يكون نسلك**».

٤: ١٩ وعندما أعطى الله الوعد بالذرية العظيمة لإبراهيم كان في الخامسة والسبعين من العمر (تك١٢: ٢-٤). ففي ذلك الوقت كان باستطاعة إبراهيم جسديًّا أن يكون أبًا إذ أنه ولد إسماعيل (تك١٦: ١-١١). ولكن في هذا العدد يتكلم بولس عن الوقت الذي فيه بلغ إبراهيم المئة سنة من العمر وتجدّد الوعد له (١٧: ١٥-٢١). وفي ذلك الوقت كانت قد تبخرت إمكانية الولادة بغير معجزة قوة الله. ولكن الله قد وعد إبراهيم بابن، وآمن إبراهيم بوعد الله.

وإذ لم يكن ضعيفًا بالإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مُماتًا ولا مماتية مستودع سارة. من الوجهة البشرية كان هذا أمرًا لا رجاء فيه، ولكن كان لإبراهيم إيمان.

٤: ٢٠ إن عدم الإمكانية الظاهرة في أن الوعد سيتحقق لم يُحيّر إبراهيم. إذ أن الله نطق بالوعد وهو آمن به، فحسبه أمرًا مقضيًّا. وأما ما يخصّ رئيس الآباء

فكان هناك استحالة واحدة وهي: أن يكذب الله. كان إيمان إبراهيم قويًّا وحيويًّا. وقد أعطى المجد لله وكرّمه بوصفه مَن يستطيع أن يعتمد عليه في تتميم وعده رغم كل نواميس المصادفات والأرجحيّات.

٤: ٢١ لم يعلم إبراهيم كيف كان الله سيتمم كلمته ولكن كانت هذه قضية عَرَضيّة. لكنه عرف الله وكان عنده كل الثقة بأن الله كان قادرًا كل القدرة لتتميم **ما كان قد وعد به**. من جهة، كان إيمانه إيمانًا عجيبًا؛ ومن جهة أخرى، كان عمل إيمانه أصوب تصرُّف ممكن؛ لأن كلمة الله هي أعظم يقين في الكون. وفي نظر إبراهيم، لم يكن في تصديق كلمة الله أيّة مجازفة قطّ.

٤: ٢٢ لقد سرّ الله بأن يجد رجلًا آمن بكلامه، كما يُسرّ دائمًا. وهكذا قيّد البرّ في حساب إبراهيم. وحيث لم يوجد قبلاً غير الخطية والذنب، لا نجد الآن شيئًا غير موقفٍ بارٍّ أمام الله. وهكذا تحرّر إبراهيم من الدينونة وتبرّر بفضل الله القدّوس، بالإيمان.

٤: ٢٤ ولكن قد كُتب هذا من أجلنا نحن أيضًا. لأن إيماننا يُحتسب برًّا لنا عندما **نؤمن بالله الذي أقام يسوع ربّنا من الأموات**. ولكن الفرق الوحيد هو هذا: آمن إبراهيم أن الله سيعطي حياة للميت (أي لجسده الضعيف ولرحم سارة العاقر). ونحن نؤمن أن الله قد أعطى حياة للأموات بقيامة الرب يسوع المسيح.

ويشرح ماكنتوش *C.H. Mackintosh* قائلاً:

> لقد دُعي إبراهيم ليؤمن بوعد. أمّا نحن فلنا الامتياز بأن نؤمن بواقع قد تثبّت. وقد دُعي هو لينظر أمامه إلى أمر سيتحقق؛ وأما نحن فننظر إلى الخلف، إلى أمر قد تمّ كليًّا؛ وهو الفداء الكامل والمشهود له بواقع المخلِّص المقام والممجد في يمين العظمة في السماء.

٤: ٢٥ لقد أُسلِم الربّ يسوع من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا. ومع أن حرف الجر المستخدم في اليونانية (لأجل – من أجل *dia*) استُخدم هنا بصلة مع خطايانا وتبريرنا، فإن سياق الكلام يتطلب ظلاًّ يختلف بالمعنى في كلتا الحالتين. فقد **أُسلِم** ليس **من أجل خطايانا** فقط بل لأجلِ محوها أيضًا. وقد **أُقيم لأجل تبريرنا**؛ أي ليظهر كمال رضى الله على عمل المسيح الذي به قد تبرّرنا. ففي الحالة الأولى، كانت خطايانا هي المشكلة التي ينبغي أن يعالجها. وفي الحالة الثانية، برّنا هو النتيجة التي أكّدتها قيامةُ المسيح. ولو بقي المسيح في القبر لما كان هناك أي تبرير. ولكن الواقع أنه قام، فهذا يخبرنا أن عمله قد كمل، وإن الثمن قد دُفِع، وأن الله قد رضي عن عمل المخلِّص في التكفير عن الخطية.

و. *فوائد الإنجيل العمليّة* (٥: ١-١١)

يتقدّم الرسول بدعواه في التبرير خطوة أمامية أخرى بمعالجته لهذا السؤال: "ما هي فوائد الإنجيل في حياة المؤمن؟". وبكلمات أخرى، هل للإنجيل فعالية؟ وردُّه جاء يدويّ مجيبًا بنعم، فيما كان يعّد أهم سبع بركات تخصّ المؤمنين. وتلك البركات تفيض للمؤمن من المسيح الذي هو الوسيط بين الله والناس؛ وجميع هبات الله تُعطى بواسطته.

٥: ١ أُولى الفوائد التي يتمتع بها أولئك **الذين تبرّروا بالإيمان هي سلام مع الله بالربّ يسوع المسيح**. فالحرب انتهت والأعمال العدائية قد وقفت، وبفضل عمل المسيح، زالت كل أسباب العداوة وتحوّلنا من أعداء إلى أحباء بأعجوبة النعمة.

٥: ٢ إيضًا نتمتع بالدخول إلى مقام لا يوصف من التمتّع برضى الله وعطفه. وقد قبلنا في المحبوب، لذلك نحن مقرّبون وأحبّاء لدى الله كابنه المحبوب. والآب يمدّ لنا القضيب الذهبي مرحبًا بنا كأبناء وليس كغرباء. وتلك **النعمة** أو التمتع بالحُظوة لدى الله يشمل كل وجهة من وجهات مقامنا أمام الله، ذلك المقام الكامل والدائم كالمسيح، إذ إننا نوجد فيه.

وكأن ذلك لم يكن كافيًا، ففرحنا يكمن في **رجاء مجد الله**. وهذا يعني أنّنا ننظر إلى الأمام بفرح متوقّعين الوقت الذي فيه لا نتفرس فقط في مجد الله بل نحن أيضًا سنظهر في المجد (انظر يوحنا ١٧: ٢٢ وكولوسي٣: ٤). لا نستطيع أن نستوعب المعنى الكامل للرجاء هنا على الأرض ولن نتغلب على الدهشة منه خلال الأبدية كلها.

٥: ٣ والبركة الرابعة التي تفيض من التبرير هي **افتخارنا في الضيقات**. وليس في مظاهر الضيق الحاضرة فقط، بل في نتائجها الفعلية أيضًا (انظر عبرانيين ١٢: ١١). وهذه إحدى مفارقات الإيمان المسيحي السارة التي تُظهر أن الفرح يمكن أن يتواجد مع الضيق. فعكس الفرح هو الخطية، لا الآلام. وإحدى نتائج الضيقات هي أنها **تنتج الصبر** أو الثبات، ولا يمكننا أن نعزّز الصبر أن كانت حياتنا بلا مشاكل.

٥: ٤ ويستمر بولس ليشرح أن **الصبر** يصقل **الشخصية**. فعندما يرى الله أننا صامدون في تجاربنا وناظرون إليه ليعمل فينا مقاصده بواسطتها، يمنحنا ختم مصادقته على صبرنا. أي إننا جُرّبنا وتبيّن نجاحُنا. وتزكية الله لنا على هذا النحو تملأنا **بالرجاء**. إذ ذاك نعلم أن الله يعمل في حياتنا مبلورًا شخصيّاتنا. وهذا يعطينا الثقة بأنه بعدما ابتدأ فينا عملاً صالحًا، يكمل إلى التمام (في١: ٦).

٥: ٥ والرجاء لا يُخزي. إن كنا قد رجونا الحصول على شيء ما، لكن في ما بعد وجدنا أننا لا نستطيع أن نناله، يخيب رجاؤنا أو يخزى. ولكن رجاء خلاصنا لن يُخزيَ. إننا لن نخيب ولن نجد أننا اتكلنا على ثقة باطلة. ولكن كيف يمكننا أن نكون هكذا متيقنين؟ **لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا**. يمكن **لمحبة الله** أن تعني محبتنا لله أو محبته هو لنا. ولكن في هذا العدد تعني المعنى الأخير، لأن الأعداد ٦-٢٠ تردّد بعض براهين محبة الله لنا. **والروح القدس المُعطى لنا** في اللحظة التي نؤمن بها، يغمر قلوبنا بهذه التعابير عن محبّة الله الأبدية، وهكذا تؤكّد لنا هذه الأمور أنّه سيوصلنا بسلام إلى السماء. بعد أن تُعطى الروحَ تدرك أن الله يحبك. وهذا الإدراك ليس شعورًا مُبهمًا أو صوفيًّا يجعلنا نشعر أن "هناك شخصًا أو قوة" يهتم بالجنس البشري. إنّما يكون عندك اقتناع داخلي عميق بأن إلهًا شخصيًّا يحبّك بالفعل أنت بالذات.

٥: ٦ وفي الأعداد ٦-٢٠ يُحاجج بولس من الأدنى إلى الأعلى. ومنطقه هو: إن كانت محبة الله قد ظهرت لنا حينما كنا أعداءه الفجّار، أفلا يحافظ علينا بأكثر عطف إذ أصبحنا ملكه الآن؟ وهذا يأتي بنا إلى الفائدة الخامسة لتبريرنا إلا وهي إننا مضمونون في المسيح إلى الأبد. وللتدرج في هذا الموضوع يذكر الرسول التعبير «بالأولى كثيرًا» خمس مرّات:

«بالأولى كثيرًا» في الخلاص من الغضب (٥: ٩).

«بالأولى كثيرًا» في الحفاظ علينا بحياة قيامته (٥: ١٠).

«بالأولى كثيرًا» في عطيّة النعمة (٥: ١٥).

«بالأولى كثيرًا» في مُلك المؤمنين (٥: ١٧).

«بالأولى كثيرًا» في ازدياد النعمة جدًّا (٥ : ٢٠ حسب الأصل).

وفي الأعداد ٦، ٧، ٨ يشدد بولس على أننا كنا **ضعفاء وفجّارًا وخطاة** عندما مات المسيح من أجلنا. وفي العددين ٩، ١٠ يشدِّد على ما نحن عليه الآن (متبررون بدم المسيح ومُصالَحون بموته) وعلى اليقين الراسخ من جهة ما سيفعله المخلص لأجلنا (يخلصنا من الغضب ويحفظنا بحياته).

أولاً، يذكّرنا الرسول أننا ضعفاء وبؤساء وبلا قوة، غير قادرين على أن نخلّص ذواتنا. ولكن في الوقت المعيّن افتقد الرب يسوع المسيح كوكبنا ومات من أجل الناس. وهو لم يمت من أجل الصالحين، كما يعتقد بعض، بل من أجل **الفجّار**؛ إذ لم يكن فينا فضيلة أو مزيّة توصي بنا خيرًا أمام الله. لقد كنا غير مستحقين كليًّا ولكن رغم هذا، **مات المسيح لأجلنا**.

٥ : ٧ لقد كان عمل المحبة هذا فريدًا ولا يُوازى بشيء في وجود الاختبار البشري. فحياة الإنسان العادي ثمينة عنده ولا يخطر بباله أن يضحي بها من أجل شخص غير مستحق. مثلاً، لا يموت الإنسان الاعتيادي من أجل قاتل زانٍ أو فردٍ في عصابة إجرامية. وفي الواقع أن الإنسان الاعتيادي يتردد عن الموت حتى من أجل **إنسان بارّ** وفاضل ويُعتمد عليه. وفي حالة قصوى، من الممكن أن يموت إنسان من أجل **رجل صالح** أي من أجل رجل حنون وودود ومحبّ ومحبوب.

٥ : ٨ إن **محبة الله** فائقة للطبيعة وأسمى من كلّ ما نراه في هذا العالم. وقد برهن لنا **محبّته** العجيبة بإرسال ابنه الحبيب ليموت عنا ونحن **بعد خطاة**. وإن سألنا لماذا فعل هذا فعلينا أن نبحث عن الجواب في إرادة الله العليا إذ لا صلاح فينا يؤهّلنا لمثل تلك المحبة.

٥ : ٩ وهنا يبرز نوع جديد من الأوضاع. فنحن لا نبقى بعد كخطاة مذنبين، إذ أن المسيح **سفك دمه** على الجلجثة من أجلنا، فحسبنا الله أبرارًا. ولأنه قد دفع ثمنًا باهظًا مثل هذا ليبررنا، في حين كنا خطاة، أفلا **يخلّصنا بالأولى كثيرًا من الغضب** بواسطة المسيح؟ وإن كان قد دفع أبهظ ثمن ليأتي بنا إلى محضر رضاه فهل يسمح لنا أن نهلك بالنهاية؟

والخلاص من الغضب يعني إمّا أن يخلصنا إلى خارج نطاق الغضب وإمّا أن يخلصنا من أي ارتباط بالغضب. وهنا نعتقد أن حرف الجر باليونانيّة يُرجّح المعنى الأخير: الخلاص من أي ارتباط بغضب الله أكان في الزمن الحاضر أو في الأبدية.

٥ : ١٠ لنفكر بما كنا عليه سابقًا وبما نحن عليه الآن: عندما **كنا أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه**، كنا في عداءٍ للربّ وكنا في اكتفاء بحالتنا. ولو تُركنا في حالتنا تلك لما شعرنا بحاجتنا إلى المصالحة معه. افتكر بهذا: **أعداء الله!**

والله لم يماثلنا في التصرّف نحو هذا الأمر إذ تدخل بإظهار نعمة صافية. وموت المسيح البديلي أزال سبب عدائنا نحو الله — أي خطايانا. وبالإيمان بالمسيح **صولحنا مع الله**.

وما دام الله قد اقتنى مصالحتنا بثمن باهظ، فهل يدعنا نهلك؟ وإن كنا قد **صولحنا بموت ابنه**، الموت الذي هو رمز الضعف المطلق، أفلا يحفظنا إلى النهاية بحياة المسيح الحاضرة على يمينه: حياة القوة اللانهائية؟ وإن كان لموته قوة كتلك لخلاصنا، فكم بالحري كثيرًا تكون **قوة حياته** لحفظنا!

٥ : ١١ والآن نأتي إلى الفائدة السادسة للتبرير: **نفتخر بالله بربنا يسوع المسيح**. ونحن لا نفرح فقط بهباته بل أيضًا به هو معطي الهبات نفسه. قبلما خلّصنا وجدنا فرحنا في أماكن أخرى. والآن نحن نفرح كلما ذكرناه ونحزن كلما نسيناه. وما هو الذي أحدث هذا التغيير العجيب حتى أننا نستطيع الآن أن نفرح بالله؟ إنّه عمل الرب يسوع المسيح. وككل البركات، تأتي هذه البركة بواسطته.

والفائدة السابعة التي يتمتّع بها المبرّرون موجودة بالكلمات: **نلنا به الآن المصالحة**. **والمصالحة** تشير إلى تثبيت الوئام بين الله والناس بواسطة عمل المخلص الكفاري. فدخول الخطية قد انتج بُعدًا وعزلة وعداءٍ بين الإنسان والله. وبإزالة الخطية التي سبّبت البعد، استعاد الرب يسوع أولئك الذين آمنوا به إلى حالة وئامٍ مع الله. وعلينا أن نلاحظ أن الله لم يكن يحتاج إلى مصالحة، بل الإنسان هو الذي احتاج إليها إذ كان في حالة عداءٍ مع الله.

ز. *نصرة عمل المسيح على خطيّة آدم* (٥: ١٢-٢١)

٥ : ١٢ بقية الأصحاح الخامس تخدمنا كجسر بين الجزء الأول من الرسالة والأصحاحات الثلاثة التالية. وهي مرتبطة بالجزء الأول بعلاج موضوع "الدينونة بآدم" و"التبرير بالمسيح"، وببرهنة أنّ عمل المسيح نتج منه بركات أعظم من الهلاك والفقدان والتعاسة التي أنتجتها خطية آدم. وبقيّة الأصحاح الخامس مرتبطة بالأصحاحات ٦-٨ بالانتقال من "التبرير" إلى "التقديس" ومن أعمال الخطية إلى الخطية في الطبيعة البشرية.

ويُصوّر آدم في هذه الأعداد كرأسٍ نائب أو ممثّل لجميع الذين هم في الخليقة القديمة. ويتجلى المسيح كرأسٍ نائبٍ لجميع الذين هم في الخليقة الجديدة. والرأس النائب يعمل بالنيابة عن جميع الذين هم تحته. فمثلاً، عندما يضع رئيس دولة إمضاءه لتثبيت قانون، يكون في عمله هذا ممثلاً لجميع مواطني بلاده.

وهذا ما حدث في قضية آدم. فنتيجةً **لخطيّته، دخل موت البشر إلى العالم**. وأصبح الموت نصيب كل ذرية آدم إذ أن **جميعهم قد اخطأوا به**. ومن الحق أن جميعهم أيضًا قد ارتكبوا أعمال خطية فردية، ولكن ليس هذا ما هو مقصود هنا. ونقطة بولس هي أن خطية آدم كانت عملاً تمثيليًّا، وبذلك حُسبت كل ذريته أنها **أخطأت** فيه.

قد يعترض بعضهم بالقول إنّ حواء وليس آدم هي التي ارتكبت أول خطيّة على وجه الأرض. طبعًا، هذا قول حق، ولكن بما أن آدم كان أول من خُلق، فقد صارت له الرئاسة، ولذلك نراه يعمل ممثّلاً لكل ذريته.

ويقول الرسول بولس هنا أن الموت انتشر **إلى جميع الناس**، وهو يشير هنا إلى موت الجسد، مع أن خطية آدم قد جلبت أيضًا الموت الروحي (تبرهن الأعداد ١٣، ١٤ إن الموت هنا هو موت جسدي أساسًا).

عندما نصل إلى هذا النص من الكتاب، لا بدّ أن تُثار عدة أسئلة. فهل من العدل أن تُحسب ذرية آدم خطاة لأنه هو أخطأ؟ وهل يدين الله الناس لأنهم وُلدوا خطاة، أم أنه يدينهم من أجل تلك الخطايا التي ارتكبوها بالفعل؟ وإن وُلد الناس خطاة، أو إن هم أخطأوا لأنهم وُلدوا خطاة، فكيف يحسبهم الله مسؤولين عما يعملون؟

وقد نازل دارسو الكتاب المقدس مشكلات كثيرة كهذه، واستنتجوا استنتاجات مختلفة ومثيرة للدهشة. ولكن هناك بعض الحقائق الراسخة التي نستطيع أن نتيقّن بها:

أولاً، يعلّم الكتاب المقدّس أنّ الناس أجمعين هم خطاة بالطبيعة والأعمال معًا. وإن كل من يولد من أبوين بشريين يرث خطية آدم كما أنه يخطئ بمحض إرادته.

ثانيًا، نعلم أن أجرة الخطية هي موت؛ كلا الموتين الجسدي والانفصال الأبدي عن الله.

ولكن لا ينبغي لأحد أن يدفع جزاء الخطية إلا إذا هو شاء أن يدفعه. وهذه هي النقطة المهمة. فبكلفة باهظة، أرسل الله ابنه ليموت كبديل عن الخطاة. والخلاص من الخطية وأجرتها قد عُرِضَ كهبة مجانية بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

والإنسان يُدان على ثلاثة أساسات: لأن طبيعته خاطئة، ولأن خطية آدم وُضِعت عليه، ولأنّه خاطئ بالفعل. ولكن ذروة ذنبه هي رفضه للخلاص المقدّم له (يو٣: ١٨، ١٩، ٣٦).

إنّما قد يسأل أحدُهم: "ماذا سيحدث لأولئك الذين لم يسمعوا بشارة الإنجيل إطلاقًا؟". لقد جاوب الرسول عن هذا السؤال جزئيًّا في الأصحاح الأول. وما وراء هذه النقطة هو اليقين أن ديّان الأرض كلها سيصنع عدلاً (تك١٨: ٢٥). وهو لن يتصرف بإجحاف وظلم. وكل أحكامه مبنيّة على العدل والبرّ. ومع أن بعض الحالات قد تُسبّب مشكلات في نظرنا الضعيف، فهي ليست بمشكلات له. وبعدما يُنظر في آخر قضية وتُقفل أبواب قاعة المحكمة، لن يكون لأي شخص مستند شرعيّ للاستئناف.

٥: ١٣ يُظهِر بولس الآن أن خطية آدم أصابت الجنس البشري برمّته. وهو أولاً يشير إلى أن **الخطية كانت في العالم** في الفترة ما بين آدم وإعطاء الناموس على جبل سيناء. ولكن في تلك الفترة لم يكن هناك ناموس واضح من الله. وقد استلم آدم وصية من الرب واضحة وشفهية، وبعد قرون عديدة أُعطيت الوصايا العشر ضِمنَ ناموسٍ إلهي موُحى به. ولكن في ذلك الوقت لم يكن للإنسان أي مجموعة قوانين من الله. ومع أن الخطية كانت سائدة في تلك الأيام، فلم يكن هناك تعدٍّ، لأن التعدّي هو انتهاك قانونٍ معروف. ولكن الخطية **لم تحسب تعدّيًا إذ لم يوجد ناموس يمنعها**.

٥: ١٤ ومع ذلك لم يأخذ **الموت** عطلةً في تلك الفترة التي لم يكن فيها ناموس. وباستثناء أخنوخ حلّ الموت بجميع بني البشر. ولا يستطيع أحد أن يقول بأن أولئك الناس ماتوا لأنهم تعدّوا وصية إلهية واضحة كما فعل آدم. ولكن لماذا ماتوا إذًا؟ والجواب هو موجود ضمنًا: لقد ماتوا لأنهم أخطأوا بآدم. وإن ظهر أن هذا عمل غير عادل فتذكّر أن ليس لهذا أي علاقة بالخلاص. إذ أن كل الذين وضعوا ثقتهم بالرب يسوع يخلصون إلى الأبد ولكنهم يموتون جسديًّا كالآخرين، وسبب موتهم هو: خطية رأسهم النائب آدم. وفي دوره كرأسٍ نائب **كان آدم مثالاً للآتي**؛ أي الرب يسوع المسيح. وفي الأعداد التالية يوسّع بولس موضوع هذين الرأسين النائبين، ولكن بالمفارقة بينهما أكثر مما هو بالمقارنة. وهو يبرهن أن:

في المسيح يفرح أبناء آدم
بركات أكثر مما فقد أبوهم.

٥: ١٥ وأول مفارقة هي بين خطيّة آدم وهبة المسيح المجانية. فبتعدّي الإنسان الأول مات الكثيرون. و«**الكثيرون**» هنا تشير طبعًا إلى ذريّة آدم. والموت هنا قد يتضمن الموت الروحي كما يتضمّن الموت الجسدي.

والهبة تزداد أكثر بكثير **للكثيرين**. والهبة المجانية هي تعبير عجيب عن ازدياد **نعمة الله** للجنس البشري الخاطئ. وقد صارت ممكنة بنعمة **الإنسان الواحد**، أي الرب يسوع المسيح. وكانت تلك نعمة مذهلة من جهته إذ مات من أجل خليقته المتمردة. وبواسطة موته الكفاري، قد عُرِضت هبة الحياة الأبدية هذه على **الكثيرين**.

وكلا الذِّكرين لـ«الكثيرين» في هذا العدد لا يشير إلى الأشخاص أنفسهم. فأوّل «كثيرون» تتضمن جميع الذين أصبحوا خاضعين للموت نتيجة لتعدّي آدم. وأما «الكثيرين» الثانية: فتعني أعضاء الخليقة الجديدة، التي يسوع رأسها النائب، ويُقصَد بها فقط أولئك الذين ازدادت لهم نعمة الله؛ أي المؤمنون الحقيقيون. وبينما تُغدَق مراحم الله على الجميع، فإنّ نعمته هي من نصيب أولئك الذين وثقوا بالمخلّص فقط.

٥: ١٦ ويوجد أيضًا مفارقة مهمة أخرى بين خطية آدم وهبة المسيح. فخطيّة آدم جلبت **دينونة** لا بدّ منها، والحكم الصادر كان "مُدان". أمّا **هبة** المسيح المجانية من الناحية الأخرى، فعالجت الكثير من الخطايا (وليس خطية واحدة فقط) علاجًا فعّالاً وصدر الحكم "مُبرّأ". ويُبرز بولس الاختلافات بين خطية آدم وهبة المسيح؛ وبين الفوضى الشديدة التي سببتها خطية واحدة والخلاص العجيب من خطايا كثيرة، وأخيرًا بين حكم **الدينونة** وحكم **التبرير**.

٥: ١٧ وبخطية الرجل الواحد تملّك الموت كطاغية مستبد. ولكن بهبة البرّ، الهبة المملوّة نعمة فائضة، يملك المؤمنون في الحياة بالواحد أي الرب يسوع المسيح.

يا لها من نعمة! فلم نُنجَّ من مُلك الموت فقط كمستبد طاغية يسيطر علينا، بل إننا أيضًا نملك كملوك متمتعين بالحياة الآن وفي الأبدية. فهل نستوعب هذا الأمر ونقدّره؟ أنعيش كالعائلة المالكة السماوية؟ أم نتمرّغ بين أكوام نفايات العالم؟

٥: ١٨ وخطية آدم جلبت حُكم الدينونة على جميع الناس، ولكن عمل المسيح البار جلب تبرير الحياة للجميع. وعمل البرّ ذلك لم يكن هو حياة المُخلّص ولا حفظه للناموس، بل بالحري كان موته كالبديل على صليب الجلجثة. فهذا ما أحدث **تبرير الحياة** — أي التبرير الذي يُنتج حياةً — وعرّضه على كل الناس.

وكلا «جميع الناس» في هذا العدد لا يُشير إلى جماعة الناس عينها. فـ«جميع الناس» الأولى تعني أولئك الذين هم في آدم، و«جميع الناس» الثانية تعني أولئك الذين هم في المسيح. وهذا واضح من العدد السابق: «الذين ينالون فيض النعمة وعطيّة البرّ...» وينبغي أن تُقبل الهبة بالإيمان، وفقط أولئك الذين وضعوا ثقتهم بالمسيح يقبلون **تبرير الحياة**.

٥: ١٩ كما أنّه بعصيان آدم لوصية الله صار الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بطاعة المسيح للآب يصير الكثيرون أبرارًا. فإن طاعة المسيح قد قادته إلى الصليب ليحمل خطايانا.

ولن ينتفع شيعة "الكونيين *universalists*" القائلين بخلاص جميع البشر باستخدام هذه الأعداد في محاولة البرهنة أن جميع الناس سيخلصون في النهاية، إذ

أن النص هنا يعالج قضية الرأسين النائبين ومن الواضح أنه كما أن خطية آدم تلحق الذين هم «فيه»، هكذا عمل برّ المسيح يفيد فقط أولئك الذين هم «فيه».

٥: ٢٠ وقول بولس قد ينتج صدمة شديدة للمعترض اليهودي، الذي يشعر أن كل شيء يدور حول الناموس. فالآن يتعلم المعترض أن الخطية والخلاص لا يتمركزان في الناموس بل في رأسين نائبين. وبما أن تلك هي القضية، قد يحاول أن يسأل: "لماذا أُعطي الناموس إذًا؟"؛ ويرد الرسول عليه «**وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية**». فالناموس لم ينشئ الخطية، ولكنه أظهرها كمعصية ضدّ الله. كما أنه لم يخلّص أحدًا من الخطية، ولكنه أظهر الخطية في جميع حالاتها الرهيبة. غير أن نعمة الله تُثبت أنّها أعظم من خطايا الإنسان كلّها. **فحيث كثُرت الخطية، فأكثر كثيرًا ازدادت نعمة** الله الظاهرة في صليب الجلجثة.

٥: ٢١ والآن بما أن مُلك الخطية الذي أنزل الموت بجميع الناس، قد انتهى، **تملك النعمة بالبرّ معطيةً الحياة الأبدية بيسوع المسيح ربّنا**. لاحظ أن النعمة **تملك بالبرّ**. فكلّ متطلبات قداسة الله قد وُفّيت، وجزاء الناموس قد دُفع؛ وهكذا صار باستطاعة الله أن يمنح حياة أبدية لجميع الذين يلتمسون استحقاقات المسيح الذي هو بديلهم.

وقد نجد في هذه الأعداد ردًّا جزئيًّا للسؤال العام "لماذا سمح الله للخطيّة بأن تدخل إلى العالم؟". فالجواب هو أن الله قد تمجّد، والإنسان قد تبارك، بواسطة كفارة المسيح، أكثر مما لو أن الخطية لم تدخل إلى العالم. فنحن في المسيح أفضل جدًّا مما كان ممكنًا أن نكون في آدم قبل السقوط. ولو لم يخطئ آدم لتمتّع بحياة دائمة على الأرض في جنة عدن، ولكنه بذلك لا يكون عنده مجال كي يصبح ولدًا مفديًّا من أولاد الله ووارثًا لله مع المسيح. ولا يكون عنده أي وعد كي يرث السماء كبيته أو أن يكون كالمسيح وأن يصبح مثله إلى الأبد. فهذه البركات تأتي فقط بواسطة العمل الكفاري **ليسوع المسيح ربّنا**.

ح. *الإنجيل طريق للعيش بقداسة (أص٦)*

ما قاله بولس في انتهاء الأصحاح الخامس — أي أن النعمة تزداد بوفرة فائقة على خطايا الإنسان كلّها —أثار بذلك سؤالاً آخر ومهمًّا وهو: هل يسمح تعليم الإنجيل (بخصوص الخلاص بالنعمة وبالإيمان) بالعيش في الخطية، أو هل يشجّع الإنسانَ على ذلك؟

والجواب هو إنكار شديد يمتدّ خلال الأصحاحات ٦-٨. وفي أصحاح ٨ يتمركز الجواب حول ثلاث كلمات مهمة هي: **يعلم** (ع٣، ٦)، **ويحسب** (ع١١)، **ويقدّم** (ع١٣).

وقد يساعدنا على فهم حجة بولس في هذا الأصحاح أن نفهم الفرق بين مقام المؤمن وحالته العمليّة. فمقامه هو مركزه في المسيح، أما حالته فهي ما هو عليه بنفسه، أو ما ينبغي له أن يكون عليه، في حياته اليومية.

والنعمة هي التي تضعنا في ذلك المركز وبعد ذلك تعلّمنا أن نسلك كما يحقّ له. ومركزنا هو كامل إطلاقًا لأننا في المسيح. وأعمالنا ينبغي أن تتوازى باستمرار مع مركزنا. ولن يمكنها أن تتوازى بالكمال إلا حينما نرى المخلّص في السماء، ولكن الآن ينبغي أن نصبح مشابهين صورته أكثر فأكثر.

ويعرض الرسول حقيقة هويتنا أولاً في اتّحادنا بالمسيح في موته وقيامته، وبعد ذلك يحثّنا كي نعيش في نور هذا الحق العظيم.

٦: ١ يتقدّم المعترض اليهودي بما يعتقد أنها حجة قاهرة. إن كانت نعمة الإنجيل تعلّمنا أن خطية الإنسان توفّر مكانًا أعظم لإظهار نعمة الله، أفلا يوحي هذا أنّ علينا أن نستمر بالخطية كي تكثر النعمة؟

وإليك تعبيرًا حديثًا عن هذه الحجة: "أنت تقول إن الناس يخلصون بالنعمة بالإيمان بدون الناموس، ولكن إن كان عليك فقط أن تؤمن لكي تخلص، فعندئذ يصير باستطاعتك أن تذهب وتعيش في الخطيّة". وبحسب هذه الحجة، لا تكون النعمة حافزًا كافيًا للعيش بقداسة، فيصبح من الضروريّ أن نضع الناس تحت قيود الناموس وضوابطه.

وممّا يساعدنا أن نتوقّف عند ما اقترحه بعضُهم من أنّ الأصحاح يحتوي على أربعة أجوبة عن السؤال الأوليّ الذي هو: أنبقى في الخطية؟

١- لا تستطيع ذلك لأنك قد اتّحدت بالمسيح: تعليل (ع١-١١).

٢- لا تحتاج إلى ذلك لأن سلطان الخطية قد انكسر بالنعمة: مناشدة (ع١٢-١٤).

٣- لا ينبغي أن تقوم بذلك وإلا ستجلب الخطية مرّة أُخرى كسيدة على حياتك: وصية (ع١٥-١٩).

٤- ومن الأفضل أن لا تفعل ذلك لأنها تنتج كارثة: تحذير (ع٢٠-٢٣).

٦: ٢ وأول ردّ يُقدّمه بولس هو أننا لا نستطيع أن نستمر بالخطية لأننا قد متنا عن الخطية. وهذه حقيقة تتعلّق بمقامنا، إذ عندما مات المسيح من أجل الخطية، مات ممثّلاً لنا. وهو لم يمت فقط كبديلنا — أي من أجلنا أو عوضًا عنا — بل أيضًا مات ممثّلاً لنا — أي كأنّه نحن. لذلك، عندما مات المسيح مُتنا نحن أيضًا. وقد مات المسيح من أجل قضية الخطية كلها وليحلّ مشكلتها مرة وإلى الأبد. وينظر الله إلى كلّ الذين هم في المسيح وكأنهم قد ماتوا بالنسبة إلى الخطيّة.

وهذا لا يعني أن المؤمن لا يخطئ، لكن يعني أنه قد اتحد بالمسيح في موته وفي كلّ ما حمل موته من معانٍ.

٦: ٣ أوّل كلمة مهمّة في معالجة بولس للموضوع هي "المعرفة". وهو يأتي هنا بموضوع المعمودية ليبرهن أنه يوجد تناقض أدبيّ إن استمر المؤمن بعمل الخطية. ولكن السؤال الذي يُثار في الحال هو: "لأي معمودية أشار الرسول؟" ولذلك يصير من الضروري أن نورد كلمة تفسير تمهيدية.

عندما يخلص الإنسان يعتمد ليسوع المسيح بمعنى أنّه يتّحد بالمسيح في موته وقيامته. وهذا ليس هو معمودية الروح، مع أن كلتا العمليّتين تحدثان معًا وفي الوقت نفسه. فإنّ معمودية الروح تُدخل المؤمن في جسد المسيح (١كو١٢: ١٣)، وهي ليست معمودية للموت. والمعمودية للمسيح تعني أنّه في حسبان الله قد مات المؤمن مع المسيح وقام معه.

عندما يتحدّث بولس هنا عن المعمودية، فهو يفكّر — في آنٍ معًا — باندماجنا الروحيّ في المسيح، وبتصويرنا لهذه الحقيقة في معمودية الماء. ولكن إذ يتقدّم في التعليل، يبدو أنّه ينقل نقطة التشديد، بطريقة خاصّة، إلى معموديّة الماء، مذكّرًا قرّاءه كيف «دُفنوا» مع المسيح و «صاروا متّحدين معه بشبه موته».

إنّ العهد الجديد لا ينظر البتّة في الحالة غير السويّة لمؤمنٍ لم يعتمد. فالكتاب يفترض أن كل من يولّد ثانيةً يخضع للمعموديّة حالاً. لذلك يتكلم الربّ عن الإيمان

والمعموديّة في الوقت عينه: «من آمن واعتمد خلص» (مر١٦: ١٦). ومع أن المعمودية ليست ضرورية للخلاص فهي علامة بارزة للخلاص لا بدّ منها.

٦: ٤ وتعطينا **معموديّة** الماء صورة عيانيّة عن **الاعتماد للمسيح**؛ إذ تصوّر المؤمن وهو يُغطّس في مياه الموت الغامرة (في شخص الربّ يسوع المسيح)، كما تصوّر الإنسان الجديد في المسيح قائمًا ليسلك في جِدّة الحياة. وبمعنى من المعاني فإنّ المؤمن يحضر جنازة ذاته القديمة عندما يعتمد. فإذ يغطس تحت الماء يقول: "كل ما كُنتُه كابن خاطئ لآدم قد أُميت في الصليب". وإذ يصعد من تحت الماء يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (انظر غلاطية ٢: ٢٠).

يصرح كونيبار وهوسن *Conybeare and Howson* أن: "لا يمكن فهم هذا النص حقّ الفهم إلا إذا وضعنا في فكرنا أن المعمودية في الأصل كانت بالتغطيس".

ويستمر الرسول في تصريحه بأنّ قيامة المسيح تجعل من الممكن لنا أن نسلك **في جِدّة الحياة** كما أنه يصرح بأن المسيح قد **أُقيم من الأموات بمجد الآب**. وهذا يعني أن كل كمالات الله — برّه ومحبته وعدالته ... الخ — تطلّبت أن يقيم الربّ يسوع. فبالنظر إلى سموّ شخص المخلّص الفائق، لم يكن موافقًا لطبيعة الله أن يترك المخلّص في القبر. فإذ إنّ الله أقام المسيح وبما أننا اتّحدنا بقيامته، نستطيع أن **نسلك في جِدّة الحياة**، بل ينبغي لنا أن نسلك فيها أيضًا.

٦: ٥ كما أننا اتّحدنا مع المسيح في **شبه موته**، فلا شك أننا سنتّحد معه أيضًا في (شبه) **قيامته**. والكلمات «شبه موته» تشير إلى المؤمن وهو تحت الماء في المعمودية. والاتّحاد الفعلي مع المسيح في موته قد حدث من نحو ٢٠٠٠ سنة، ولكن المعمودية هي «شبه» ما قد حدث في ذلك الوقت.

ونحن لا ننزل تحت الماء فقط، بل نصعد أيضًا من الماء في شبه قيامته. ومع أن العبارة «في شبه» ليست في الواقع جزءًا من النص الأصلي في القسم الثاني من هذا العدد، فإنّ إضافتها تُكمل المعنى.

وكما أننا **اتّحدنا مع المسيح في شبه موته** (التغطيس في الماء)، هكذا اتّحدنا معه **في** شبه **قيامته** (بصعودنا من الماء). والعبارة «**نصير أيضًا**» لا تشير بالضرورة إلى عملية مستقبلية. ويقول هودج *Hodge*:

> الإشارة ليست إلى ما سيحدث في ما بعد بل إلى يقينيّة النتيجة المترتّبة على الخطوة الأولى، أو إلى الارتباط السببيّ. لأنه إن حدث أمر واحد فالأمر الآخر يتبع بالتأكيد.

٦: ٦ وفي المعمودية نعترف أنّ **إنساننا العتيق قد صُلِب** في المسيح. **وإنساننا العتيق** يشير إلى كل ما كنا عليه كأولاد آدم — ذواتنا القديمة والشريرة والفاسقة، مع كل عاداتنا القديمة وشهواتنا. فعند الرجوع إلى الربّ **نخلع الإنسان العتيق** ونلبس الإنسان الجديد وكأننا بدّلنا بخرقنا البالية ثيابًا فاخرة (كو٣: ٩، ١٠).

وصَلْبُ **الإنسان العتيق** على الجلجثة يعني أن **جسد الخطية** قد جُرِّد من سلطته. **وجسد الخطية** لا يشير إلى الجسد البشري، ولكن بالحري يعني سكنى الخطية التي تشخّصت كالطاغية السائدة على الإنسان. وقد أُبطل جسد الخطية هذا أي عُطّل أو جُعل بلا فاعلية كقوة كانت مهيمنة. والتعبير الأخير يُظهر أن هذا هو المعنى المقصود: **لكي لا نكون نُستعبد أيضًا للخطية**؛ إذ أن طغيان الخطية علينا قد سُحق.

٦ : ٧ **لأنّ الذي مات قد تبرّأ من الخطية.** مثلاً، هنا رجل قد حُكم عليه أن يُعدَم رميًا بالرصاص لقتله شرطيًّا. فحالما يموت يكون قد تبرّأ (أو تحرّر) من الخطية، إذ أن الجزاء قد دُفع والقضية قد انتهت وطُويت.

ونحن قد متنا مع المسيح على صليب الجلجثة. فليس أنّ عقوبتنا قد دُفعت فقط، بل إنّ قبضة الخطيّة الخانقة لحياتنا قد حُطّمت أيضًا. فنحن لم نَعُد بَعدُ أسرى الخطيّة العاجزين.

٦ : ٨ **وموتنا مع المسيح** هو وجهة واحدة من الحقيقة. والوجهة الأخرى هي أننا **نحيا معه**، إذ متنا عن الخطيّة فنعيش للبرّ. وقد تقوّض سلطان الخطية علينا إذ نشترك في حياة قيامة المسيح هنا والآن، كما أننا سنشترك فيها مدى الأبدية؛ مجدًا لاسمه!

٦ : ٩ وثقتنا مُستندة على واقع كون المسيح المُقام لن يموت ثانية. **فالموت لا يسود عليه بعد.** إذ أن الموت قد ساد عليه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، ولكن تلك السيادة قد تبخّرت للأبد، ولن يموت المسيح مرة أخرى البتّة.

٦ : ١٠ عندما مات المسيح فقد مات لأجل موضوع **الخطية** برمته **مرّة** وإلى الأبد. كما أنه مات لأجل دعاوي الخطية وأجرتها ومطالبها وعقابها. لقد أكمل العمل ودفع الدين بالكمال حتى أن مثل ذلك العمل لا يلزم أن يتكرر مرة ثانية. والآن بما أنه يحيا **فهو يحيا لله.** بمعنًى من المعاني، لقد عاش دائمًا لله بطبيعة الحال. لكنّه الآن **يحيا لله** في علاقة جديدة، بوصفه الربّ المُقام حيًّا من بين الأموات، وفي دائرة جديدة لا تستطيع الخطية أن تدخل إليها البتّة.

وقبل أن نستمر في الشرح نُعيد النظر في الأعداد العشرة الأولى حيث الموضوع العام فيها هو **التقديس**؛ أعني أسلوب الله لحياة القداسة. فأمّا من ناحية مقامنا أمام الله، فنحن نظهر وكأننا مُتنا مع المسيح وقمنا معه. وهذا ما تصوِّره المعمودية. وموتنا في المسيح قد أنهى تاريخنا كرجال ونساء في آدم. وحُكم الله على إنساننا العتيق لم يكن الإصلاح، بل الموت. وقد نُفِّذ ذلك الحكم عندما متنا مع المسيح. والآن نحن قد قمنا مع المسيح لنسلك في جِدّة الحياة. وطغيان الخطية علينا قد تعطّل لأنْ ليس للخطية أي شيء تستطيع أن تقوله لمن مات. وأصبحنا الآن أحرارًا لنعيش لله.

٦ : ١١ لقد وصف بولس ما يصحُّ علينا من حيث المقام. ويتحوّل الآن إلى النتيجة العمليّة لهذه الحقيقة في حياتنا ينبغي أن **نحسب أنفسنا أمواتًا عن الخطية ولكنْ أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا.**

والحسبان هنا يعني أن نقبل ما قاله الله عنا بوصفه حقيقةً وأن نعيش في نورها. وقد كتبت روث باكسون *Ruth Paxon* قائلة:

> هذا يعني أن نصدق ما قاله الله في رومية ٦ : ٦ عارفين أنها حقيقة لخلاص الإنسان الشخصي. وهذا يتطلب عملاً واضحًا من الإيمان، ينتج بموقف ثابت تجاه «الإنسان القديم». فنراه حيث يراه الله: على الصليب، مُماتًا مع المسيح. والإيمان يعمل عملاً دائبًا ليحفظه في المكان الذي وضعته فيه النعمة. وهذا ما يعنينا في الصميم إذ يُفيد أننا أعطينا موافقتنا القلبيّة على دينونة الله وحكمه على "الأنا" القديمة باعتبارها غير مستحقّة للعيش ومجرّدة من أي حقوق علينا. وأول خطوة في مسلك القداسة العمليّ هي هذا الحسبان من جهة صلب الإنسان القديم.

إننا **نحسب أنفسنا أمواتًا للخطية** عندما نتجاوب مع التجربة كما يتجاوب معها إنسان ميت. يومًا اقتربت إلى أوغسطينس امرأة كانت له خليلة قبل توبته، وعندما تحوّل عنها وابتعد بسرعة، رفعت صوتها ونادته: "أوغسطينوس، هذه أنا". جاوبها وهو يسرع الخطى دون أن يلتفت: "نعم، أنا أعلم أن هذه هي أنت، وأما هذا فليس أنا". وما عناه هو أنه كان قد مات للخطية ويعيش لله. والإنسان الميت لا يرتكب الإثم أو الكذب أو الخداع أو الثرثرة أو أي خطيّة أخرى.

والآن **نحن أحياء لله بالمسيح يسوع**. وهذا يعني أننا قد دُعينا للقداسة والعبادة والصلاة والخدمة والإثمار.

٦: ١٢ رأينا في ٦: ٦ أن إنساننا العتيق قد صُلب كي تنكسر شوكة الخطيّة كالطاغية المالكة ولكي لا نبقى أسرى الخطيّة العواجز. والآن نجد أن الحث العمليّ مؤسّس على ما هو حقّ من حيث المقام. ولا ينبغي لنا أن **ندع الخطية تملك في أجسادنا المائتة** بإطاعة شهواتنا الشريرة. فمُلك الخطية انتهى بموت المسيح على الجلجثة. والآن علينا أن نعيش ذلك عمليًّا. ولكن الله ينتظر تعاوننا ويريده. فهو وحده يستطيع أن يقدّسنا ولكنه لن يفعل هذا دون الخضوع الطوعيّ له.

٦: ١٣ وهذا يأتي بنا إلى الكلمة الثالثة المهمة في هذا الأصحاح: «**قدّموا**». **لا ينبغي أن نقدّم أعضاء أجسادنا للخطية كي تُستخدم كسلاح أو كآلات إثم**. فواجبنا أن نعطي السيطرة على أعضائنا لله ليستخدمها في سبيل البرّ. وبالخصوص لأننا قد قُمنا للحياة من الموت ويذكّرنا ٦: ٤ بأن نسلك في جدّة الحياة.

٦: ١٤ ويعطينا الآن سببًا آخر لماذا لا ينبغي للخطية أن تتملّك علينا كمؤمنين. كان السبب الأول هو أن إنساننا العتيق قد صُلب مع المسيح (٦: ٦). والسبب الثاني هو أننا **لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة**.

للخطية قوّة قاهرة على الشخص الخاضع للناموس. لماذا؟ لأن الناموس يأمره بما ينبغي أن يفعله ولكنّه لا يعطيه القدرة لكي يقوم بعمل ما عليه فعله. والناموس يثير شهوات نائمة في الطبيعة البشرية الساقطة ليعمل الإنسان ما هو ممنوع. وهذا يوافق الكلمة المأثورة: "كلّ ممنوع مرغوب".

والخطية لا تتملّك على الإنسان الموجود تحت النعمة. فالمؤمن قد مات للخطية، وقد قبل الروح القدس الساكن فيه والذي يعطيه القوة للعيش في حياة القداسة، كما أن حافزه هو محبته للمخلّص وليس خوفه من العقاب. **فالنعمة** بالحق هي الأمر الوحيد الذي ينتج قداسة، كما يقول دني *Denny*: "ليس الكبح بل عمل الروح القدس هو الذي يحرّر من الخطية، وليس جبل سينا بل جبل الجلجثة هو الذي يجعل منا قديسين".

٦: ١٥ وأولئك الذين يخافون من **النعمة** يصرّون على أنها تعطي إباحةً للخطية. ويواجه بولس هذا الخطأ بإثارة السؤال وبإنكاره نكرانًا مباشرًا. فإذ نحن أحرار من الناموس، لسنا بلا ناموس أو قانون. **فالنعمة** تعني حرية لنخدم السيد، لا لنخطئ إليه.

في٦: ١ كان السؤال «أنبقى في الخطية؟»، وهنا يبرز السؤال: «**أنُخطِئ** قليلاً؟» والجواب في كلتا الحالتين «**حاشا**» مؤكّدة ومشدّدة، إذ أن الله لا يتغاضى عن الخطية البتّة.

٦: ١٦ إنّ الواقـع البسـيط في الحياة يؤكّـد أنّنا عندما نُخضع أنفسنا لأحد ما ونجعله سيدنا، نصبح عندئذ عبيدًا لذلك الشـخص. وبطريقة مماثلة أن بِعنا أنفسنا للخطيّة نصبح عبيـدًا للخطيّة، والموت الأبدي يكون منتظرنا في آخر الطريق. ومن جهة أخرى، إن اخترنا أن نطيع الله، تكون النتيجة حياة مقدَّسـة. وعبيد الخطية هم مقيدون بالذنـب والخوف والبؤس؛ أمّا عبيد الله فهُم أحرار لكي يعملوا ما تودّه الطبيعة الجديدة فيهم. إذًا، لماذا تختار أن تكون عبدًا في حال أنك تستطيع أن تكون حرًّا.

٦: ١٧ "اشـكروا الله، أنتم يا من كنتم مرة عبيدًا للخطية ولكـن تجاوبتـم بأمانة مـع تعليم المسـيح الفعّـال عندما تعرّضتم لتأثيره" (ترجمـة فيلبس *JBP*). وقد أظهر مؤمنو رومية طاعةً من القلب لإنجيل النعمة الذي أودعوه أنفسهم وقبلوه مع تعاليمه التي ذكرها بولس في هذه الرسالة.

٦: ١٨ والتعليـم الصحيح يقود إلى سـلوك صحيح. وتجاوبًا مـع حقيقة كونهم قد تحـرّروا من الخطية التي كانت سـيّدةً عليهـم، أصبحوا عبيدًا للـبرّ. والعبارة **«أعتقتـم من الخطية»** لا تعني أنهـم لم يعودوا يمتلكون بعدُ طبيعةً خاطئة، ولا تعني أنهـم لا يرتكبون بعد أيّة خطيّة البتّة. فواضح أن النصّ هنا يشـير إلى الحرية من الخطية كقوّة مسيطرة على الحياة.

٦: ١٩ في العـدد ١٨ تكلّم الرسـول عـن عبيد البرّ، ولكنه أدرك أن الذين يعيشون بالبرّ، هم بالفعل ليسوا في العبوديّـة لأنّ "البرّ العمليّ ليس بعبودية إلا إذا تكلّمنا عنه بطريقةٍ بشـريّة". وأولئك الذين يمارسـون الخطية هم عبيد للخطيـة، ولكن أولئك الذين حرّرهم الابن، هم بالحقيقة أحرار (يو٨: ٣٤، ٣٦).

وشـرح بولـس أن باسـتخدامه اسـتعارة العبيد والأسـياد فإنّـه بتعابـير إنسـانية، أي أنـه يسـتخدم توضيحـات مألوفة في حياتنا اليوميـة. وقد فعل ذلك **مـن أجل ضعـف أجسـادهم**. وبكلمات أخـرى، لأجل الصعوبـات الروحية والفكرية في فهم الحقائق المدرجة بتعابـير عامـة. فالحقائق تحتـاج إلى التوضيحات كي تصبح مفهومة.

كان المؤمنون، قبل رجوعهم إلى الرب، قد أسلموا أجسادهم عبيدًا لكل أنواع الفسق ولكل شرّ بعد شرّ. والآن عليهم أن يكرّسـوا تلك الأجساد نفسها **عبيدًا للبرّ** حتى تصير حياتهم حياة مقدَّسة بالحق.

٦: ٢٠ عندمـا كانوا **عبيدًا للخطيـة**، فالحرية الوحيدة التي عرفوها كانت الحرية من البِرّ. كانت حالتهم حالة يائسة؛ مقيّدة بكل شرّ ومتحرّرة من كل صلاح.

٦: ٢١ ويحثّهـم بولس (كما يحثّنا) لكـي يُجروا جردًا لثمر الحياة غير المخلَّصة، ثمر الأعمال التي **يسـتحي بها** المؤمـن **الآن**. وقد أجرى ماركوس رينزفورد *Marcus Rainsford* جردةً بتلك الأثمار، فإذا هي:

١- سـوء اسـتخدام القـوى العقليـة. ٢- وعواطـف مبتذَلـة. ٣- وأوقـات مبعثـرة. ٤- وإسـاءة استخدام النفوذ. ٥- والإساءة للأصدقاء الأفاضل. ٦- انتهاك حرمة مصالحنا. ٧- إغضاب المحبـة — وخاصة محبة الله. وخلاصة الأمر في كلمة واحدة هي: العار أو الخزي.

ونهاية تلك الأمور هي الموت. ويكتب بيرسون *A. T. Pierson* قائـلاً: "إن كل خطية تنزع نحو الموت. وإن استمرّ المرء فيها، تنتهي بالموت غايةً لها وثمرًا".

٦: ٢٢ إن رجوع القلب إلى الربّ يغيّر مركز الإنسان كليًّا إذ أنه الآن حرّ من الخطية كسيّده ويصبح عبدًا لله بإرادته هو. والنتيجة هي حياة مقدّسة الآن وحياة أبدية في نهاية المطاف. بطبيعة الحال، يمتلك المؤمن حياة أبدية الآن، ولكن هذا العدد يشير إلى تلك الحياة في ملئها إذ تشمل جسد القيامة الممجّد.

٦: ٢٣ ويلخّص الرسول الموضوع بتقديمه لهذه المفارقات التالية:

سيّدان: الله والخطية.

أسلوبان: أجرة وهبة مجانية.

نتيجتان: الموت والحياة الأبدية.

لاحظ أن الحياة الأبدية هي في شخص، وإن ذلك الشخص هو يسوع المسيح ربّنا. وكل الذين هم في المسيح لهم حياة أبدية. ويا لها من حقيقة بسيطة وواضحة للغاية!

ط. مكان الناموس في حياة المؤمن (أص٧)

وهنا يتوقع الرسول سؤالاً لا بدّ من إثارته: "ما هي علاقة المؤمن بالناموس؟". ربّما يكون بولس قد فكّر بمؤمنين يهود في جوابه عن هذا السؤال، لأن الناموس كان قد أُعطي للأمّة القديمة، ولكن القواعد تلك تنطبق على الأمميين أيضًا الذين يريدون بحماقة أن يضعوا أنفسهم تحت الناموس كقاعدة حياة بعد ما تبرّروا.

في أصحاح ٦ رأينا أن الموت أنهى طغيان طبيعة الخطية في حياة أولاد الله، والآن سنرى أن الموت يُنهي أيضًا سلطان الناموس على أولئك الذين كانوا تحته.

٧: ١ يرتبط هذا العدد بـ٦: ١٤ «لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة». والرابطة هي: «ينبغي أن تعلموا أنكم لستم تحت الناموس — أم تجهلون... أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حيًّا؟» وبولس يتكلم للذين يعرفون مبادئ الناموس الأساسية والذين ينبغي بالتالي أن يعلموا أن ليس للناموس ما يقول لإنسان ميْت.

٧: ٢ ولتوضيح هذا، يظهر بولس كيف يحلّ الموت عقد الزواج. فالمرأة مربوطة بقانون الزواج لزوجها ما دام حيًّا. ولكنه عندما يموت، تتحرّر المرأة من ذلك القانون.

٧: ٣ وإن تزوجت امرأة رجلاً آخر ورجلها ما يزال حيًّا، تصير مذنبة بالزنى. ولكن إن مات زوجها، فعندئذ تتحرّر كي تتزوج مرة أخرى دون أن يخيّم عليها أيّة غمامة من الذنب أو الإثم.

٧: ٤ وبتطبيقنا للمثل الإيضاحيّ، لا ينبغي أن نُثقل كلّ تفصيل بحرفيّة دقيقة. فمثلاً، لا المرأة ولا الرجل يمثلان الناموس. ومغزى الإيضاح هو أنه كما يحلّ الموت علاقة الزواج، هكذا يُبطل موت المؤمن قوّة الناموس عليه.

لنلاحظ أن بولس لم يقل أن الناموس قد مات، إذ أن الناموس ما يزال شرعيًّا لإدانة الخطية. ولنذكر أنه عندما يتكلم بضمير جمع المتكلم في هذا النص، فهو يفكّر بأولئك الذين كانوا يهودًا قبل إقبالهم إلى المسيح. لقد مُتنا للناموس بجسد المسيح. ويشير الجسد هنا إلى بذل جسده للموت. ولم نعد مرتبطين بالناموس بعد، إذ أننا ارتبطنا الآن بالمسيح المُقام. وإذ انحلّ زواج بالموت انعقد زواج آخر، فنستطيع الآن أن نحمل الثمر لله إذ تحررنا من الناموس.

٧: ٥ وذِكرُ الثمر هذا يذكّرنا بأنواع الثمر الذي أنتجناه حينما كنا في الجسد. ومن الواضح أن التعبير «**في الجسد**» لا يعني "في الجسم". «**في الجسد**» هنا يصف موقفنا قبل خلاصنا، حينما كان الجسد قاعدة موقفنا أمام الله، إذ أننا اتّكلنا على ما كنا عليه، أو على ما استطعنا أن نعمله لكسب موافقة الله ورضاه. لذلك «**في الجسد**» هو عكس «في المسيح».

لقد سبق اهتداءَنا تسلُّطُ **أهواء الخطايا** علينا وقد أثارها الناموس. ليس أن الناموس أنشأها، بل إنّه بتحديدها، ومن ثم بمنعها، قد أثار الشهوة الجامحة لارتكابها.

وأهواء الخطايا هذه قد وجدت سبيلَ التعبير في **أعضاء** أجسادنا، لذلك عندما استسلمنا للتجربة أنتجنا ثمرًا مسمومًا ينتهي **بالموت**. وفي مكان آخر يتكلم الرسول عن هذه الأثمار كأعمال الجسد: «زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر» (غل٥: ١٩-٢١).

٧: ٦ وبين الأمور الكثيرة والمدهشة التي تحدث عند ولادتنا الجديدة هي أننا نُحرَّر من الناموس. وهذا ينتج من موتنا مع المسيح. فبما أنه مات كممثّلٍ لنا، فقد مُتنا نحن أيضًا معه. ففي موته قد وفى كل مطالب الناموس بدفعه لجزائها الرهيب. لذلك نحن أحرار من الناموس ومن لعنته الحتميّة. ولا يمكن للناموس أن يفرض عقابه مرتين.

الجزاء لن يطلب الله دفعَه مرتين:
مرّة من يد مخلّصي النازفة دمًا،
ومرّة أخرى من يدي أنا!.

Augustus M. Toplady *أغسطس تُبلايدي*

لقد تحرّرنا الآن لنعبد، أو لنخدم، في **جِدّة الروح وليس في عتق الحرف**. وخدمتنا لها باعثُ، ألا وهو المحبة، وليس الخوف، إذ أنها خدمة الحرية لا العبودية، ولم تبقَ هذه قضيّة تمسُّك استعباديٍّ بتفاصيل دقيقة لأشكالٍ وطقوس، بل سكب نفوسنا بفرح لمجد الله وبركة الآخرين.

٧: ٧ قد يظهر من كل هذا أن بولس كان منتقدًا للناموس، وقد قال إن المؤمن قد مات للخطية ومات للناموس. وهذا قد يولِّد الانطباع بأن الناموس شرير. ولكن هذا الاستنتاج مُنافٍ للحقيقة.

يُتابع في ٧: ٧-١٣ فيصف الدور المهم الذي كان للناموس في حياته الخاصة قبلما خلَّص. وقد شدّد على أن الناموس بحد ذاته ليس خطية، إلاّ أنّه يظهر الخطية في الإنسان. فإن الناموس هو الذي بكّته على فساد قلبه. وما دام قد قارن نفسه بالآخرين شعر بأنّه محترم نوعًا ما. ولكن حالما ظهرت متطلّبات ناموس الله بقوّتها المُبكِّتة، وقف تحت حُكم الدينونة مسدودَ الفم.

والوصية التي أظهرت له خطيته كانت الوصية العاشرة: **لا تشتهِ**. فالشهوة تنشأ بالفكر، ومع أن بولس ربّما لا يكون قد ارتكب الخطايا العُظمى لكنه يدرك أن حياته الفكرية كانت فاسدة. وقد أدرك أن الأفكار الشريرة هي خاطئة كالأعمال الشريرة. كانت حياته الفكرية حياة ملوثة. فمع أن حياته الخارجية قد تكون نسبيًّا بلا لوم، فإنّ حياته الداخلية كانت غرفة رعب وأهوال.

٧: ٨ ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت فيَّ كل شهوة. فإذ يمنع الناموس كلّ نوع من الاشتهاء الرديء، تلتهب طبيعة الإنسان الفاسدة لفعلها بأكثر حرارة. مثلاً، يقول الناموس ما معناه: "لا تتصوّر في ذهنك كل

أنواع المواقعات الجنسية الملذة. فيجب ألاّ تعيش في عالم التخيّلات الشهوانيّة". هنا الناموس يمنع حياة الفكر القذرة والشريرة واللمّاحة إلى السوء، ولكن، مع الأسف الشديد، لا يمنح الناموس القدرة للنصرة، وهكذا تصبح النتيجة أن الناس الذين تحت الناموس يتورطون أكثر فأكثر في عالم أحلام النجاسة الجنسية. ويدركون أنه حيثما يُمنع شيء، فالطبيعة الساقطة تريد أن تفعله أكثر فأكثر. «المياه المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ» (أم٩: ١٧).

بدون الناموس الخطية ميتة نسبيًّا. والطبيعة الخاطئة هي ككلب نائم. ولكن عندما يأتي الناموس ويقول: «لا»، يستيقظ الكلب باهتياج شديد مسترسلاً في ارتكاب ما هو ممنوع.

٧: ٩ كان بولس، قبل أن يُبكّته الناموس، **عائشًا**، أي أن طبيعته الخاطئة كانت نسبيًّا نائمة كما أنه كان سعيدًا بجهله هُوّة الإثم الموجودة في قلبه.

ولكن حينما **جاءت الوصية** — أي حينما جاءت بتبكيتها الساحق — أصبحت طبيعته الخاطئة ملتهبة التهابًا شديدًا. وكلما حاول أن يطيع فشل فشلاً أعظم. وبذلك فهو قد **مات** من ناحية أي رجاء للحصول على الخلاص بشخصيته هو أو بمجهوده. إذ **مات** بالنسبة لأي حلم للتبرير بحفظ الناموس.

٧: ١٠ وقد وجد الرسول أن **الوصية** التي قُصِد بها أن تكون **للحياة**، جلبت بالفعل موتًا له. ولكن ماذا كان يعني بأنّ الوصيّة كانت **للحياة**؟ لربما هذا ينظر إلى اللاويين ١٨: ٥ حيث قال الله: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها. أنا الرب». وفي الحالة المثالية، وعد الناموس بالحياة للذين يحفظونه. فكأنّما تقول اليافطة خارج قفص الأسد: "إبقَ وراء السياج". فإن أُطيعت تكون الوصية للحياة، ولكنّ الولد الذي يعصي اليافطة ويدخل لكي يربّت الأسد، تأتي له بالموت.

٧: ١١ ويشدّد بولس مرة ثانية على أن الناموس لم يكن ملومًا. ولكن **الخطية** الساكنة فيه كانت تدفعه لكي يعمل ما كان الناموس قد نهى عنه. وقد خدعته الخطية ليفتكر أن الثمرة المحرّمة لم تكن رديئة جدًّا، وأنها قد تأتي له بالسعادة وبأنه يستطيع أن يفلت دون أن يتعرض للعواقب. وقد زُيّن له أن الله أمسك عنه المسرّات التي كانت لمصلحته. وهكذا قتلته الخطية بمعنى أنّها نطقت بالموت على أفضل آماله في استحقاق الخلاص أو كسبه.

٧: ١٢ **فالناموس** بحد ذاته **مقدّس** وكل وصيّة فيه **مقدسة وعادلة وصالحة**. وفي تفكيرنا ينبغي أن نتذكّر باستمرار أنه لا يوجد أي عطل في الناموس إذ أنه قد أُعطي من قِبَل الله ولذلك فهو كامل كتعبيرٍ عن إرادته لشعبه. وضعف الناموس يكمن في "المواد الخام" التي كان عليه أن يعمل بها، إذ أُعطي لشعب كان خاطئًا بالفعل. وقد احتاجوا إلى الناموس لكي يعرّفهم أنّهم خطاة، وفوق ذلك أنهم بحاجة إلى مخلّص يُنقذهم من عقاب الخطية وسلطتها.

٧: ١٣ وما هو صالح يشير إلى الناموس كما قد صُرّح بالتدقيق في العدد السابق. ويثير بولس السؤال "هل **أصبح الناموس موتًا لي؟**" وهذا يعني "هل الناموس مُذنب في إدانته لبولس (وجميع الناس) بالموت؟". والجواب حتمًا هو: «**حاشا**». فالخطية هي المذنبة، إذ الناموس لم ينشئ الخطية بل أظهرها في كل شرّها. «لأن بالناموس معرفة الخطية» (٣: ٢٠). ولكن ليس هذا كل شيء. فكيف تتجاوب طبيعة الإنسان الخاطئة عندما يحرّم ناموس الله

المقدس عليها شيئًا. إنّ الجواب معلوم وهو: ما كان "شهوة نائمة" يصبح الآن "هوى" جامحًا محرقًا. وهكذا تصبح **الخطيّة** بواسطة الوصيّة **خاطئة جدًّا**.

وقد يظهر وجود بعض التناقض بين ما قاله بولس هنا وفي ٧: ١٠، حيث يقول إنّه وجد أن الناموس يأتي بالموت. والحلّ هو أن الناموس بحد ذاته لا يستطيع أن يحسّن الطبيعة القديمة، ولا أن يدفعها لكي تخطئ. فهو يظهر الخطية تمامًا كميزان الحرارة الذي يظهر درجة الحرارة، ولكنه لا يستطيع أن يضبط الخطية، كما لا يستطيع ميزان حرارة الجوّ أن يضبط الطقس.

ولكن ما يحدث هو أن طبيعة الإنسان الساقطة تريد بالفطرة أن تفعل ما هو محرّم. لذلك تستخدم الناموس لتوقظ ما هو عادةً في سباتٍ من الشهوات في حياة الإنسان الخاطئ. وكلما حاول الإنسان ساءت حالته، إلى أن ييأس يأسًا كليًّا. وهكذا تستخدم الخطيّة الناموس لتميت في الإنسان أي رجاء للتحسين فيرى شرّ طبيعته القديمة الزائد كما لم يره من قبل.

٧: ١٤ حتّى هذه النقطة، كان الرسول يصف اختبارًا قد اجتاز به في حياته؛ أي الأزمة الحادة التي مرّ بها عندما وقع تحت تبكيت الخطية الشديد بواسطة خدمة الناموس.

والآن هو يتحوّل إلى الفعل الحاضر ليصف اختبارًا اختبره منذ ولادته الجديدة؛ أي التنافر بين الطبيعتين واستحالة قدرته أن يجدّ الخلاص من قوة الخطية الساكنة فيه بواسطة قوته هو. ويعترف بولس أن **الناموس روحي**؛ أي أنه مقدس في حدّ ذاته وموجّه نحو فوائد الإنسان الروحية. ولكنه يدرك أنه **جسديّ** لأنه لم يختبر النصرة على قوة **الخطية** الساكنة في حياته. فهو **مبيع تحت الخطية**: يشعر كأنّه قد بيعَ عبدًا وسيّدُه الخطية.

٧: ١٥ والآن يصف الرسول الجهاد المتواصل في حياة المؤمن الذي لا يعلم حقيقة اتّحاده بالمسيح في الموت والقيامة. وهو النزاع بين الطبيعتين في الشخص الذي يتسلّق جبل سيناء طلبًا للقداسة. ويشرح هاري فوستر *Harry Foster*:

> كان هنا إنسان يحاول أن يكتسب القداسة بجهود شخصيّ، مجاهدًا بكل قوته ليحفظ وصايا الله المقدّسة والبارّة والصالحة (ع١٢)، فقط ليكتشف أنه كلما جاهد ساءت حالته أكثر. فكان جهاده معركة خاسرة، ولا عجب، إذ إنّه ليس في قوّة إنسان ساقط أن ينتصر على الخطية ويعيش حياة قداسة.

لاحظ بروز ضمير المتكلم (الأنا ونفسي والضمير المتصل) حيث يتردّد نحو أربعين مرة في الأعداد ٩-٢٥! والذين يجتازون الاختبار الموصوف في رومية ٧ يكونون قد تناولوا ما يزيد عن حاجتهم من "الفيتامين أنا". إنّهم مستبطنون (ينظرون إلى دواخلهم) إلى آخر حدّ إذ يلتمسون النصرة في الذات حيث لا يمكن أن توجد.

ومن المؤسف أن أكثر الاستشارات السيكولوجية المسيحية توجّه نظر طالب الاستشارة إلى نفسه، وبذلك تُضاعف المشكلة بدلاً من أن تحلّها. فالناس يحتاجون لأن يعرفوا أنهم ماتوا مع المسيح وقاموا معه ليسلكوا في جِدّة الحياة. عندئذ، بدلاً من أن يحاولوا أن يحسنوا الجسد، ينزلونه إلى قبر المسيح.

وفي وصف بولس للنزاع بين الطبيعتين، يقول **لست أعرف ما أنا أفعله** وكأن شخصيته قد انفصمت كما بين

الدكتور جيكل والسيّد هايد *Dr. Jekyll & Mr. Hyde*. ويجد نفسه منغمسًا في أمور لا يريد أن يعملها وممارسًا أشياءً يكرهها.

٧: ١٦ وفي ارتكابه أعمالاً كتلك يدينها تمييزه العقلي، يتحيز لجانب **الناموس** ضد نفسه إذ أن الناموس قد دان تلك الأعمال أيضًا، وهكذا يعطي موافقة داخلية أن الناموس صالح أو حسن.

٧: ١٧ وهذا يُفضي إلى الخلاصة بأنّ المذنب ليس هو الإنسان الجديد في المسيح بل الطبيعة الفاسدة والخاطئة التي تسكن فيه. ولكن علينا أن نكون حذرين هنا؛ إذ لا ينبغي أن نعذر ارتكابنا للخطية ونتّهم الخطية الساكنة فينا، لأننا مسؤولون عمّا نحن عاملوه، ولا ينبغي أن نستخدم هذه الآية كي نتملص من مسؤوليتنا. فكل ما فعله بولس هنا هو اقتفاء آثار مصدر تصرّفه الخاطئ وليس التماس العذر له.

٧: ١٨ ولا يمكن أن يكون هناك أي تقدّم في القداسة إلا إذا تعلمنا ما تعلّمه بولس هنا: **ليس يسكن فيّ أي في جسدي أي شيء صالح**. والجسد هنا يعني الطبيعة الفاسدة والشريرة التي ورثناها من آدم، والتي ما تزال موجودة في كل مؤمن، والتي هي مصدر كل عمل شرير يعمله الإنسان؛ إذ لا يوجد أي شيء صالح فيها.

وعندما نتعلم هذا نتخلص من البحث عن أي شيء صالح في طبيعتنا القديمة، كما نتخلص من خيبة أملنا إذ لا نجد أي شيء صالح فيها. ونتخلّص من التمركز حول ذواتنا، إذ لا توجد نصرة في الاستبطان والانشغال بالذات، وكما قال التقي الاسكتلندي ماكتشين *Robert Murray McChene*: "مقابل كل نظرة نوجّهها إلى أنفسنا ينبغي أن نوجّه عشر نظرات إلى المسيح".

ولكي يُصدّق الرسول عدم نفع الجسد، انتحب لأنّ عنده الرغبة في أن يفعل ما هو حق، ولم يكن في ذاته الموارد ليترجم أو ينقل رغبته إلى عمل. والمشكلة بطبيعة الحال هي أنّه كان كمن يطرح مرساته داخل القارب، لا في البحر.

٧: ١٩ وهكذا يتبيّن أن النزاع بين الطبيعتين يتفاقم. ويكتشف أنه يفشل في عمل الصلاح **الذي يريد** أن يعمله. وبدلاً من ذلك يفعل **الشرّ** الذي يحتقره. فكأنّه بذلك أصبح كتلة كبيرة من المتناقضات والمتضاربات.

٧: ٢٠ يمكننا أن نصوغ كلمات العدد هذا: "إن كنتُ أنا (الطبيعة القديمة) أعمل ما لا أريد أنا (الطبيعة الجديدة) أن أعمله، فلست بعد أنا (الإنسان) الذي يفعله بل **الخطية الساكنة فيّ**". وليكن واضحًا مرة أخرى أن بولس لم يُعفِ نفسه ولم يحاول أن يتملّص من المسؤولية، ولكنه كان يوضح أنّه لم يجد أي خلاص من قوة الخطية الساكنة فيه. ولذلك فعندما يخطئ، لا يكون ذلك بمحض إرادة الإنسان الجديد.

٧: ٢١ ويجد مبدأً أو **ناموسًا** يعمل في حياته مسبّبًا له فشلاً في كل مقاصده الصالحة: عندما يريد أن يفعل ما هو حق، ينتهي إلى ارتكاب الخطيّة.

٧: ٢٢ وبما يختصّ بطبيعته الجديدة، يُسَرّ **بناموس الله** إذ يعلم أن الناموس مقدّس وأنه تعبير عن إرادة الله، الإرادة التي يرغب أن يعمل بها.

٧: ٢٣ ولكنه يرى مبدأً مضادًّا يعمل في حياته ويجاهد ضدّ الطبيعة الجديدة ويجعل منه أسيرًا للخطيّة الساكنة فيه. وقد كتب جورج كتنج *George Cutting*:

ومع أنه يُسرّ في الناموس بحسب الإنسان الباطن، فـإنّ ذلك الناموس لا يعطيه قوة. وبكلمات أخرى، هو يحاول أن ينجز ما أعلن الله أنه من المستحيل؛ أي إخضاع الجسد لناموس الله المقدس. ويكتشف أن الجسد يهتم بالأمور الجسدية وأنه في عداوة شديدة للناموس، وبالحريّ لله نفسه.

٧: ٢٤ والآن يصدر بولس أنّته الشهيرة الفصيحة إذ يشعر وكأن جسدًا متحللاً مربوط على ظهره. وبطبيعة الحال ذلك الجسد هو الطبيعة القديمة بكل فسادها. وفي شقائه، يعترف أنه لا يستطيع أن يخلّص نفسه من تلك العبودية المنفّرة والكريهة، وأنه يحتاج إلى مساعدة من مصدر عونٍ خارجي.

٧: ٢٥ والانفجار بالشكر في افتتاحية هذا العدد قد يُفهم بطريقتين. قد يعني "**أشكر الله** لأنّ الإنقاذ يأتي **بيسوع المسيح ربّنا**"، أو أنّه عدد فيه يشكر بولس الله بالمسيح يسوع لأنه لم يبقَ بعدُ إنسانًا تعسًا كما عبر في العدد السابق.

وبقية العدد يلخّص النزاع بين الطبيعتين قبل نوال الإنقاذ. فبالفكر المجدّد أو الطبيعة الجديدة يخدم المؤمن **ناموس الله**، ولكنه **بالجسد** (الطبيعة القديمة) يخدم **ناموس الخطية**. ولا نجد طريقة النجاة مفسّرة بوضوح إلا حين نصل إلى الأصحاح التالي.

ي. الروح القدس مصدر القوة للحياة المقدسة (أص٨)

يستمر موضوع الحياة العملية المقدسة. ففي الأصحاح ٦ جاوب بولس عن السؤال "هل يسمح تعليم الإنجيل (الخلاص بالإيمان فقط) بالعيش في الخطية بل هل يشجّع عليه أيضًا؟"، وفي الأصحاح ٧ واجه السؤال "هل يأمر الإنجيل المؤمنين بأن يحفظوا الناموس لكي يقودهم إلى حياة مقدسة؟"، والآن السؤال هو: "كيف يصبح المؤمن قادرًا على أن يعيش حياة القداسة؟".

نلاحظ في الحال أن ضمير المتكلم الذي كان ظاهرًا بوضوح في الأصحاح ٧ قد اختفى عامةً، إذ يصبح الروح القدس الشخص المهيمن؛ وهذا مفتاح مهم لفهم النص. فالنصرة ليست بنا، بل بالروح القدس الساكن فينا. ويضع جوردن *A.J. Gordon* لائحة بسبعة مصادر عون من الروح وهي: حرية الخدمة (ع٢)، والقوة للخدمة (ع١١)، والنصرة على الخطيّة (ع١٣)، والإرشاد في الخدمة (ع١٤)، وشهادة البنوة (ع١٦)، والمساعدة في الخدمة (ع٢٦)، والمساعدة في الصلاة (ع٢٦).

٨: ١ ومن وادي اليأس والانكسار يتسلق الرسول الآن المرتفعات بهتاف المنتصر: «**إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع**». وهذا التصريح قد يُفهم بطريقتين.

أولاً، **لا** يوجد **دينونة** إلهية بشأن خطيّتنا لأننا في المسيح. كانت الدينونة ما دمنا باقين في رأسنا النائب الأول آدم، ولكننا الآن في المسيح؛ ولذلك نحن تحرّرنا من الدينونة كما هو حرٌ منها. وهكذا نستطيع أن نصرخ بالتحدي:

حاول الوصول أولاً إلى المخلّص
وانزعه من تقديرات الله
برهن أن يسوع يحمل لطخة خطية واحدة
وبعد ذاك اخبرني بأنني غير طاهر.

W.N. Tomkino تومكينو

ولكنّ التصريح قد يعني أيضًا أنه لا حاجة لأي نوع من دينونة النفس التي وصفها بولس في الأصحاح ٧. وربما قد نجتاز باختبار مماثل لرومية ٧، غير قادرين أن نفي

متطلبات الناموس بمجهوداتنا الشخصيّة، ولكن لا ينبغي أن نبقى هناك. فالعدد ٢ يشرح لماذا **لا توجد دينونة**.

٨: ٢ **إن قانون الروح للحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من شريعة الخطية والموت.** هنا ناموسان أو قاعدتان متعارضتان. والصفة الأساسية للروح القدس هي أن يقوي المؤمنين للحياة المقدسة. والصفة الأساسية للخطية الساكنة في الإنسان تشبه قانون الجاذبية. فعندما ترمي شيئًا في الجو يعود وينزل لأنه أثقل من الهواء الذي يحمله. والطائر الحي أيضًا هو أثقل من الهواء، ولكن عندما ترميه في الجو، يبتدئ يطير. ومبدأ الحياة هو في الطائر لذلك ينتصر على قانون الجاذبية. وهكذا يزوّدنا الروح القدس بحياة الرب يسوع في قيامته، ويحرّر المؤمن من **ناموس الخطية والموت**.

٨: ٣ والناموس لا يستطيع أن يجعل الناس يفون بمتطلباته المقدسة، ولكن النعمة قد نجحت في ما قد فشل فيه الناموس. ولننظر كيف حدث هذا.

فالناموس لم يستطع أن يُنتج حياة مقدسة لأنه كان **ضعيفًا بالجسد**. فالمشكلة لم تكن مشكلة الناموس، بل مشكلة طبيعة الإنسان الساقطة. وقد تكلم الناموس لأناس خطاة وبلا أي قوة للطاعة. وتدخّل الله إذ **أرسل ابنه في شبه جسد الخطية**. لاحظ باهتمام أن الرب يسوع لم يأتِ في جسد خاطئ بل **«في شبه»** جسد خاطئ. وهو لم يخطئ (١بط٢: ٢٢)، ولم يعرف خطية (٢كو٥: ٢١)، ولم تكن فيه خطية (١يو٣: ٥). ولكن في مجيئه إلى العالم، في صورة إنسان، أشبه البشرية الخاطئة. وكذبيحة عن الخطية **دان الخطية في الجسد**. إنه لم يمُت فقط من أجل الخطايا التي ارتكبناها (١بط٣: ١٨) بل أيضًا من أجل طبيعتنا الخاطئة.

وبكلمات أخرى، هو مات من أجل ما نحن عليه كما مات من أجل ما قد فعلناه. وبفعله هذا **دان الخطية في الجسد**. ولم يقل أنه عُفي عن طبيعتنا الخاطئة؛ إذ أنها قد دينت، ولكن الخطايا التي ارتكبناها هي التي غُفرت.

٨: ٤ **«لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»**. إذ نسلم إدارة حياتنا إلى الروح القدس، يقوينا هو لنحب الله ولنحب قريبنا، وهذا الأمر هو مُجمل ما يتطلبه الناموس على أي حال.

وفي هذه الأعداد الأربعة الأولى جمع الرسول خيوط بحثه من ٥: ١٢ إلى ٧: ٢٥. ففي ٥: ١٢-٢١ كان قد بحث موضوع الرأسين الممثّلين آدم والمسيح. والآن في ٨: ١هو يبرهن أن الدينونة التي ورثناها من اتحادنا مع آدم زالت باتحادنا مع المسيح. وفي الأصحاحين ٦، ٧ بحث في مشكلة الخطية المروّعة في الطبيعة البشريّة. والآن هو يعلن بانتصار أن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد حرّرنا من ناموس الخطية والموت. وقد استحضر الأصحاح ٧ موضوع الناموس في مجمله، ونتعلم أن متطلبات الناموس قد وُفيت بالحياة الخاضعة لسيطرة الروح القدس.

٨: ٥ **فإن الذين هم حسب الجسد** — أي الذين لم يولَدوا ثانيةً — **فبما للجسد يهتمون**. هم يطيعون دوافع الجسد ويعيشون لإشباع شهوات الطبيعة الفاسدة. فهم يخدمون الجسد الذي سيتحول إلى تراب في غضون سنوات قليلة.

ولكن أولئك الذين (يعيشون) حسب الروح — أي المؤمنون الحقيقيون — يرتفعون فوق الجسد والدم ويعيشون من أجل تلك الأمور التي هي أبدية. إنّهم منشغلون كليًّا بكلمة الله والصلاة والعبادة والخدمة المسيحية.

٨: ٦ **لأن اهتمام الجسد** — أي النزوع الفكري لإرضاء الطبيعة الساقطة — **هو موت**. إنه موت في ما يتعلق بالتمتّع الوقتي، كما في ما يتعلق بالمصير الأبديّ. فاهتمام الجسد يحتوي على كل إمكانيات الموت تمامًا كجرعة مُفرّط فيها من السم.

ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. فروح الله هو ضمان الحياة التي هي بالحقيقة حياة سلام مع الله، وحياة هدوء وسكينة.

٨: ٧ **اهتمام الجسد** هو موت لأنه عداوة لله، والخاطئ هو متمرد على الله وقائم بعدوان ناشط عليه. وإن كان هناك أي احتياج إلى برهان فهو بلا شك يظهر بوضوح في صلب الرب يسوع المسيح. واهتمام الجسد **لا يخضع لناموس الله**. فهو يبتغي تحقيق إرادته هو وليس إرادة الله. وهو يريد أن يكون سيّد نفسه ولا يخضع لحكم الله. وطبيعته لا تستطيع أن تخضع لناموس الله. وليست الميول فقط هي التي فُقدت بل أيضًا القوة، وبذلك فالجسد ميت من جهة الله.

٨: ٨ وليس من العجب إذًا أن **الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**. فكر بهذا! لا يوجد شيء يستطيع غير المؤمن أن يفعله لكي يرضي الله — لا أعمال صالحة ولا شعائر دينية ولا خدمات تكفيرية ولا شيء مطلقًا. عليه أوّلاً، أن يدرك أنه خاطئ مذنب كما عليه أن يقبل المسيح بفعل إيماني حاسم. عندئذ فقط يستطيع أن يحظى بابتسامة استحسان من الله.

٨: ٩ وعندما يولد الإنسان ولادة ثانية **لا يبقى في الجسد، بل يصبح في الروح** ويعيش في أجواء مختلفة تمامًا. كما تعيش السمكة في الماء والإنسان في الهواء، هكذا يعيش المؤمن في الروح والروح أيضًا يسكن فيه. في الواقع أن الإنسان الذي لم يسكن فيه **روح المسيح لا يكون ملكًا للمسيح**. ومع أنه يوجد سؤال بخصوص روح المسيح هنا هل هو نفسه الروح القدس، فالافتراض أنه هو نفسه يلائم سياق النص على أفضل وجه.

٨: ١٠ بسُكنى الروح القدس وخدمته في المؤمن، يكون **المسيح فعلاً في المؤمن**. ومن العجب أن نفكر أن ربّ الحياة والمجد يسكن في أجسادنا وخصوصًا عندما نتذكر أن هذه الأجساد عرضة للموت من جرّاء الخطية. وقد يجادل أحدُهم بأنهم ليسوا بعد أمواتًا، كما هو ظاهر في العدد. كلا، ولكن قوى الموت تعمل في تلك الأجساد التي لا بد لها أن تموت أن تأتي الرب في مجيئه.

أمّا الروح فهو حياة بسبب البرّ، وذلك على عكس الجسد. ومع أن المؤمن كان ميتًا من الناحية الروحيّة بالنسبة لله مرة، فقد أُحيي بعمل الرب يسوع المسيح البارّ في موته وقيامته، وببرّ الله المحسوب لمصلحتنا.

٨: ١١ ولكن الإشارة إلى أن الجسد ما يزال عرضةً للموت لا ينبغي أن تكون دافعًا للخوف أو لليأس. وحقيقة كون الروح القدس يسكن في أجسادنا هي ضمانة بأنه كما **أن الله أقام المسيح من الأموات سيحيي أيضًا بروحه أجسادنا المائتة**. وهذا يكون آخر عمل متمّم لفدائنا، عندما تتمجّد أجسادنا وتصبح كجسد المخلّص المجيد.

٨: ١٢ والآن حينما نرى التباين الشديد بين الجسد والروح، فماذا يكون الاستنتاج الذي نستنتجه؟ فنحن **لسنا مديونين للجسد لنعيش** حسب أوامره. والطبيعة القديمة الشريرة والفاسدة ليست إلاّ عبئًا معطّلاً؛ ولم تأتنا بأي شيء صالح. ولو لم يخلّصنا المسيح

لَشدّنا الجسد إلى أعماق الجحيم الأشدّ ظلامًا وحرارة. فلماذا ينبغي أن نشعر بأي واجب نحو عدو مثله؟

٨: ١٣ وأولئك الذين يعيشون **حسب الجسد** يموتون، ليس فقط جسديًّا بل أبديًّا. فالعيش حسب الجسد يعني كون الإنسان غير مخلَّص. وهذا ما يوضحه ٨: ٤، ٥. ولكن لماذا يخاطب بولس الذين هم مؤمنون؟ فهل هو يلمِّح ضمنًا إلى أن بعضهم قد يخسرون خلاصهم؟ حاشا! ولكن الرسول غالبًا ما يشمل في رسائله كلمات تحذير وامتحانٍ للذات، مدركًا أن في كل كنيسة محلية تقريبًا عددًا من الناس لم يكونوا قد ولدوا ثانيةً بالفعل.

وبقية العدد تشير إلى ما يصحُّ وصف المؤمن الحقيقي به. فالمؤمنون يستطيعون بقدرة الروح القدس أن **يُميتوا أعمال الجسد**. لذلك هم يتمتعون بالحياة الأبدية الآن وسيدخلون الحياة في ملئها عندما يتركون الأرض.

٨: ١٤ طريقة أخرى لوصف المؤمنين الحقيقيين هي القول أنهم **ينقادون بروح الله**، ولا يشير بولس هنا إلى حالات خاصة بإرشادات إلهية في حياة مؤمنين بارزين. بل بالحري هو يتكلم عما هو حق في حياة **أبناء الله** عامة؛ أي أنهم **ينقادون بروح الله**. وهذه ليست قضية الدرجة التي بها يُظهرون كيفية استسلامهم للروح القدس، بل بالحري العلاقة التي تنشأ عند الولادة الجديدة.

والبنوة تتضمن قبولنا في عائلة الله مع كل الامتيازات والمسؤوليات التي للأبناء البالغين. ولا يحتاج المؤمن الحديث إلى أي وقت من الانتظار قبل أن يدخل ميراثه الروحي، إذ أنه يملكه من الثانية التي يخلص فيها، وهذا ما يصحّ على كل المؤمنين رجالاً كانوا أم نساءً، صبيانًا أو بناتٍ.

٨: ١٥ وأولئك الذين يعيشون تحت الناموس يشبهون أولادًا صغارًا يستلمون أوامره وكأنهم خدم يلاحقهم ظل الخوف من العقاب. ولكن عندما يولد الإنسان ثانيةً فهو لا يولد في مركز عبودية أي أنه لا يُؤتى به إلى بيت الله كعبد، بل بالحري ينال **روح التبنّي**. أي أنه وُضع في عائلة الله كابن بالغ. وبغريزة روحية حقيقية ينظر إلى الآب ويدعوه: **يا أبا، الآبُ**. «يا آبّا» هي كلمة آرامية، وهي شكل تحبُّب للكلمة "أب" — مثل الكلمة "بابا". وبينما نتردد في استخدام مثل تلك الكلمة عند مخاطبتنا لله، يبقى الحق أن ذاك الذي هو سامٍ بلا حدٍّ هو أيضًا قريب هذا القُرب.

والتعبير «**روح التبنّي**» قد يشير إلى الروح القدس بوصفه مَن يُعرِّف المؤمن بشرف الابن الخاص الذي يتمتع به. كما أنه قد يعني إدراك البنوّة أو موقفها بالمباينة مع **روح العبودية**.

والتبنّي لفظة تُستخدم بثلاث طرق مختلفة في الرسالة إلى رومية. وتعني هنا أنها معرفة البنوة التي ينتجها الروح القدس في حياة المؤمن. وفي ٨: ٢٣ تنظر إلى الأمام إلى الوقت الذي فيه يُفتدى أو يُمجّد جسد المؤمن. وفي ٩: ٤ تنظر إلى الخلف إلى ذلك الوقت الذي فيه عيّن الله الشعب القديم كابن (خر٤: ٢٢).

أما في غلاطية ٤: ٥ وأفسس ١: ٥ فالكلمة تعني «وضع الابن»؛ أي وضع المؤمنين أجمعين كأبناء بالغين في مركز امتيازات البنوّة ومسؤولياتها. فكل مؤمن هو ابن لله لكونه قد وُلد في العائلة السماوية التي لها الله أبًا. ولكن كل مؤمن هو أيضًا ابن: وهذه علاقة خاصة تحمل امتيازات من بلغ سن الرُّشد.

ولم يعنِ العهد الجديد بالتبنّي قطُّ ما يعنيه اليوم مجتمعنا؛ أي عندما يأخذ أبوان آخران ولدًا ويجعلانه ابنًا لهما.

٨: ١٦ وتتوطد غريزة روحية في المؤمن المولود حديثًا، وتؤكّـد له أنّـه ابن الله، والـروح القدس يخبره بذلك. والروح نفسـه يشـهد مع روح المؤمن بأنّه عضو في عائلة الله. مبدئيًّا، يقنعه بذلك من خلال كلمة الله. فإذ يقرأ المؤمن الكتاب المقـدس، يثبّت له الروح تلك الحقيقة، فلأنّه قد وثق بالمخلّص فهو الآن قد أصبح ابنًا لله.

٨: ١٧ والعضوية في عائلـة الله تجلب امتيازات تُذهل العقـول، إذ أن جميـع أولاد الله هم ورثـة الله. وطبعًا الوريـث في آخـر الأمر يرث ممتلـكات والده. وهذا ما قد عنـاه هنا إذ أن كل ما يملكه الآب يصبح ملكنا، ولكننـا لم نتملك أو نتمتع بعـد بكل تلك الممتلكات. غير أنه لا يوجد شـيء من شـأنه أن يمنعنا في المستقبل من تمتّعنـا بها. ونحن وارثون مع المسـيح. فعندما يرجع لكي يأخذ صولجان الحكم الكوني سنشترك معه في كل ما تتضمنّه سندات التمليك للتمتّع بثروة الآب كُلِّها.

وعندمـا أضاف بولس: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًـا معه»، فهو لا يجعل الآلام البطولية شرطًا للخلاص، ولا هــو يصف دائـرة داخلية منتخبة لبعـض المنتصرين الذيـن تحملوا عذابات عظيمة؛ بل إنه بالحري يرى جميع المؤمنين كمشـتركين بالآلام لأجل البرّ وجميعهم ممجّدين مع المسيح. و«إن» هنا تعادل «بما أننا». وبطبيعة الحال يتألم بعض أكثر من الآخرين لأجل قضية المسـيح، وهذا قد يُنتـج درجاتٍ مـن المكافآت والمجـد. ولكن الذين يعترفون بالمسـيح ربًّا ومخلّصًا يُحسبون هنا محتملين عداء العالم مع كل عار وخزي يستهدفهم.

٨: ١٨ إنّ أعظم عار قد نتحمّله من أجل المسـيح هنا على الأرض سـيبدو كأنّه أمر تافـه عندما يدعونا علنًا ويعـترف بنا أمام جند السـماء. حتى آلام الشـهداء الشـديدة سـتبدو كوخز الإبر عندما يُزيّـن المخلّص رؤوسهم بأكاليل الحياة. وفي مكان آخر يتكلم بولس عن آلامنا الحاضرة كآلام خفيفة للحظة، ولكنه يصف المجد كثقـل أبدي متزايـد (٢كـو٤: ١٧). وعندما يصف المجد العتيد، تظهر كلماته وكأنّها تنوء تحت ثقل الفكـرة. إن كنا نُقدِّر المجد الذي سـنتمتع به، فعندئذ نستطيع أن نحسب الآلام في حياتنا كتفاهة.

٨: ١٩ والآن في صـورة بيانيّـة لافتة يشـخِّص بولس الخليقة كلها متوقّعةً للوقت الذي فيه نُعلن لعالم مدهوش بأنّنا أبناء الله. ويحدث هذا عندما يرجع الرب يسـوع ليملك ونرجع نحن معه.

فنحـن الآن أبنـاء الله ولكن العـالم لا يعترف بنا هكذا ولا يقدِّرنا على هذا الأسـاس. ومع ذلك فالعالم يتوقع غـدًا أفضل، ولكن ذلك الغـد لن يأتي إلا حين يرجع الملك ليملك مع جميع قديسـيه. "والخليقة كلها متشـوقة لترى المشـهد البديع الذي يتمثّـل في أبنا الله وهم مقبلون على استلام ميراثهم". (ترجمة فيلبس)

٨: ٢٠ عندما أخطأ آدم لم يُصب تعدّيه الجنس البشري فقط بـل كلّ الخليقة الحيّة وغير الحية فـالأرض ملعونة. وكثير من الحيوانات تموت موتًـا عنيفًا. والأمراض تنزل بالطيور والحيوانات كما بالسـمك والزحافـات. فإنّ نتائج خطية الإنسان قد انتشرت كموجة عظيمة في جميع أنحاء الخليقة.

وكما يشرح بولس أخضعت الخليقة هكذا للفساد والخيبـة والفوضى، وليس بإرادتها بل بمرسـوم من الله

لأجل عصيان الرأس التمثيليّ الأول.

والكلمتان «على الرجاء» في آخر العدد ٢٠ قد تربطانه بالعدد اللاحق، أي "على رجاء أنّ الخليقة نفسها أيضًا ستعتق".

٨: ٢١ تنظر الخليقة إلى الخلف إلى الحالة المثالية التي وُجدت عليها في عدن. وبعد ذلك تتأمّل الخراب الذي أحدثه دخول الخطية. والأمل بالعودة إلى الحالة المثاليّة كان دائمًا موجودًا، **لأن الخليقة نفسها أيضًا ستُعتَق من عبوديّة الفساد** لتتمتع بحرية ذلك العصر الذهبي حين يُعلَن أولاد الله في المجد.

٨: ٢٢ نحن نعيش في عالم متنهد ومتألم ويجهش بالبكاء. **والخليقة كلها تئن** وتتألم وكأنها تتمخض. وموسيقى الأرض كئيبة على النغم المنخفض. إذ أن الأرض مصابة بمصائب صعبة وفساد الموت يتدلّى فوق كل شيء حي.

٨: ٢٣ والمؤمنون ليسوا معفيّين. فمع أن لهم **باكورة الروح** ضامنة لهم الخلاص نهائيًّا، فهم ما يزالون يئنّون تلهّفًا إلى ذلك اليوم المجيد. والروح القدس نفسه هو تلك **الباكورة**. وكما أن أول حفنة من الحنطة هي عهد ودليل ضمانٍ للحصاد الآتي برمته، هكذا الروح القدس هو العهد أو الضمانة بأن الميراث كله سيكون ملكًا لنا.

وبالأخص، الروح هو ضمان التبني العتيد الذي هو **فداء أجسادنا** (أف ١: ١٤). فبمعنىً معيّن نحن قد تُبنّينا، أي أننا قد وُضعنا في عائلة الله كأبناء. ولكن بمعنىً أكمل، سيكون تبنّينا كاملاً عندما نستلم أجسادنا الممجدة. وهذا ما يُقال عنه أنه **فداء أجسادنا**، إذ أن أرواحنا ونفوسنا قد فُديت وأما أجسادنا فستُفتدى عند الاختطاف (١تس٤: ١٣-١٨).

٨: ٢٤ وقد خلصنا بموقف **الرجاء** هذا ولم نتسلّم كل الفوائد التي تصحب خلاصنا لحظة رجوعنا إلى الرب. ومن البدء نظرنا إلى الأمام لخلاص كامل ونهائي من الخطية والألم والمرض والموت. ولو أننا قد استلمنا هذه البركات لما كان لنا فيها رجاء بعد، لأننا نترجى فقط الأمور المستقبلية.

٨: ٢٥ ورجاؤنا للخلاص من وجود الخطية وكل نتائجها الكريهة يتوقف على وعد الله، ولذلك هو يقين كما لو كُنّا قد نلناه. لذلك **نحن نتوقعه بشوق وصبر**.

٨: ٢٦ وكما أننا نُسند ونتغذى بهذا الرجاء، هكذا **الروح** يسندنا في ضعفاتنا. ونحن غالبًا ما نتشوش في حياة الصلاة **ولا نعلم** كيف **نصلي** كما ينبغي. فنحن نصلي بأنانية وجهل وشكل محدود، ولكن الروح يأتي لجانبنا ليساعدنا في ضعفاتنا، متشفّعًا **فينا بأنات لا يُنطَق بها**. هذا العدد يخبرنا أن الروح هو الذي يئن وليس نحن، وهذا أيضًا حق.

وهنا يُكشف لنا سرّ إذ نُنعِم النظر في العالم الروحي غير المنظور، حيث شخصية عظيمة وقوى عظيمة تعمل لأجل مصلحتنا. ومع أننا لا نستطيع أن نفهم كل شيء، فنحن نستطيع أن نتشجع بواقع أن الأنين قد يكون في بعض الأحيان أكثر الصلوات روحيّة.

٨: ٢٧ وإن كان الله **يفحص قلوب** الناس فهو يستطيع أيضًا أن يترجم **فكر الروح** مع أن فكره يجد التعبير في الأنين فقط. والأمر المهم هو أن صلوات الروح القدس من أجلنا هي بحسب إرادة الله. ولأنها دائمًا بحسب إرادة الله فلذلك هي دائمًا لأجل خيرنا. وهذا يوضح الكثير، كما يُظهر لنا العدد التالي.

٨: ٢٨ والله يعمل كل الأشياء للخير للذين يحبّون الله الذين هم مدعوون حسب قصده، مع أن الواقع ربّما لا يبدو هكذا دائمًا. لأننا حينما نتألم وتنكسر قلوبنا من المصائب والخيبات والفشل والأحزان نتساءل ما هو الخير الذي ينتج من هذا؟ ولكن العدد التالي يعطينا الجواب: إن كل ما يسمح به الله للدخول في حياتنا مُصمَّم لكي يجعلنا **مشابهين صورة ابنه**. وعندما نرى هذا تُنتزع علامة الاستفهام من صلواتنا. فحياتنا لا تديرها قوى لا شخصيّة ومجهولة كالمصادفات والحظ والقدر، ولكن يديرها شخص ربنا العجيب الذي هو "محب لدرجة لا يكون فيها فظًّا، وهو حكيم لدرجة لا يخطئ فيها".

٨: ٢٩ والآن يتابع بولس أثر المدى الجليل للبرنامج الإلهي المصمَّم للإتيان بأولاد كثيرين إلى المجد.

أولاً، الله **سبق فعرفنا** في الأزل، وهذه لم تكن مجرد معرفة عقلية. وأما بخصوص المعرفة فقد عرف هو كل إنسان قبل أن يولد. ولكن معرفته السابقة تشمل فقط أولئك الذين **سبق فعيّنهم**، أو الذين سبق فاختارهم **ليكونوا مشابهين صورة ابنه**. وإذ كانت هذه المعرفة مصحوبة بالقصد فلا تخزى. وليس من الكافي أن نقول إن الله **سبق فعرف** الذين أدرك أنهم سيتوبون ويؤمنون يومًا، بل إن معرفته السابقة هي التي تضمن بالفعل التوبة النهائية والإيمان.

وتحويل الخطاة الأشرار يومًا إلى صورة المسيح بأعجوبة النعمة هو إحدى حقائق الإعلان الإلهي المذهلة. وبالطبع هذه النقطة لا تشير إلى أننا سنحصل على صفات الله أو أن وجوهنا ستشبه وجه المسيح، بل أننا سنكون مثله أدبيًّا، وأحرارًا من الخطية إطلاقًا وممتلكين أجسادًا ممجّدة كجسده.

ففي ذلك اليوم المجيد **يكون هو البكر بين إخوة كثيرين**. **والبكر** هنا يعني الأول في المنزلة أو في الكرامة. وهو لن يكون الأول بين آخرين في المساواة، ولكنه الشخص الذي له المكانة السامية من الكرامة بين إخوته وأخواته.

٨: ٣٠ وكل من قد سبق تعيينه في الأبدية هو أيضًا قد دُعي في الزمن. وهذا يعني أنه لا يسمع الإنجيل فقط بل يتجاوب معه أيضًا. وبذلك هي دعوة أبدية. إن الجميع هم مدعوّون (وهذا أمر شرعي) بدعوة عامة من الله، ولكن القليلين هم الذين يتجاوبون، لذلك هي دعوة فعليّة (تنتج اهتداءً حقيقيًّا) من الله.

وكل الذين يتجاوبون **يُبرَّرون أيضًا** أو أنهم يُمنحون موقفًا بارًّا تمامًا أمام الله، إذ أنهم يُلبسون برّ الله باستحقاقات المسيح وبذلك هم مؤهّلون لمحضر الرب.

وأولئك الذين قد **بُرِّروا مُجِّدوا أيضًا**. لكننا لم نتمجّد بالفعل بعد، إنما الأمر يقين هكذا حتى أن الله يستخدم الفعل الماضي ليصفه. ونحن متيقّنون بالحالة المجيدة كما لو أننا قد تقبلناها.

هذا واحد من أقوى النصوص في العهد الجديد بخصوص موضوع ضمان المؤمن الأبدي. إنْ **سبق** الله وعرف مليون نفس **وعيّنهم**، **فسيدعو** كلّ واحد من ذلك المليون **ويُبرِّره ويُمجّده**، ولن ينسى شخصًا واحدًا منهم (قارن «كل» في يوحنا ٦: ٣٧).

٨: ٣١ عندما نحسب هذه الحلقات التي لا تنقطع من السلسلة الذهبيّة للفداء تأتي خلاصة لا بد منها. **إن كان الله معنا**، بمعنى أنه وضع سمته علينا خاصّةً له، فعندئذ لا يستطيع أحد أن ينجح ضدّنا. ما دام القادر على كل شيء يعمل

لمصلحتنا فلا تستطيع أي قوة أضعف منه أن تحبط برنامجه.

٨: ٣٢ **الذي لم يشفق على ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين.** يا لها من كلمات مدهشة! ولا ينبغي أن نجعل مألوفيّتها عندنا تقلّل لمعانها أو قوتها التي تدفعنا إلى التعبُّد. عندما احتاج العالم البشري الهالك للخلاص بواسطة بديل طاهر، فإله الكون العظيم لم يُمسك عنا أعزّ كنوز قلبه، بل بذله لموت العار والعذاب لأجل مصلحتنا.

والمنطق الذي يفيض من هذا هو أمر لا يمكن مقاومته. إن كان الله قد أعطانا أعظم هبة، فهل يوجد هبة أقل قيمة يمكن أن يمسكها عنا؟ وإن كان قد دفع أبهظ الأثمان أفيتردد في دفع أي ثمن أقل قيمة؟ وإن قطع شوطًا هذا مقداره لكي ينتج الخلاص، فهل يدعنا نهلك؟ **فكيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟**

يقول ماكينتوش *Mackintosh*: "إن لغة عدم الإيمان تقول: كيف يهبنا؟ وأما لغة الإيمان فهي: وكيف لا يهبنا؟".

٨: ٣٣ **نحن ما نزال هنا في مشهد قاعة المحكمة، ولكن قد حدث الآن تغيير ملحوظ. فبينما يقف الخاطئ المبّرر أمام القاضي، تنطلق دعوة لأي مشتك كي يتقدم، ولكن لن يأتي أحد. فكيف يكون هناك أي مشتك؟ وإن كان الله قد برّر مختاريه فمَن يستطيع أن يقدّم شكوى ضدهم؟**

وقد نوضح حجة هذا العدد أن أبقينا في بالنا الكلمات: "لا أحد، لأن..." قبل كل جواب. وهكذا يُقرأ العدد، **من سيشتكي على مختاري الله؟** لا أحد لأن الله **هو الذي يبرّر.** وإن لم نُزِدْ تلك الكلمات، قد يظهر كأن الله سيشتكي على مختاريه، الأمر الذي ينكره بولس.

٨: ٣٤ **وتحدٍّ آخر يدويّ، هل يوجد شخص ما لكي يدين؟** لا أحد لأن المسيح مات من أجل المُدّعي عليه، وقام من بين الأموات وجلس عن **يمين الله ليشفع فيه.** وإن كان الرب يسوع الذي أُعطيت له كل الدينونة لا يُصدر الحكم على المُدّعى عليه، بل بالحريّ يتضرّع لأجله، فلذلك لا يوجد شخص آخر يستطيع أن يكون عنده سبب شرعي ليدينه.

٨: ٣٥ **والآن يقذف الإيمان آخر تحدياته: هل يوجد شخص يستطيع أن يسلخ المبرَّر عن محبة المسيح؟** لقد تم البحث في كل ما له تأثير في تسبيب الانفصال في نطاق دوائر علاقات الحياة البشرية. ولكن لم يوجد أيّ منها يفصل المؤمن عن محبة المسيح. ولا حتى آلام التجارب بضربها المتواصل مع الكرب والمحن، ولا وحش العذاب الذي يعذّب العقل والجسد عذابًا شديدًا، ولا قساوة **الاضطهاد** الذي يأتي بالآلام والموت على الذين يتجرأون أن يكونوا مختلفين عن الغير. ولا يستطيع أن يفصلنا عنه ولا حتى شبح **الجوع** الهزيل، في نخره وآلامه ونحوله الظاهر في الهيكل العظمي. كما لا يستطيع **العري** أن يفصلنا بكل وسائله من الحرمان والتعريض وعدم قدرة الدفاع. ولا **خطر** التهديد بالحظر الظاهر والمخيف. ولا **سيف**، حادّ بارد قاسٍ جلاب للموت.

٨: ٣٦ **لو كان أي من تلك الأمور يستطيع أن يفصل المؤمن عن محبة المسيح لكان ذلك الانفصال القاتل قد حدث منذ زمن طويل، لأن سيرة المؤمن هي الموت حيًّا.** وهذا ما عناه ناظم المزمور عندما قال أنه لأجل اتحادنا مع الرب **نحن نُمات كل النهار** وإننا كالغنم المعدّة للذبح (مز ٤٤: ٢٢).

٨: ٣٧ وبدلاً من أن تفصلنا هذه الأمور عن المسيح تنجح فقط في اجتذابنا أكثر فأكثر إليه. ونحن بذلك ليس فقط غالبين بل أعظم من غالبين. وليست القضية أننا ننتصر فقط على هذه القوى الهائلة، بل إننا بعملنا هذا نجلب المجد لله والبركة للآخرين والخير لأنفسنا. فنحوّل أعداءنا عبيدًا، كما نحوّل عوائق الطرق أحجارًا للارتقاء إلى أعلى.

ولكن هذا ليس من قوتنا، بل بواسطة الذي أحبّنا. فقط قوة المسيح تستطيع أن تنتج حلاوة من المُر، وقوة من الضعف، ونصرة من الفاجعة، وبركة من انكسار القلب.

٨: ٣٨ ولم ينته الرسول من بحثه بعد. إذ نقّب الكون مفتّشًا عن شيء قد يستطيع أن يفصلنا عن محبة الله وبعد ذلك رفض الأمور كلّها واحدًا فواحدًا:

الموت بكل رعبه،

والحياة بكل جواذبها،

الملائكة والرئاسات الفائقة للطبيعة في القوة والعلم.

القوات: الطغاة من البشر أو الأعداء الملائكية.

أمور حاضرة تسقط علينا لتهشمنا.

أمور مستقبلة تثير إنذار المصيبة.

٨: ٣٩ لا علو ولا عمق: يعني تلك الأمور التي تخص عالم الأبعاد والمساحات شاملاً قوى السحر والتنجيم. ولكي يؤكد بولس أنه لم يترك شيئًا، أضاف:

ولا خليقة أخرى

وخلاصة بحث بولس هي أنه لم يستطع أن يجد أي شيء بقدرته أن **يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.**

لا عجب في أنّ كلمات النصر تلك صارت ترنيمة الذين ماتوا ميتة الشهداء وقصيدة أولئك الذين عاشوا حياة الشهداء!

٢ـ الجزء التدبيري: الإنجيل والشعب القديم (اص٩-١١)

أ. ماضي الشعب القديم (أص٩)

نسمع ردّ الرسول بولس في الأصحاحات ٩-١١ على المعترض اليهودي الذي أثار السؤال: "وهل الإنجيل الذي يعد بالخلاص للأمميين كما لليهود معناه أن الله قد نقض وعوده لشعبه الأرضي قديمًا (أي لليهود)؟" ورد بولس يشمل ماضي الأمّة (أص٩) وحاضرها (أص١٠) ومستقبلها (أص١١).

وهذا القسم يحتوي على تشديد كبير على السيادة الإلهية والمسؤولية البشرية. ورومية ٩ هو أحد النصوص الأساسية في الكتاب المقدس التي تبحث في سيادة الله واختياره. والأصحاح التالي، على النحو الفعّال عينه يمهّد الحقيقة المكمّلة؛ أي مسؤولية الإنسان.

السيادة الإلهية والمسؤولية البشرية

عند ما نقو لإ نا للهسيّد مطلق ، نعنيأ ن سلطا نهيشملا لكو نو أ نهيستطيعأ نيفعل مايشاء . وبقولنا هذا ،كمانعلم ،نؤكّد أنه ،و هو الله ، لنيفعلشيئًا خا طئًا أو ظا لمًا أو ضا رًّ ا . لذ لك ، فا لقو لإ نا للهسيّد مطلقهو أ نند ع ا لمجا لللهكييكو نهو ا لله . و لا ينبغيأ ن نخا فمنهذ ها لحقيقة أ و أ ننعتذ ر عنها ، إ ذ أنهاحقمجيدوينبغيأنتدفعناللتعبُّد.

و الله ، فيسيا د ته ، قد ا نتخبأ و ا ختا ر بعض الأفر اد ليكو نو ا خا صته . و لكنا لكتا با لذ ييعلّم بسيادةالله، هونفسهيعلّمأيضًا بمسؤ ولية الإنسان . و صحيحأ نا للهيختا ر أ نا سًا للخلاص ، و لكنهمن الصحيحأ يضًا أ نعليهمهمأ نيختا ر و ا ا لخلاص بعملإر ا د تهما لو ا ضح . و ا لو جهة ا لإ لهية من

ا لخلا صتظهر فيا لكلما ت : « كلما يعطيـني الآ بفإ ليَّيُقبل » . و أ ما الو جهة البشـر ية فتجد ها فيا لكلما تا لتا لية : « و منيُقبلإ ليَّلا أ خر جـه خار جًا » (يو ٦: ٣٧) . و نحنا لمؤ منيننفـر ح لأ نا للها ختا ر نا فيا لمسيحقبلتأ سيسـا لعا لم (أ ف ١: ٤) ، و لكننا نؤ منبا ليقينعينهأ نكلمـن ير يد فلهأ نيأ خذ منما ء ا لحيا ة مجّانًـا (ر ؤ ٢٢: ١٧) .وقدوضّحمـودي *D.L. Moody* هذينا لحقّـين ا لمتكا مليـنبهذ ها لطر يقة : عند ما نأ تيإ لى بـا ب ا لخلا صنر ى ا لد عو ة فو قا لبا ب « كلمـَير د فليد خل » و عند ما ند خلو ننظر إ لى ا لخلفنـر ى هذ ها لكلما تفو قا لبا ب : « مختا ر بحسـبمعر فة اللهالسابقة» . و هكذ افا لمسؤ وليةالبشـر يةتو اجه ا لنا سـحا لما يأ تو نإ لى با با لخلا ص . و حق ا لسـيا د ة ا لإ لهية فيا لا ختيا ر هو حقعا ئلي مخصّصللذينقددخلوا.

فكيفيختا ر ا للهأ فر ا دًا ليكو نو ا خا صتـه و فيا لو قتذ ا تهيُقدِّ معر ضا لخلا صلـكل ا لنا سفيكلمكا ن ؟ و كيفنسـتطيعأ ننو فّق بينها تينا لحقيقتين ؟ ا لحقيقة ا لو ا قعة أ ننـا لا نستطيعأ ننو فّقبينهما . فا لفكر ا لبشـر ي يعا ينها كمتنا قضين . و لكنا لكتا با لمقد سـيعلن ا لتعليمينو هكذ ا علينا أ ننؤ منبهما مقتنعـين أ نا لصعو بة مشتبكة فيعقو لنا و ليسـفيفكر الله . و هذ ا نا لحقا نا لتو أ ما نيتشـبها نبخطين متوازيينلايلتقيانإلافيالمالانهاية.

و بعضا لذ ينحا و لو ا أ نيجمعو ا بـين اختيار السيادةوالمسؤ وليةالبشـر يةقالو اإن ا للهقد سبقو عر فا لذ ينسـيثقو نبا لمخلِّص ، و هؤ لا ء همالذينا نتخبهمللخلاص . و يأ خـذو ن هذ امنر و مية ٨: ٢٩ القائلة : « لأ نا لذ ينسـبق فعر فهمسبقفعينهم » ، و بطر سـا لأ و لى ١: ١، ٢القائلة : « ا لمختا ر ينبمقتضى علما للهـا لآ ب السـابق ...» . و لكنهذ ايتجا هلالو اقعأ نمعر فة ا للها لسا بقة هيمُصَمَّمَة . فليسـفقطأ نهعر ف مسبَّقًا ا لذ ينسـيثقو نبا لمخلِّصبلإ نّهيصمّم النتائجباجتذابعضالأفر ادإلىنفسه.

و معأ نا للهيختا ر بعضا لنا سـللخلاص ، فهو لا يختا ر أ حدًا للدينو نة . و للتعبير عنذ لكبطر يقـة أ خر ى ، فمعأ نا لكتا با لمقد سـيعلِّمبا لا ختيا ر فهو لا يعلمأ نَّا لر فضهو ر فضإ لهي . و لكـن قد يعتر ضأ حد همقا ئلاً : « إ نكا نا للهيختا ر قو مًـا للبر كةفهوبالضر و ر ة يختار الآخر ينللهـلاك » . مثلهذ ا ا لتصر يحليسـعلى حق . إ نا لجنس ا لبشـر يكا ملهكا نقد د ينللهلا كلأ جلخطيته و لا إ جحا فًمنا لله . و إ نسـمحا للهلجميعنا أ ن نذهبإلىالجحيـم– وكانباسـتطاعتهأنيفعل ذلكعـدلاً– فيكونالناسـقدحصلواتمامًاعلى ما يستحقو ن . و ا لسـؤ ا لهو : هللر بّ ، ا لكليّ السيا د ة ، ا لحقلينز لو يختا ر عر و سًـا لا بنه ؟ ا لجو ا ببطبيعة ا لحا لبا لإ يجا ب . و خلا صـة هذ ا هي : إ نكا نا لنا سـها لكينفهمها لكو نلأ جل عصيا نهم ، و إ نخلصا لنا سـفذ لكلأ جلا ختيا ر نعمةاللهالكليّالسيادة.

وللإنسـانا لمخلِّص ، فإنَّموضو عاختيار الله الكليّا لسيا د ة هو د ا ئمًا سببللد هشـة و التعجّب . فا لمؤ منينظر و ير ى أ شـخا صًا بأ فضلصفا ت و أ فضلشخصيا تو أ فضلقد ر ا تفيسـأ ل : «لماذاختارنيالله؟».

لماذاسمعتأناالصوت
ودخلتومايزالمكان
فيحينالآلافيختارونالشقاء
ويفضّلونأنيموتواجوعًاعلىأنيأتواإليه؟

إسحاقواطس (*Isaac Watts*)

لا يحقلغير ا لمخلّصيناً نيستخد مو ا حقيقة ا لا ختيا ر كعذ ر لعد مخلا صهم . و لا ينبغيـا ن يقو لو ا : « إنلماً كنقد ا ختُر ت ، فلا أ سـتطيعا ن أ فعلشـيئًا بخصو صا لخلا ص » . فا لطر يقة ا لو حيد ة ا لتييسـتطيعو نفيها أ نيعلمو ا هلهمن ا لمختا ر ين ، هيأ نيتو بو ا عنخطا يا همو يقبلـو ا الربيسوعالمسيحمخلِّصَهم(اتس١: ٤-٧).

و لا ينبغيأ نيسـتخد ما لمؤ منو نحقيقة الاختيار ليعذر و اقلة حماستهمللتبشـير .فيجب أ لانقو ل : « إنكا نو ا مختا ر ينفهمسـيخلصو ن على أ يحا ل » . فا للهو حد ههو ا لذ ييعـر ف ا لمختا ر ين . أ ما نحنفلنا ا لو صية بأ ننبشِّـر با لإ نجيلللعا لمأ جمع ، لأ نعر ضا للهللخـلا ص هو عر ضأ صيلو د عو ة لجميعا لنا س . و لكـن ا لنا سير فضو نا لإ نجيللأ جلقسـا و ة قلو بهم وليسلأندعوةاللهليستعنإخلاص.

و هنا كخطر ا نمر تبطا نبهذ ا ا لمو ضـو ع و ينبغيتجنبهما . ا لأ و لهو ا لتطر فإ لى جا نـب منالموضـوع– مثـلاً– الإيمانَباختيـاراالله الكليًا لسيا د ة و إنكا ر مسؤ و لية ا لإ نسـا نفيما يتعلقبا لخلا ص . و ا لخطر ا لآ خر هو ا لتشـد يد فو قا للز و ملحقيقة و ا حد ة على حسـا با لحقيقة ا لأ خر ى . أ ما ا لتفهُّما لر و حيّفهو أ ننؤ مـن با ختيا ر ا للها لكليّا لسـيا د ة و أ ننؤ منأ يضًا با لمسؤ و لية البشر ية . ففيهذ ها لطر يقة يتمسـك ا لإ نسا نبهذ ينا لتعليمينبحسـبميز ا نهما الكتابالصحيح.

والآن لنفتح كتبنا المقدســة إلى رومية ٩ ونتابع مع الرسول المحبوب توسُّعه بالموضوع.

٩: ١ بإصــرار بولس أن الخلاص للأُمــم كما هو لليهود أيضًا، أظهر وكأنه خان عقيدته وتخلّى عنها وارتدّ عن دينه بما يخصّ إســرائيل. وهو يعترض على الشك بحبه الشديد لشــعبه باســتخدامه القَسَــم. فهو يتكلم الحق ولا يكذب وضميره بشركة مع الروح القدس يشهد لصدق ما قاله.

٩: ٢ عندمــا يفتكر في دعوة الأُمّة المجيدة في الســابق، ويفتكر الآن في رفض الله لها لأنها قد رفضت المســيح، يمتلئ قلبه بحزن عظيم وأسّى لا ينقطع.

٩: ٣ وهــو يتمنــى أن يكــون محرومًــا أو مقطوعًا من المســيح إن كان هذا الحرمان من الخلاص يأتي بإخوته اليهود للخلاص. وفي هذا التصريح الشــديد في إنكار نفســه، نشــعر بأسمى المحبة البشــرية؛ المحبــة التي تدفع الإنســان كي يبذل نفســه بدل أحبائه (يو١٥: ١٣). ونحن نشعر بالحِمل الهائل الذي يختبره اليهودي المهتدي إلى المســيح لأجل هداية شعبه. وهذا ما يذكرنا بصلاة موســى لأجل شــعبه: «والآن إن غفرت خطيتهم... وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢: ٣٢).

٩: ٤ وبينمــا كان بولــس ينــوح علــى شــعبه مرّت امتيازاتهــم أمامــه وكأنهــا في عــرض عــام. فهــم إسرائيليون، أعضاء في شعب الله المختار قديمًا.

وقــد تبنى الله تلك الأمّة لتكون ابنًا له (خر٤: ٢٢) وخلّص شعبه من مصر (هو١١: ١). وكان أبًا لإسرائيل (تــث١٤: ١). وصــار أفرايــم بكــره (إر٣١: ٩). (استُخدم اسم أفرايم هنا كاسم آخر للأمّة).

وســحابة المجد رمزت لحضر الرب في وسطهم إذ قادهم وحفظهم.

وقد قطع الرب عهودًا مع ذلك الشعب وليس مع الأمم. ومثلاً على ذلك العهد الذي قطعة الربّ معهم حيث وعدهم بالأرض (تك١٥: ١٨). وسيقطع أيضًا العهد الجديد معهم واعدًا إيّاهم بدواميّتهم وبمباركة الشعب التائب (إر٣١: ٣١-٤٠).

وقد كان الناموس قد أُعطي لإسرائيل إذ أنهم وحدهم قد سُلِّموه.

والطقوس المفصّلة عبادة الله المرتبطة بخيمة الاجتماع والهيكل كانت قد أُعطيت لهم كما أُعطي لهم الكهنوت.

وبالإضافة إلى العهود المذكورة أعلاه فقد أعطاهم الله مواعيد لا تُحصى لحمايتهم وسلامهم وازدهارهم.

٩: ٥ ويدّعي الشعب اليهودي بالحق أن الآباء هم آباؤهم — إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأولاده الاثنا عشر. وأولئك كانوا أسلاف الأمّة اليهودية. كما كان لهم أسمى شرف: إذ كان المسيا يهوديًّا فيما يختص بنسله البشري، مع أنه أيضًا سيد الكون المطلق والإله الأبدي المبارك. وهنا نجد تصريحًا واضحًا وإيجابيًّا بلاهوت المخلّص وبشريّته. (بعض الترجمات قد تضعف قوة هذه الآية، فمثلاً تقول إحدى الترجمات: «ومن نسلهم حسب الجسد هو المسيح. والله هو الكائن فوق الكل مبارك إلى الأبد. آمين». ومع أن الأصل اليوناني لا يستبعد نحويًّا ترجمة كهذه، فإن التمييز الروحي في مقارنة الروحيّات بالروحيّات يفضّل الترجمة الحاصلة في الترجمات المحافظة، على غرار الترجمة العربية المعتمدة).

٩: ٦ ويواجه الرسول الآن مشكلة لاهوتية حادة: إن كان الله قد أعطى إسرائيل وعودًا واختارهم كشعبه الأرضي؛ فكيف يمكن تفسير هذه الأمور مع رفض إسرائيل الحالي والإتيان بالأمم إلى مكان البركة؟ وبولس يصرّ على أن هذه الحالة لا تشير إلى أي نقض للمواعيد من جهة الله. ويستمر ليبرهن أن الله كان يستخدم دائمًا عملية اختيار إلهية مؤسّسةً على موعد وليس على انتماء إلى سلالة ما. ولا يعني هذا أنه إن كان أحد قد وُلد في ذلك الشعب فقد أصبح وارثًا للمواعيد. فإن لله من ضمن ذلك الشعب بقيّة مؤمنين حقيقيين.

٩: ٧ ولا تُحسب كل ذريّة إبراهيم أولادًا. مثلاً، إسماعيل كان من ذرية إبراهيم ولكن نسل المواعيد جاء بإسحاق وليس بإسماعيل. ووعد الله كان: «لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل» (تك٢١: ١٢). وكما أشرنا في الملاحظات على ٤: ١٢ إن الرب يسوع المسيح قد عمل مثل هذا التمييز اللافت عندما تكلم مع اليهود غير المؤمنين في يوحنا ٨: ٣٣-٣٩. وقد قالوا له: «إننا ذرية إبراهيم»، فأقرّ بصحة قولهم قائلاً: «أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم». ولكن عندما قالوا: «أبونا هو إبراهيم»، أجابهم الرب قائلاً: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم». وبكلمة أخرى، لقد كانوا ذرية إبراهيم ولكنهم لم يكن عندهم إيمان إبراهيم ولذلك لم يكونوا أولاده الروحيين.

٩: ٨ وليست الأهميّة في الذرية الجسدية فإسرائيل الحق يتكوّن من يهود مختارين من الله والذين قد وعدهم وعودًا محدّدة ميّزهم كأولاده. ونرى هذه القاعدة في الاختيار الإلهي في حالتي إسحاق ويعقوب.

٩: ٩ ظهر الرب لإبراهيم واعدًا بأنه سيرجع في الوقت المعيّن وسيكون لسارة ابن. وبطبيعة الحال كان ذلك **الابن هو إسحاق**. لقد كان فعلاً ابن الوعد وابن الولادة الفائقة للطبيعة.

٩: ١٠ وحالة أخرى للاختيار الإلهي توجد في حياة يعقوب. **فإسحاق ورفقة** كانا بطبيعة الحال هما الأبوين، ولكن **رفقة** كانت حاملاً باثنين وليس بواحد.

٩: ١١ وقد جاء الإعلان قبل ولادة الطفلين، لذلك لا يمكن أن يرتبط الاختيار بأي أعمالٍ أو استحقاقات لأيٍّ من الطفلين. وكانت تلك القضية قضية اختيار الله كليًّا، مؤسَّسًا على إرادته هو وليس على شخصيّتي الطفلين أو إنجازاتهما. **وقصد الله حسب الاختيار** يعني تصميمه لتوزيع إحساناته بحسب إرادته الإلهية ومسرّته الصالحة. وعلى فكرة، هذا العدد يدحض الفكرة القائلة بأن اختيار الله ليعقوب كان مؤسَّسًا على معرفته السابقة لما كان سيفعله يعقوب، إذ إنه يقول بوضوح أن الاختيار لم يكن قد تقرر على أساس **الأعمال**.

٩: ١٢ وقد كان قرار الله أن **الكبير يُستعبد للصغير** بأن يصبح عيسو في مكانة خادم ليعقوب. وقد اختير الأخير لمجد وامتيازات أرضية. لقد كان عيسو هو البكر بين التوأمين، وبحسب العادة تكون له الكرامة والامتيازات المصاحبة لذلك المركز، ولكن اختيار الله تعدّاه وحلّ على يعقوب.

٩: ١٣ ولكي يؤكّد بولس اختيار الله الكليّ السيادة فقد اقتبس ملاخي ١: ٢، ٣: «**وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو**». وهنا كان الله يتكلم عن الأمّتين، الإسرائيلية والأدومية، اللتين كان رأسيهما يعقوبُ وعيسو. وقد وسم الله إسرائيل كالأمّة التي وعدها بالمسيا وبمملكة المسيح. ولم تُعطَ أدوم أيًّا من هذه الوعود بل جعل جباله خرابًا وميراثه لذئاب البرية (ملا١: ٣، انظر أيضًا إرميا ٤٩: ١٧، ١٨ وحزقيال ٣٥: ٧-٩).

ومع أنه من الحق أن الاقتباس من ملاخي ١: ٢، ٣ يصف معاملات الله مع الأمم بدلاً من الأفراد فإنه استُخدم ليسند حقه في السيادة ليختار الأفراد أيضًا.

وينبغي فهم الكلمات «**أحببت يعقوب وأبغضت عيسو**» في ضوء القانون الإلهي الذي يصرّح بأن **الكبير يُستعبد للصغير**. والأفضلية ليعقوب تأولت كعمل محبة وأما تعدّي عيسو فحُسب كراهية بالمقارنة. وليس الأمر أن الله قد كره عيسو بعداء شديد وحقد، ولكنه فقط أحبّ عيسو بأقل ممّا أحبّ يعقوب كما يُرى في اختياره الإلهي ليعقوب.

والنص يشير إلى البركات الأرضية وليس إلى الحياة الأبدية، وكُره الله لأدوم لا يعني أن أفرادًا أدوميين لا يستطيعون أن يخلصوا. (لاحظ أيضًا أن عيسو قد تقبل بعض البركات الأرضية كما هو نفسه شهد في تكوين ٣٣: ٩).

٩: ١٤ وتوقّع الرسول بحق أن تعليمه بخصوص الاختيار الإلهي سيثير كل أنواع الاعتراضات. والناس ما يزالون يتّهمون الله بالظلم وعدم الأنصاف. ويقولون إن هو اختار بعضًا فعندئذ بالضرورة يدين البقية. وحجّتهم هي إن كان الله قد رتب كل شيء مقدّمًا، فلا يعود هناك أي شيء يستطيع أن يفعله الإنسان بذلك الخصوص، وهكذا يكون الله ظالمًا لإدانته الناس.

وينكر بولس إنكارًا شديدًا إلقاء أي مسؤولية ظُلم على عاتق الله. ولكنه بدلاً من أن يقلّل من سيادة الله لكي يجعلها أكثر استساغة لأولئك المعترضين، استمر ليصرح مرة ثانية بها بشدة ودون أي اعتذار.

٩: ١٥ سيقتبس أولاً كلمات الله إلى موسى: «**وأترأف على من أترأف وأرحم من أرحم**» (خر٣٣: ١٩). ومن يستطيع أن يقول أن العليّ رب السماوات والأرض لا يحق له أن يظهر رأفته ورحمته؟

فالناس أجمعون قد دينوا لأجل خطيتهم وعدم إيمانهم. ولو تُركوا على ما هم عليه لهلكوا كلهم. وبالإضافة إلى تقديم دعوة خلاصية أصيلة، فقد اختار الله بعضًا من أولئك الناس الذين قد دينوا ليكونوا موضع نعمته الخاص. ولكنّ هذا لا يعني أنّه اختار الباقين اعتباطيًّا كي يُدانوا، فإنّهم قد دينوا لأنهم أخطأوا طول حياتهم كما أنهم رفضوا الإنجيل. ينبغي لأولئك الذين قد اختارهم الله أن يشكروه لأجل نعمته، وأولئك الذين هلكوا لا ينبغي أن يلوموا أحدًا إلاّ أنفسهم.

٩: ١٦ والخلاصة إذًا أن مصير الإنسان النهائي لا يقع ضمن قوّة إرادته أو قوّة جهاده الذاتي، بل بالحري في مراحم الله.

وعندما قال بولس «**ليس لمن يشاء**» فهو لا يعني أن إرادة الإنسان غير مرتبطة بخلاصه. فدعوة الإنجيل موجّهة مباشرة إلى إرادة الإنسان كما يظهر في رؤيا ٢٢: ١٧ «من يُرد فليأخذ ماء حياة مجانًا». وقد كشف المسيح عدم إيمان اليهود الذين لم يشاؤوا أن يأتوا إليه (يو٥: ٤٠). وعندما يقول بولس «**ولا لمن يسعى**»، فهو لا ينكر أن علينا أن نجاهد كي ندخل الباب الضيق (لو١٣: ٢٤). فإن مقدارًا من الاشتياق والإرادة الروحية يصبح من الضروري. ولكن إرادة الإنسان وسعيه ليسا الأوّلين في عوامل التصميم إذ أن الخلاص هو من الله. يقول مورجان *Morgan*:

> لا إرادة من جهتنا، ولا سعينا، يستطيع أن يكسبنا الخلاص الذي نحن بحاجة إليه، أو يُقدّرنا على الدخول إلى البركات التي ييسّرها... ولا يمكن أن نملك من ذواتنا إرادة للخلاص أو أن نقوم بجهد نحوه. فكل شيء يختص بخلاص البشر يبتدئ بالله.

٩: ١٧ وتُرى سيادة الله ليس فقط في إظهار رحمته في بعض بل أيضًا في تقسية آخرين. وقد استُشهد بفرعون كمثل.

ولا يوجد هنا ما يوحي بأنّ الملك المصري كان قد دين منذ ولادته. ولكن ما حدث هو أن في حياته البالغة كرجل كان مستهترًا ووحشيًّا وعنيدًا للغاية. وبالرغم من الإنذارات المهيبة استمرّ بتقسية قلبه. وكان باستطاعة الله أن يهلكه في الحال، ولكنه لم يفعل هكذا. ولكن الله حفظه حيًّا لكي يظهر فيه قوته ولكي يعلن اسمه بواسطته في كل الأرض.

٩: ١٨ وقد قسّى فرعون قلبه بتكرار، وبعد كل مرة كان الله يضاعف تقسية قلب فرعون كدينونة له. فالشمس التي تُذيب الثلج هي نفسها تقسّي الطين. والشمس التي تُبيّض الثياب هي نفسها تُسمّر الجلد. والله الذي يُظهر رحمة لمنكسري القلوب هو نفسه يقسّي قلوب غير التائبين. والنعمة المرفوضة تصبح نعمة ممنوعة.

والله له الحق أن **يظهر رحمته** على من يشاء ويقسي من يشاء، ولكن لأنه الله لا يمكن أن يتصرف بإجحاف.

٩: ١٩ وإصرار بولس على حق الله بأن يعمل ما يسرّه، يثير الاعتراض القائل "إن كان هذا حقًّا فلا ينبغي له أن يجد خطأ في أي إنسان لأنه لا يوجد شخص قد نجح في مقاومة إرادته". فعند المعترض أن الإنسان هو بيدق في لعبة الشطرنج الإلهية، ولا يستطيع أي شيء يفعله أو يقوله أن يُحدث أي تغيير في قدره.

٩: ٢٠ ويوبّخ الرسول إهانة أي مخلوق يتجرأ على نسبة أخطاء إلى الخالق. فالإنسان المحدود، المحمّل بخطيته وجهله وضعفاته، ليس في موضع يساعده على التكلّم ضد الله، أو على أن يشكّ في حكمة الله وعدل طرقه.

٩: ٢١ وبعد ذلك يستخدم بولس استعارة **الخزّاف والخزف** ليزكّي سيادة الله. فالخزّاف يأتي إلى مكان عمله يومًا ويرى كومةً من الطين على الأرض لا شكل لها. فيلتقط حفنة من الطين ويضعها على الدولاب ويشكّلها على نمط وعاء جميل. فهل له الحق أن يفعل هذا؟

والخزّاف هو الله طبعًا. والطين هو البشرية الخاطئة. فإن تركها الخزّاف لوحدها فستذهب كلها إلى الجحيم. وهو سيكون عادلاً ومنصفًا إطلاقًا أن تركهم لوحدهم، ولكن بسيادته يختار حفنة من الخطاة ويخلّصهم بنعمته ويجعلهم مشابهين صورة ابنه. فهل له الحق أن يفعل هذا؟ تذكّر أنه لا يحكم على أحد بالجحيم إجحافًا، إذ إنّهم كانوا قد دينوا بإرادتهم وعدم إيمانهم.

ولله القوة المطلقة والسلطان المطلق ليصنع من بعض إناء للكرامة ومن بعضٍ إناء للهوان. وفي تلك الحالة حيث الجميع غير مستحقين، يستطيع الله أن يمنح بركته حيثما يشاء. وقد كتب بارنز *Barnes*: "حيث الجميع بغير استحقاق، فالأهم الذي يمكن أن يُطلب هو أن لا يُعامَل أحدهم بظلم".

٩: ٢٢ ويصوِّر بولسُ اللهَ، الخزّافَ العظيم، وكأنه يواجه مشكلة تضارُب المصالح. فمن جهة واحدة يشاء أن **يظهر غضبه ويعرض قوته في عقابه للخطية**. ومن الجهة الأخرى، يشاء أن يتحمّل بصبر **آنية الغضب المُعدّة للهلاك**. والمباينة هي بين الله الكلي السيادة والبار من جهة، وصبره الرحيم من جهة أخرى. والحجة هي: "إن كان الله يتبرر في عقاب الأشرار حالاً، ولكن بدلاً من ذلك يظهر لهم صبرًا عظيمًا، فمن يستطيع أن يجد فيه خطأ؟".

لاحظ بانتباه الجملة «**آنية غضب مهيئة للهلاك**». فآنية الغضب هي التي تجعل خطاياها موضع غضب الله بخطيتها هي وعصيانها وتمرّدها وليس بقرار مُجحفٍ من الله.

٩: ٢٣ ومن يستطيع أن يعترض أن شاء الله أن **يبين غنى مجده** لشعب يشاء أن يظهر نحوه الرحمة؛ شعبٍ قد سبق واختاره لمجد أبدي؟ وهنا يظهر أن تعليق إردمن *C.R.Erdman* مفيد:

> إن الله لا يمارس سيادته العليا البتّة في إدانة الناس الذين ينبغي أن يخلصوا، بل بالحري قد آلت سيادته إلى خلاص أُناس كان ينبغي أن يهلكوا.

والله لا يهيئ آنية للغضب لأجل هلاكها، ولكنه **يهيئ آنية للرحمة لأجل المجد**.

٩: ٢٤ ويعرّف بولس آنية الرحمة بأنهم أولئك الذين صاروا مسيحيين حقيقيين، والذين دعاهم الله من كلا عالَمي اليهود والأمميين. وهذا يضع الأساس لكثير مما سيلحق: تنحية كل الشعب جانبًا، ما عدا بقية منه، ودعوة الأمم إلى مركز البركة.

٩: ٢٥ ويقتبس الرسول عددين من هوشع ليظهر أن دعوة الأمم لا ينبغي أن تأتي كمفاجأة لليهود. والعدد الأول هو من هوشع ٢: ٢٣ «**سأدعو الذي ليس شعبي: شعبي، والتي ليست محبوبة: محبوبة**». وبالفعل هذه الكلمات تشير إلى إسرائيل وليس إلى الأمم، وهم ينظرون إلى الأمام حين تُسترجَع الأمّة كشعب الله وكأحبائه. ولكن باقتباسه لها هنا في رومية فهو يطبّقها على دعوة الأمم. وما هو حق بولس ليعمل هذا التغيير الجذري؟ الجواب هو: الروح القدس الذي أوحى بالكلمات أساسًا، له الحق أن يؤوّل ويطبّق في ما بعد كما يشاء.

٩: ٢٦ والعدد الثاني هو في هوشع ١: ١٠ «**ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي، أنه هناك يُدعَون أبناء الله الحي**». ومرة أخرى في إطار العهد القديم لا يتكلم هذا العدد عن الأمم بل يصف مستقبل استرداد إسرائيل إلى مركز عطف الله. ومع ذلك يطبّقه بولس على اعتراف الله بالأمم كأولاده. وهذا توضيح آخر للواقع بأنه حينما يقتبس الروح القدس آية في العهد الجديد من العهد القديم فهو يستطيع بالحق أن يطبقها كيفما شاء.

٩: ٢٧ رَفضُ إسرائيل ما عدا بقية قد بُحث في ٩: ٢٧-٢٩. وقد تنبأ **إشعياء** أن أقليّة من الأمّة سيخلصون رغم أن أعدادهم ستكثر كثرة هائلة (إش ١٠: ٢٢).

٩: ٢٨ عندما قال إشعياء «**لأنه متمّم أمر وقاضٍ بالبر. لأن الرب يصنع أمرًا مقضيًا به على الأرض**» (إش ١٠: ٢٣) كان يشير إلى غزو البابليين لفلسطين والذي تبعه أخذُ الشعب إلى المنفى. والعمل كان عمل دينونة من الله. وباقتباس بولس لتلك الكلمات يقول أن ما حدث لإسرائيل في الماضي يمكن أن يحدث في أيامه وسيحدث فعلاً.

٩: ٢٩ وكما قال إشعياء قبلاً (في جزء متقدم من نبوته) لو لم يُبقِ رب جنود السماء بقية لكانت إسرائيل قد امّحت كسدوم وعمورة (إش ١: ٩).

٩: ٣٠ ويسأل بولس: ما هي خلاصة كل هذه الأمور التي تختص بعصر الكنيسة الحاضر؟ والخلاصة الأولى هي أن **الأمم** الذين بصفتهم لم يتبعوا **البرّ** بل بالحري الشرّ، والذين بكل تأكيد لم يُحرزوا أي برّ من صنعهم، قد وجدوا **البرّ بالإيمان** بالرب يسوع المسيح. وهذا لا يعني أن كل الأمميين قد تبرروا، بل فقط أولئك الذين آمنوا بالمسيح.

٩: ٣١ ومن الجهة الأخرى، إسرائيل التي طلبت البرّ على أساس حفظ **الناموس** لم تجد ناموسًا يمكنها أن تحصل على البرّ بواسطته.

٩: ٣٢ والسبب هو واضح إذ رفضوا أن يؤمنوا أن التبرير هو **بالإيمان** بيسوع ولكنهم استمروا محاولين بعناد أن يتمّموا برّهم باستحقاقات شخصية، فعثروا **بحجرِ عثرةٍ** هو الرب يسوع المسيح.

٩: ٣٣ وهذا تمامًا ما كان الرب قد تنبأ به بفم إشعياء. ومجيء المسيح إلى أورشليم يكون له تأثيران: لبعض الناس يكون كصخرة عثرة وحجر صدمة (إش ٨: ١٤)، وللآخرين الذين يؤمنون لا يكون ما يدعو للخجل أو للاستياء أو الخيبة (إش ٢٨: ١٦).

ب. حاضر الشعب القديم (أص ١٠)

١٠: ١ لقد كانت تعاليم بولس من أكره ما يكون لليهودي غير المؤمن. لذلك حسبوه خائنًا وعدوًا لإسرائيل. ولكنه هنا يؤكد لإخوته المؤمنين الذين كتب

إليهم رسالته أن الشيء الذي يسرّ قلبه أكثر ما يكون، والذي يصلي إلى الله لأجله بحرارة، هو خلاص بني جنسه.

١٠ : ٢ بدل أن يدينهم كشعب بلا إله أو دين، يُدلي بشهادته لهم بأن لهم غيرة لله. وهذا كان ظاهرًا في حفظهم الدقيق للطقوس والاحتفالات اليهودية وأيضًا من عدم تساهلهم مع أي تعليم مضاد. ولكن الغيرة ليست كافية وينبغي أن يصحبها الحق، وإلاّ تصبح مؤذية أكثر مما هي صالحة.

١٠ : ٣ وهنا قد فشلوا إذ كانوا يجهلون برّ الله ويجهلون حقيقة أن الله يحسب البرّ على أساس قاعدة الإيمان لا الأعمال. ولذلك جاهدوا كي يُنتجوا البرّ الخاص بهم بحفظهم للناموس. وحاولوا أن يكتسبوا استحسان الله بمجهودهم وصفاتهم وأعمالهم الحسنة. وقد رفضوا بإصرار أن يخضعوا لخطة الله التي تقضي بحسبان البرّ لأولئك الخطاة الفجار الذين آمنوا بابنه.

١٠ : ٤ لو أنهم فقط آمنوا بالمسيح لرأوا أنه غاية الناموس للبرّ. فقصد الناموس هو أن يُظهر الخطية ويبكّت المتعدّين ويدينهم، وما كان الناموس البتّة ليَهَب البرّ. وعقاب الناموس المكسور هو الموت. والمسيح، في موته، دفع جزاء الناموس الذي كسره الناس. وعندما يَقْبَل الخاطئ الربَّ يسوع المسيح مخلِّصًا له، لا يعود للناموس أي قول ضده. فبموت البديل مات هو للناموس، وهكذا انتهت علاقته بالناموس وبالمحاولات التي لا فائدة لها لبلوغ البرّ.

١٠ : ٥ وفي لغة العهد القديم نستطيع أن نسمع عن الاختلاف بين كلمات الناموس وكلمات الإيمان.

ففي لاويين ١٨ : ٥ مثلاً يكتب موسى أن الإنسان الذي يُحرِز البرّ الذي يتطلبه الناموس يعيش بفعل ذاك. والتشديد هناك كان على العمل أو الإنجاز.

وطبعًا يقدِّم هذا التصريح مثالاً لا يستطيع إنسان أن يتمّمه. فكل ما قاله هو إن كان الإنسان يستطيع أن يحفظ الناموس بكمال، وباستمرار، فلا يُدان للموت. ولكن الناموس كان قد أُعطي لأُناس كانوا خطاة ومحكومًا عليهم بالموت. وحتى لو استطاعوا أن يحفظوا الناموس بكماله من ذلك اليوم فصاعدًا، فهم سيبقون هالكين لأن الله يتطلب دفع الجزاء من الخطايا السالفة. وأي رجاء للإنسان كي يحصل على البرّ بالناموس إن كان قد حُكم عليه بالإخفاق من بدايته.

١٠ : ٦ ولكي يبرهن بولس أن لغة الإيمان تختلف كل الاختلاف عن لغة الناموس، يقتبس أولاً من التثنية ٣٠ : ١٢، ١٣ قائلاً: «ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟».

والأمر المهم هو أن هذه الأعداد في إطارها ضمن سفر التثنية لا تشير إلى الإيمان والإنجيل إطلاقًا، إذ أنها تتكلم عن الناموس، وبالأخص الوصية التي تأمر الإنسان: ارجع «إلى الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك» (تث ٣٠ : ١٠). والله يقول إن الناموس ليس مخفيًا ولا بعيدًا أو صعب المنال، ولا يحتاج الإنسان لأن يصعد إلى السماء أو أن يعبر البحار ليجده. فهو قريب جدًا وينتظر أن يُطاع.

يأخذ الرسول بولس هذه الكلمات ويطبّقها على الإنجيل، ويقول إن لغة الإيمان لا تتطلب من الإنسان أن **يصعد إلى السماء ليُنزل المسيح**، فهذا أمر عسر المنال، كما أنه أمر غير ضروري لأن المسيح كان قد نزل إلى الأرض في تجسده.

١٠: ٧ وعندما اقتبس الرسول الآية في تثنية ٣٠: ١٣ غيّرها من «من يعبر البحر» إلى «**من يهبط إلى الهاوية**». وهدفه هو أن الإنجيل لا يطلب من الناس أن ينزلوا إلى القبر **ليصعدوا المسيح من بين الأموات**، إذ أن هذا الأمر مستحيل، كما أنه عمل غير ضروري لأن المسيح كان قد قام من بين الأموات. ولاحظ أن في ١٠: ٦، ٧ جاءت العقيدتان بخصوص المسيح اللتان يستصعب اليهود أن يتقبلوهما أكثر من غيرهما، ألا وهما: تجسّده وقيامته. إلاّ أنه ينبغي لليهودي أن يتقبل هاتين الحقيقتين إن كان يريد أن يخلص. وسنراهما أيضًا في ١٠: ٩، ١٠.

١٠: ٨ إن كان الإنجيل لا يخبر الناس أن يعملوا ما هو مستحيل بشريًّا، أو أن يقوموا بعمل ما كان الرب قد عمله، **فماذا إذًا يقول الإنجيل؟**

يستخدم بولس آية وردت في تثنية ٣٠ ليخبر أن الإنجيل هو **قريب** وممكن الوصول إليه، وفهمه بسيط وممكن الحصول عليه بسهولة، كما أن باستطاعته أن يُعبّر عنه بمفردات عادية ومألوفة (**في الفم**)، ويمكن فهمه في الفكر بسهولة (**في قلبك**) (تث٣٠: ١٤). فهو بشارة الخلاص بالإيمان التي كرز بها بولس وبقية الرسل.

١٠: ٩ هذا العدد هو مختصر مفيد: فأولاً، عليك أن تقبل عقيدة التجسّد بأن طفل مذود بيت لحم هو رب الحياة والمجد، وأن يسوع الذي في العهد الجديد هو الرب (يهوه) في العهد القديم.

ثانيًا، ينبغي أن تتقبل حقيقة قيامته بكل ما يتضمنه إطار القيامة. **لقد أقامه الله من بين الأموات** كبرهان أنّه - له المجد - قد أكمل العمل الضروري لخلاصنا، وإن الله قد سُرّ بعمله. والإيمان بهذه الحقائق **بالقلب** يعني أن يصدّقها الإنسان بعقله وعواطفه وقواه الإرادية.

وهكذا **إن اعترفت بفمك بالرب يسوع المسيح وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت**. إن هذا العمل هو تخصيص شخصي يقوم به الإنسان للإفادة من شخص الرب يسوع المسيح وعمله. وهذا هو الإيمان الذي يخلّص.

وغالبًا ما يُثار السؤال التالي: "هل يستطيع الإنسان أن يخلص بقبوله يسوع مخلّصًا بغير أن يعترف به ربًّا؟". والكتاب المقدس لا يعطي أي تشجيع لأي شخص يؤمن بتحفظ عقلي: "أنا أقبل يسوع مخلّصًا لي ولكنني لا أريد أن أتوّجهُ ربًّا على كل شيء". ومن الجهة الأخرى، إن أولئك الذين يفرضون الخضوع ليسوع ربًّا ويجعلون فرضهم شرطًا للخلاص يواجهون مشكلة: "لأي درجة ينبغي أن يُعترف به ربًّا؟". وقليل من المسيحيين قد ادّعوا أنهم بهذه الطريقة قد سلموا حياتهم له تسليمًا كاملاً ومطلقًا. وحينما نُقدّم الإنجيل ينبغي أن نتمسك بأن الإيمان هو الشرط الوحيد للتبرير. ولكن علينا أن نُذكّر الخطاة والقديسين باستمرار أن يسوع هو الرب (الله يهوه) وأن عليهم أن يعترفوا به هكذا.

١٠: ١٠ ولشرحٍ أسهب يكتب بولس أن **القلب يؤمن به للبرّ** وهذا ليس مجرد موافقة عقلية بل قبول أصيل بكل ما في كيان المرء الداخليّ. وعندما يقوم الإنسان بهذا العمل يُبرّر في تلك اللحظة.

وبعد ذلك **فالفم يُعتَرَف به للخلاص**، أي أن المؤمن يعترف علنًا بالخلاص الذي قبله. فالاعتراف ليس شرطًا للخلاص ولكنه تعبير خارجي لا بد منه عمّا قد حدث. "لأنك إن آمنت بالمسيح فعليك أن تتكلم عنه". وعندما يؤمن الإنسان بشيء يصير عنده رغبة كي يشارك الآخرين بما آمن به. وهكذا عندما يولد الإنسان ثانية، ولادة حقيقية، يصبح هذا أمرًا لا يمكن الاحتفاظ به كَسِرٍّ. لذلك هو يعترف بالمسيح علنًا.

فالكتاب يفترض أنه عندما يخلص الإنسان يعترف بخلاصه علنًا. والاثنان يتفقان معًا. لذلك يقول كِلّي *Kelly*: "إن لم يكن هناك اعتراف بالمسيح ربًّا بالفم فلا نستطيع أن نتكلم عن الخلاص وكما قال ربنا: من آمن واعتمد خلص". ويعلّق دِني *Denney*: "القلب الذي يؤمَن به للبرّ والفم الذي يُعترف به للخلاص ليسا أمرين مختلفين بل هما وجهان لشيءٍ واحد".

ويمكن إثارة السؤال: لماذا يأتي الاعتراف أولاً في ١٠: ٩ وبعد ذلك الإيمان. والجواب ليس صعب المنال. ففي العدد ٩ كان التشديد على التجسد والقيامة وقد ذُكرت هاتان العقيدتان بتسلسلهما التاريخي. فالتجسد جاء أولاً — يسوع هو ربّ. وبعد ذلك القيامة — الله أقامه من الأموات. أما في العدد ١٠ فالتشديد على ترتيب الأحداث في خلاص الخاطئ. أولاً هو يؤمن وبعد ذلك يعترف بخلاصه علنًا.

١٠ : ١١ ويقتبس الرسول الآن إشعياء ٢٨: ١٦ ليشدِّد على أن **كل من يؤمن به لا يُخزى**؛ ففكرة الاعتراف العلني تثير خوف الخزي؛ ولكن العكس هو الصحيح. إذ إن اعترافنا به على الأرض يقود إلى اعترافه بنا في السماء فيكون رجاؤنا رجاء لا يُخزى.

والتعبير «كل من» يشكِّل وصلة مع ما يتبع؛ أي أن خلاص الله المجيد هو للجميع، أمَمًا كانوا أو يهودًا.

١٠ : ١٢ في رومية ٣: ٢٣ نتعلم عن وجود عدم اختلاف بين اليهودي والأممي بخصوص الحاجة للخلاص. فالجميع هم خطاة، والآن نتعلم أنه لا يوجد أي تمييز بخصوص تيسير الخلاص. فالرب ليس إلهًا مقصورًا على جماعة معيّنة ولكنه ربّ لكل بني البشر. كما أنه **غني** بالنعمة والرحمة على جميع الذين يدعون به.

١٠ : ١٣ ويوئيل ٢: ٣٢ يُقتبس للبرهنة على شموليّة الإنجيل. ولا أحد يستطيع ان يطلب تصريحًا أبسط لطريقة الخلاص من ذاك الموجود في هذه الكلمات: «**كل من يدعو باسم الربّ يخلص**». **واسم الربّ** يمثّل **الربّ** نفسه.

١٠ : ١٤ إنجيل كهذا يفترض مسبقًا إعلانًا كونيًّا عامًّا. وما هو نفع الخلاص المعروض لليهود والأمميين إن لم يسمعوا به قط. وهنا نجد نبضات قلب الإرساليات المسيحية. وبسلسلة من ثلاثة «كيف» (كيف **يدعون... يؤمنون... يسمعون** بلا مبشّر) يتتبّع الرسول الخطوات التي تقود إلى خلاص اليهود والأمميين. وقد تكون الصورة أوضح إن عكسنا الترتيب كما يلي:

يرسل الله خدامه،
فيبشّرون بأخبار الخلاص السارّة،
ويسمع الخطاة عرض الله للحياة في المسيح،
وبعض الذين يسمعون يؤمنون بالرسالة،
والذين يؤمنون يدعون باسم الربّ،
والذين يدعون باسمه هم مُخلَّصون.

ويشير هودج *Hodge*: "إن هذه حجّة مؤسّسة

على القاعدة التي تقول إن أراد الله النهاية فهو سيريد أيضًا الوسيلة التي توصل إلى النهاية". وكما قلنا، هذا هو أساس الحركة الإرسالية المسيحية. وهنا يزكّي بولس تبشيره بالإنجيل للأمم، وهو عمل يحسبه اليهودي غير المؤمن ذنبًا لا يُغتفَر.

١٠: ١٥ **والله هو الذي يُرسِل، ونحن المرسَلون، وماذا نحن فاعلون بهذا الخصوص؟** فهل لنا الأقدام الجميلة التي نسبها إشعياء إلى ذلك الذي يبشر بالخير (إش٥٢: ٧)؟ لقد كتب إشعياء عن قدَمي المبشِّر (بالمفرد)، أي المسيح، وهنا في رومية ١٠: ١٥ ضمير المفرد يصبح ضمير الجمع. لقد أتى بقدمين جميلتين من نحو ٢٠٠٠ سنة، وأما الآن فمن امتيازنا ومسؤوليتنا أن نذهب بأقدام جميلة إلى العالم المائت والهالك.

١٠: ١٦ ولكن حزن بولس الدائم هو أن **ليس جميع الشعب أصغوا للإنجيل**، وقد تنبأ إشعياء بهذا عندما سأل: «**من صدّق خبرنا؟**» (إش٥٣: ١). والسؤال يتطلب جوابًا: ليس كثيرون. فعندما بُشِّروا بإعلان مجيء المسيح أول مرّة، لم يتجاوبِ الكثيرون.

١٠: ١٧ في هذا الاقتباس من إشعياء يلاحظ بولس أن الإيمان الذي يتكلم عنه النبي ينبع من الرسالة التي سُمعت، وإن الرسالة تأتي **بالكلمة** عن المسيح. وهكذا يُستخلَص أن **الإيمان يأتي بالخبر والخبر بكلمة الله. فالإيمان يأتي** للناس عندما يسمعون بشارتنا بخصوص الربّ يسوع المسيح، المؤسسة طبعًا على **كلمة الله** المكتوبة.

ولكن سمع الأُذن ليس كافيًا. فالإنسان ينبغي أن يسمع بقلب مفتوح وعقل منفتح وبرغبة في أن يرى حق الله. وإن فعل ذلك يجد أن الكلمة لها وقع الحق، كما أن الحق يبرهن أصالة نفسه. وعندئذ يؤمن الإنسان. وينبغي أن يكون واضحًا أن **الخبر** المذكور في هذا العدد لا يتكلم فقط عن سمع الأذن. فالرسالة قد تُقرأ مثلاً، ولذلك فإنّ «الخبر» يعني قبول الكلمة بأي وسيلة عُرِضت.

١٠: ١٨ فما هي المشكلة إذًا؟ **ألم يسمع اليهود والأمميون** تبشير الإنجيل؟ بلى. وقد استعار بولس كلمات المزمور ١٩: ٤ ليبرهن أنهم سمعوا فقال: «**بلى، إلى كل الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم**».

ولكن الأمر المفاجئ هو أن هذه الكلمات من المزمور ١٩ لم تتكلّم عن الإنجيل، بل تصف الشهادة الكونية للشمس والقمر والنجوم لأجل مجد الله. ولكن كما قلنا، استعار بولس تلك الكلمات ومُراده أن يؤكّد أنها بالفعل تصدق على التبشير الكوني بالإنجيل في زمانه. وبوحي من روح الله، غالبًا ما يأخذ بولس نصوص العهد القديم ويطبّقها بطريقة مختلفة كل الاختلاف. فالروح نفسه الذي أوحي أصلاً بتلك الكلمات له الحق أن يعطيها تطبيقًا آخر في ما بعد.

١٠: ١٩ ودعوة الأمم ورفض الإنجيل من قِبَل أكثرية اليهود لا ينبغي أن تأتي كمفاجأة لذلك الشعب. فأسفارهم المقدسة تنبأت تمامًا بما سيحدث. مثلاً، قد أنذر الله أنه **سيُغيرهم بما ليس أمّة** (الأمم) **ويغيظهم بأمّة غبيّة** (تث٣٢: ٢١).

١٠: ٢٠ وبلغة أجرأ يقول إشعياء بلسان الربّ إنّه **وُجِد** من قِبَل الأمم الذين لم يطلبوه **وأُظهِر** للذين لم يسعوا في أثره (اش٦٥: ١). فعلى الإجمال، لم يَسْعَ الأمم في أثر الله إذ كانوا مكتفين بدياناتهم الوثنية. ولكن الكثيرين منهم قد تجاوبوا فعلاً عندما سمعوا بشارة الإنجيل. ونسبيًا، كان تجاوب الأمم أكبر من تجاوب اليهود.

١٠: ٢١ في المقابل لهذه الصورة، التي تصوّر الأمم يأتون أفواجًا نحو الربّ (يهوه)، يصوّر إشعياء الربّ واقفًا اليوم كله بيدين مفتوحتين مشيرًا إلى الشعب القديم للرجوع إليه، ولكنه يُواجَه بالعصيان والرفض العنيد.

ج. *مستقبل الشعب القديم (أص١١)*

١١: ١ وما هو مستقبل الشعب القديم؟ فهل ما يبشّر به البعض هو حق أن الله قد انتهى من إسرائيل، وأن الكنيسة هي الآن «إسرائيل الله»، وأن كل وعود إسرائيل تنطبق على الكنيسة الآن؟ إنّ رومية ١١ هو أحد النصوص الأشد تفنيدًا في الكتاب المقدس لتلك النظرية.

والسؤال الذي به استهلّ بولس البحث هو: «**ألعلّ الله رفض شعبه كليًّا؟**» أي هل طُرِح كل يهودي خارجًا؟ حاشا. فالمُراد هنا أن الله، وإن كان قد رفض شعبه كما هو مصرَّح في ١١: ١٥، فهو لم يرفضهم جميعًا. وبولس نفسه برهان على أن رفض اليهود لم يكن رفضًا كاملاً. على كلٍّ، كان **هو إسرائيليًّا** من ذرية إبراهيم من **سبط بنيامين**، "فأوراق اعتماده" كيهوديّ كانت فوق كل شبهة.

١١: ٢ وهكذا علينا أن نفهم الجزء الأول من العدد كأنه يقول: «**لم يرفض الله كليًّا شعبه الذي سبق فعرفه**». والحالة هنا شبيهة بالحالة التي كانت في أيام إيليا، إذ أن أكثرية الناس كانوا قد تحوّلوا عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان. والحال كانت هكذا رديئة حتى أن إيليا صلّى **ضدّ إسرائيل** بدلاً من يصلّي لأجله.

١١: ٣ وقد اشتكى إيليا إلى الربّ كيف أن الشعب قد أخرس صوت **الأنبياء** بالموت، وهدم **مذابح الله**. وبدا له وكأنه الصوت الوحيد الذي بقي أمينًا، لذلك أصبحت حياته في خطر وشيك.

١١: ٤ ولكن الواقع أنه لم تكن الحالة قاتمة وميئوسًا منها كما تخوّف إيليا، إذ إنّ الله ذكّر النبي أنه **أبقى لنفسه سبعة آلاف رجل** رفضوا بإصرار أن يلتحقوا بالأمّة في عبادة **بعل**.

١١: ٥ وما كان صحيحًا عند ذاك هو صحيح اليوم؛ إذ أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد. وله دائمًا بقيّة أمينة ومختارة لنفسه كغرضٍ خاصّ **لنعمته**.

١١: ٦ ولا يختار الله هذه البقية على أساس **أعمالهم**، ولكن على أساس **نعمته** المختارة ذات السيادة العليا. وهاتان القاعدتان — **النعمة والأعمال** — هما معنيّتان بالتبادل. فالهبة لا تُكتسب، والشيء المجاني لا يُشترى، كما أن الذي لا يُستحقّ لا يُستأهل. فمن الخير أن اختيار الله مبنّي على **النعمة** وليس على **الأعمال**، وإلا ما كان ممكنًا لأحد أن يكون مختارًا.

١١: ٧ والخلاصة إذًا أن شعب إسرائيل قد فشلوا في الحصول على البرّ لأنهم طلبوه بواسطة مجهوداتهم الذاتية، بدلاً من طلبه بواسطة عمل المسيح الكامل. والبقية المختارة من الله قد نجحت في الحصول على البرّ بواسطة الإيمان بالرب يسوع. والأمّة قد أصيبت بما يُسمّى بالعمى القضائي. ورفض قبول المسيح أدّى إلى تناقص القدرة على قبوله والميل إلى ذلك.

١١: ٨ وهذا تمامًا ما تنبّأ العهد القديم بحدوثه (إش٢٩: ١٠؛ تث٢٩: ٤). فقد تركهم الله لحالة سبات، حيث أمسوا عديمي الإحساس بالحقائق الروحية. وبما أنهم رفضوا أن يروا الربّ يسوع بوصفه المسيّا المخلّص، فقدوا القوة **لرؤيته**. ولأنهم لا يريدون أن يسمعوا

صوت الله يدعوهم، لذلك هم الآن مضروبون بالصّمم الروحي. وهذه الدينونة ما تزال سارية حتى **هذا اليوم**.

١١: ٩ وقد توقّع **داود** أيضًا الدينونة على إسرائيل. ففي المزمور ٦٩: ٢٢، ٢٣ وصف داودُ المخلّص المرفوض وهو يطلب من الله أن يحوّل **مائدتهم فخًّا وقنصًا**. **والمائدة** هنا تعني مجموعة الامتيازات والبركات التي فاضت عليهم من خلال المسيح. فما كان ينبغي أن يكون بركة تحوّل لعنةً.

١١: ١٠ وفي نصّ المزمور طلب المخلّص المتألم من الله أن يُظلم عيونهم ويحني أجسادهم بالتعب أو الشيخوخة (أو قلقل متونهم دائمًا؛ أي لترتعد أحقاؤهم باستمرار).

١١: ١١ ويثير بولس سؤالاً آخر: **ألعلّهم عثروا لكي يسقطوا؟** وهنا ينبغي أن نُضيف الكلمة "نهائيًّا أو للأبد". فهل عثروا حتى سقطوا ولن يُسترجعوا أبدًا؟ ينكر الرسول أي اقتراح كهذا بشدة، إذ قصد الله هو لاسترجاعهم. وقصده هو أنّه نتيجةً لسقوطهم يأتي **الخلاص للأمم**، وهكذا يُغيِّر إسرائيل. وهذه الغيرة مُصمّمة للإتيان بإسرائيل رجوعًا إلى الله نهائيًّا.

لا ينكر بولس سقوط إسرائيل، وفي الواقع هو يقرّ به في هذا العدد بالذات - وفي العدد اللاحق - «**إن كانت زلّتهم غنى للعالم**». ولكنه يعترض بشدة على الفكرة القائلة أن الله قد رفض الشعب إلى الأبد.

١١: ١٢ وكنتيجة لرفض إسرائيل للإنجيل أُهملت الأمّة وخرجت البشارة إلى **الأمم**. بهذا المعنى يصبح سقوط إسرائيل غنى للعالم كما أن خسارة إسرائيل أصبحت كسبًا للأمم.

ولكن إن كان ذلك صحيحًا **فكم بالحري** يُنتج استرداد غنى البركة للعالم أجمع. وعندما ترجع الأمّة إلى الرب في نهاية الضيقة العظيمة تصبح هي قناةَ البركة للأمم.

١١: ١٣ وهنا يخاطب الرسول **الأمم** (١١: ١٣-٢٤)، ويظن بعضهم أنه يتكلم إلى المؤمنين الأمميين في رومية، ولكن الفقرة تتطلب جمهورًا مختلفًا — أي الشعوب الأممية. وقد يساعد الدارس على فهم هذه الفقرة إن كان يرى بولس وهو يتكلم عن إسرائيل كأُمّة وعن الأمم كشعوب. وهو لا يتكلم عن كنيسة الله، وإلا فسنواجه إمكانية قطع الكنيسة (١١: ٢٢)، وهذا أمر غير كتابي.

وبما أن بولس كان **رسولاً للأمم** فيصبح أمرًا طبيعيًّا له أن يتكلم إليهم بصراحة، وهكذا كان هو يتمّم **خدمته**.

١١: ١٤ وقد حاول بكل وسيلة أن **يُغيِّر أنسباءه** لكي يُستخدَم لخلاص بعضهم. وقد علم هو، كما نعلم نحن، أنه لم يكن باستطاعته شخصيًّا أن يخلّص أي إنسان، ولكن إله الخلاص يتّحد بخدامه إلى درجة أنه يسمح لهم أن يتكلموا عما يستطيع هو فقط أن يفعله وكأنه عملهم.

١١: ١٥ وهذا العدد يردّد الحجة التي وردت في ١١: ١٢ ولكن بلغة مختلفة. فعندما رُفِضت إسرائيل كشعب الله الأرضي المختار، أُدخل الأمم إلى مركز امتيازات مع الله، وهكذا، وبمعنى مجازي، صاروا مصالَحين. وعندما تُسترد إسرائيل خلال حكم المسيح الألفي فستكون الحالة وكأنها بعث أو قيامة للعالم أجمع.

يمكن توضيح هذا باختبار يونان، الذي كان صورة للأمّة اليهودية. فعندما طُرح يونان من السفينة خلال العاصفة، أدّى هذا إلى خلاص جماعة أمميين كانوا

في السفينة. ولكن عندما استُردّ يونان وبشّر في نينوى، أدّى هذا إلى خلاص مدينة مملوءة بالأمميين. وهكذا، رفض الله الموقّت لإسرائيل نتج عنه ذهاب البشارة إلى قلة من الأمم نسبيًّا. ولكن عندما تُستردّ إسرائيل، عندئذ ستُقاد جماهير من الأمم إلى ملكوت الله.

١١: ١٦ ويستخدم بولس هنا استعارتين: الأولى هي **الباكورة والعجين**، والثانية هي **الأصل والأغصان**. في الاستعارة الأولى يتكلم عن العجين وليس عن الثمر. ففي سفر العدد ١٥: ١٩-٢١ نقرأ عن قطعة عجين قد كُرّست للربّ كتقدمة "رفيعة". والحجة هنا هي إن كانت قطعة العجين قد أُفرزت للربّ هكذا فأيضًا كل العجينة صارت مكرّسة.

ومن ناحية التطبيق، فالباكورة كانت إبراهيم وكان مقدّسًا بمعنى أنّ الله قد أفرزه له. فإن كان هذا حقًّا بخصوصه، فيصبح حقًّا بخصوص ذريته المختارة إذ أنهم قد أُفرزوا لمركز امتياز خارجي أمام الله.

وثاني استعارة هي **الأصل والأغصان**. فإن كان قد أُفرز **الأصل** (الجذر)، فهكذا أيضًا **الأغصان**. فإبراهيم هو الجذر بمعنى أنه أول من أفرزه الله ليشكل مجتمعًا جديدًا يتميّز عن الأمم. وإن كان إبراهيم قد أُفرز، فهكذا أيضًا أولئك الذين يأتون من نسله في السلالة المختارة.

١١: ١٧ يستمر الرسول في استعمال استعارة **الأصل والأغصان**.

فالأغصان المقطوعة تصوّر الجزء غير المؤمن من أسباط إسرائيل الاثني عشر. فلأجل رفضهم للمسيّا قد نُزعوا من مركز امتيازات شعب الله المختار. ولكن نُزعت **بعض الأغصان**، أما بقيّة الشعب، وضمنهم بولس، فقد قبلوا الربّ.

وشجرة الزيتون البريّة تشير إلى الأمم وكأنهم شعب واحد، وقد **طُعّموا** في شجرة الزيتون.

وقد اشترك الأمم أيضًا **بأصل شجرة الزيتون ودسمها**. فقد صار لهم نصيب في مقام الاستحسان الذي كان قد أُعطي في الأصل إلى إسرائيل، والذي ما تزال فيه البقيّة المؤمنة من ذلك الشعب.

من المهم في هذا الإيضاح أن نرى أن جذع الزيتونة أو ساقها لم يكن إسرائيل، بل سلسلة امتيازات الله عبر العصور. لأنه لو كان الجذع هو إسرائيل لكان عندنا صورة شاذة لأُمّة اقتُلعت من ذاتها ثم رجعت وطُعّمت في ذاتها مرة أخرى.

ومن المهم أن نتذكر أن **غصن الزيتونة البرية** ليس هو الكنيسة، بل الأمم منظورًا إليهم نظرةً إجمالية. وإلا فسنواجه إمكانية قطع المؤمن الحقيقي من دائرة استحسان الله. وقد برهن بولس أن هذا أمر مستحيل (رو٨: ٣٨، ٣٩).

عندما نقول أن الجذر هو سلسلة الامتيازات عبر العصور، فماذا نعني بسلسلة الامتيازات؟ لقد قرر الله أن يفرز شعبًا خاصًّا ليشغلوا مكانًا قريبًا منه، ويُفرَزوا من بقية العالم ويُعطَوا امتيازات خاصة، وليتمتّعوا بما ندعوه اليوم "حالة الأمّة المفضّلة". وفي حقبات التاريخ أبقى الله لنفسه دائرة داخلية خاصة.

والأمّة العبرانية كانت الأولى في تلك السلسلة من الامتيازات. فقد كانوا شعب الله الأرضي القديم المختار. ولكن لأجل رفضهم للمسيّا **قُطعت** بعض الأغصان وهكذا خسروا مركزهم "كابن مُفضّل". والأمميون قد طُعّموا في شجرة الزيتون وأصبحوا

شركاء مع المؤمنين اليهود **بأصل الشجرة ودسمها**. **فالأصل** يشير إلى إبراهيم الذي ابتدأت به سلسلة الامتيازات. **ودسم** شجرة الزيتون يشير إلى الإنتاج؛ أي إلى منتوجها الغني من الزيتون والزيت المأخوذ منه. **فالدسم** هنا يعني الامتيازات التي تفيض من الاتحاد بشجرة الزيتون.

١١: ١٨ وينبغي للأمم أن لا يقفوا موقف «أنا أقدس منك» من جهة اليهود، أو أن يفتخروا بأي أعلويّة عليهم. فأي افتخار إنما يتجاهل واقع كونهم لم يبتدئوا في سلسلة الامتيازات، بل بالحري كانت سلسلة الامتيازات هي التي وضعتهم حيث وُجدوا في مكان الاستحسان الخاص.

١١: ١٩ ويتوقع بولس من الأممي، الذي تخيّل أنه يتكلم معه، أنه سيقول "إن الأغصان اليهودية **قد قُطِعت** لكي نُطعّم أنا وغيري من الأغصان الأمميّة".

١١: ٢٠ يقرّ الرسول أن التصريح هو جزئيًّا صحيح. فالأغصان اليهوديّة قد **قُطِعت** والأمميون **قد طُعّموا** في الشجرة. ولكن كان ذلك من أجل **عدم إيمان** إسرائيل، وليس لأن الأمميين كان عندهم دالّة خاصّة عند الله. فالأمميون قد طُعّموا لأنّهم، كشعب، **قد ثبتوا بالإيمان**. وهذا التعبير «**بالإيمان ثبتّ**» يظهر أنه يشير إلى أن بولس كان يتكلم عن المؤمنين الحقيقيين، ولكن ليس هذا هو المعنى بالضرورة. والطريقة الوحيدة التي فيها يستطيع الأمميون أن يثبتوا بالإيمان هو نسبيًّا بإظهار إيمان أكبر مما أظهر اليهود. وهكذا قال المسيح لقائد المئة الأممي: «لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا» (لو٧: ٩). وفي ما بعد قال بولس لليهود في رومية: «فليكن معلومًا عندكم أن خلاص الله قد أُرسل إلى الأمم وهم سيسمعون» (أع٢٨: ٢٨). ولاحظ «سيسمعون»، وكشعب يصبحون أكثر تقبُّلاً من اليهود للبشارة كما هم اليوم. **والثبات** هنا هو عكس السقوط، فإسرائيل قد سقطت من مركز الامتيازات، والأمميون قد طُعّموا في ذلك المركز.

ولكن ليحذر من يعتبر نفسه ثابتًا أمام الله من أن يسقط. فلا ينبغي للأمميين أن ينتفخوا بالكبرياء، بل عليهم أن **يخافوا**.

١١: ٢١ إن كان الله لم يتردّد في أن يقطع **الأغصان الطبيعية** من سلسلة الامتيازات، فلا يوجد أي سبب للاعتقاد أنه سيستبقي أغصان الزيتونة البرية في حالات مُماثلة.

١١: ٢٢ وهكذا، في مَثل الزيتونة نرى وجهتين مختلفتين اختلافًا كبيرًا في طبيعة الله: **لطفه وصرامته**. فصرامته ظهرت في قطع إسرائيل من وضع الأمّة المفضّلة. ولطفه يُرى في تحوّله إلى الأمم بالبشارة (انظر أعمال١٣: ٤٦؛ ١٨: ٦). ولكن لا ينبغي أن نحسب لطفه أمرًا بديهيًّا على كل حال. إذ أن الأمميين أيضًا يمكن أن يُقطعوا إن لم يحافظوا على الانفتاح النسبي الذي وجده المخلّص خلال خدمته على الأرض (مت٨: ١٠؛ لو٧: ٩).

وينبغي أن يُبقي الإنسان في فكره دائمًا أن بولس لم يتكلم عن الكنيسة أو عن أفراد مؤمنين، بل تكلم عن الأمميين إجمالاً. فلا يوجد أي شيء يستطيع أن يفصل جسد المسيح عن الرأس، ولا يستطيع شيء أن يفصل المؤمن عن محبة الله، ولكن الأمميين يمكن أن **يُقطعوا** من مركزهم الحالي في الامتيازات الخاصة.

١١: ٢٣ ولكن لا حاجة لأن يكون قطع إسرائيل نهائيًّا. فإن هم رجعوا عن عدم إيمانهم العام، لا يبقى أي سبب يمنع الله أن يُرجِعهم إلى مكان الامتيازات الأصلي. وهذا ليس بأمر مستعصٍ على الله.

١١: ٢٤ وفي الواقع أن استرجاع إسرائيل إلى مركزها كشعبه ذي الامتيازات يمكن حدوثه بأقل عنف من وضع الأمميين في مكانهم. فاليهود كانوا الأغصان الأصلية في شجرة استحسان الله، ولأجل ذلك دُعوا **الأغصان الطبيعية**. أما الأمميّون فقد أتوا من الزيتونة البرية، وتطعيم الأغصان **البريّة في زيتونة جيدة** هو تطعيم غير طبيعي، أو كما قال بولس «**بخلاف الطبيعة**». فالأمر الطبيعي هو أن تُطعَّم أغصان صالحة في شجرة بريّة لتعطي ثمرًا جيّدًا.

١١: ٢٥ والآن يُظهر الرسول أن استرداد إسرائيل في المستقبل ليس هو قضية إمكانية فقط، بل هو واقع يقيني. وما يُظهره بولس الآن كان سرًّا، أي حقًّا لم يكن معروفًا قبل الآن، وهو حقّ لا يمكن أن يُعرَف بعقل الإنسان المجرّد، بل حق قد أُعلن الآن. ويعلنه بولس لكي لا يكون المؤمنون الأمميّون **حكماء في أنظار أنفسهم** فيحتقروا اليهود. وهذا السرّ هو كما يلي:

قد حدثت القساوة جزئيًّا لإسرائيل. وهذا العمى لم يؤثّر في كل الأمّة، بل فقط في الجزء الذي رفض الإيمان.

والقساوة (العمى) هي وقتية، وستستمرّ فقط حتى **دخول ملء الأمم**. وملء الأمم يشير إلى الوقت الذي فيه يُضاف آخر مؤمن إلى الكنيسة ويُخطف جسد المسيح المكمّل إلى السماء. وينبغي أن نميّز بين **ملء الأمم** وأزمنة الأمم (لو٢١: ٢٤). **فملء الأمم** يتوافق مع الاختطاف. والعبارة «أزمنة الأمم» تشير إلى الفترة بأكملها التي يملك فيها الأمم على اليهود، ابتداءً من السبي البابلي (٢أخ٣٦: ١-٢١)، وانتهاءً بمجيء المسيح إلى الأرض ليملك.

١١: ٢٦ حينما يزول عمى إسرائيل القضائي في وقت الاختطاف، لا يعني ذلك أن كل إسرائيل سيخلص في الحال. فسيخلص الكثيرون خلال مدة الضيقة العظيمة، ولكن البقية برمتها لن تخلص حتى يرجع المسيح إلى الأرض بصفته «ملك الملوك وربّ الأرباب».

وعندما يقول بولس «**وهكذا سيخلص جميع إسرائيل**» فهو يعني كل اليهود المؤمنين. ولكن الجزء غير المؤمن من الأمّة سيهلك عند مجيء المسيح الثاني (زك١٣: ٨، ٩). وفقط أولئك القائلون: «مبارك الآتي باسم الرب» يُستبقون لدخول الملكوت.

وهذا ما أشار إليه إشعياء عندما تكلّم عن الفادي الآتي إلى صهيون، إلى التائبين عن المعصية من بني يعقوب (إش٥٩: ٢٠). ولاحظ أن مجيئه هنا ليس المجيء إلى بيت لحم، بل مجيئه إلى صهيون؛ أي مجيئه الثاني.

١١: ٢٧ وهذا هو الوقت نفسه المشار إليه في إشعياء ٢٧: ٩ وإرميا ٣١: ٣٣، ٣٤؛ حيث ينزع الله خطاياهم بحسب بنود **العهد** الجديد.

١١: ٢٨ قد نُلخّص واقع إسرائيل الحاضر بالقول: أولاً **أنهم من جهة الإنجيل أعداء من أجلكم**. وهم أعداء بمعنى أنهم رُفضوا ودُفعوا جانبًا وتغرّبوا عن الله لكي يذهب الإنجيل إلى الأمم.

ولكن هذا هو نصف الصورة: **أما من جهة الاختيار فهم**

أحباء من أجل الآباء – أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

١١: ٢٩ والسبب لكونهم ما يزالون محبوبين هو أن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة. فالله لا يسترجع هباته، لأنه حينما يعطي وعدًا غير مشروط لا يتراجع عنه. لقد أعطى إسرائيل الامتيازات المدوّنة في ٩: ٤، ٥؛ إذ دعاه ليكون شعبه الأرضي (إش٤٨: ١٢)، مفروزًا عن بقيّة الشعوب. فلا يستطيع شيء أن يغيّر مقاصده - تبارك اسمه.

١١: ٣٠ لقد كان الأمميون مرّة عصاةً ومتمرّدين ولكن عندما ازدرى إسرائيل بالمسيّا وإنجيل الخلاص تحوّل الله إلى الأمم.

١١: ٣١ ستحدث سلسلة أحداث مماثلة، نوعًا ما، في المستقبل، ويتبع عصيان إسرائيل رحمة، عندما يُغاظون بالرحمة التي أُظهرت نحو الأمم. وفيما يعلّم البعض أنّ من خلال الرحمة التي يظهرها الأمم لليهود يُستردّون، نعلم أن ليس في هذا حق، إذ أن استرداد إسرائيل سيحدث عند مجيء الربّ يسوع المسيح ثانية ظاهرًا في مجده (انظر١١: ٢٦، ٢٧).

١١: ٣٢ وعندما نقرأ هذا العدد أوّل مرة، قد تخطر لنا الفكرةُ أنّ الله دان إجحافًا كلا اليهود والأمميين لعدم الإيمان، ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا بذلك الخصوص. ولكن ليس هذا هو الفكر هنا، إذ عدم الإيمان كان هو من عملهم. وما يقوله العدد هو: بعد أن وُجد اليهود والأمميون في العصيان، صُوّر الله وكأنه قد سجنهم كلهم في تلك الحالة حتى أنه لا مهرب لهم منها إلا بحسب شروطه هو.

وهذا العصيان يَسّرَ مجالاً لله كي يُظهر رحمته للجميع؛ يهودًا كانوا أم أمميين. ولا يوجد هنا أي إيحاء بخلاص كونيٍّ عامّ، إذ إنّ الله أظهر رحمته للأمم وسيُظهر رحمته لليهود أيضًا، ولكن هذا لا يضمن خلاص كل إنسان، وهنا تُظهَر الرحمة على المستوى القوميّ. ويقول جورج وليمز *George Williams*:

> بعد أن امتحن الله العبرانيين والأمم، سقط كلاهما في الامتحان. فأغلق عليهم في العصيان، حتى أنهم ظاهرًا كانوا بغير استحقاق، كما أنهم فقدوا أي ادّعاء أو حقٍّ بالاستحسان الإلهي. وهكذا يتسنّى له أن يُبدي لهم الرحمة في غنى نعمته التي لا تُستقصى.

١١: ٣٣ تسبحة الشكر الختاميّةُ هذه، تنظر إلى الرسالة بجملتها وإلى العجائب الإلهية التي تجلّت للعيان. فقد شرح بولس خطة الخلاص العجيبة التي بواسطتها يخلّص الله خطاة فجّارًا ويبقى هو عادلاً بعمله ذاك. كما أنه قد أظهر كيف أن عمل المسيح قد جلب مجدًا لله وبركات للناس أكثر مما فقد آدم من جرّاء خطيّته. وقد شرح كيف أن النعمة قد نتجَ عنها حياة مقدّسة بطريقة لم يستطعها الناموس. وقد تتبع آثار سلسلة مقاصد الله غير المنقطعة من المعرفة السابقة إلى المجد النهائي. وقد عرض عقيدة الاختيار الإلهي مع صاحبتها عقيدة المسؤولية البشرية. كما أنه تتبّع آثار عدالة الله وتناغم معاملاته التدبيريّة مع إسرائيل والأمم. والآن لا يمكن لشيء أن يكون أكثر ملاءمةً من أن ينطلق بتسبحة الشكر والعبادة.

«يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه»! **غنى الله**: هو غني

في الرحمة والمحبة والنعمة والأمانة والقوة والصلاح.

حكمة الله: حكمته بلا نهاية ولا تُستقصى ولا تُوازى ولا تُقهر.

معرفة الله: كتب آرثر بينك *Arthur Pink*: "الله هو الكليّ المعرفة لذلك هو يعرف كل شيء: كل شيء ممكن وكل شيء فعلي، كل الحوادث وكل المخلوقات الماضية والحاضرة والمستقبلة".

وتصاميمه **لا تُستقصى** إذ إنّها أعمق مما تستطيع العقول البشرية أن تستوعبه. والطرق التي بها دبّر الخلق والتاريخ والفداء والعناية، هي خارج نطاق استيعابنا المحدود.

١١: ٣٤ لا يوجد كيان مخلوق **يستطيع أن يعرف فكر الربّ** إلا في المجال الذي اختار هو أن يظهره. وحتى بذلك نرى وكأننا ننظر في مرآة، في لغز (١كو١٣: ١٢). كما أنه لا يوجد بشري مؤهّل لأن يكون مُشيرًا عند الله. فهو لا يحتاج إلى مشورتنا، ولن تفيده على أي حال (إش٤٠: ١٣).

١١: ٣٥ ما من إنسان سلّف الله دينًا حتّى يستوفيه منه (راجع أيوب ٤١: ١١). فأي هبة نستطيع أن نعطيها للسيّد الأزلي بإمكانها أن تضعه في مأزق يشعر فيه بواجب التعويض للإنسان؟

١١: ٣٦ إن الله القادر على كل شيء هو كافٍ بذاته. هو المصدر لكل شيء صالح، وهو العامل الفعال في حفظ الكون وضبطه، كما أنه الغاية التي لأجلها خُلق كل شيء. فكل شيء قد صُمّم ليمجّده. فليكن هكذا! **له المجد إلى الأبد. آمين.**

٣-الجزء العملي: الحياة بحسب الإنجيل (اص١٢-١٦)

إنّ بقيّة رسالة رومية تردّ على السؤال: "كيف ينبغي أن يتجاوب أولئك الذين تبرّروا بالنعمة في حياتهم اليومية؟". ويعالج بولس واجبات المؤمن نحو المؤمنين الآخرين ونحو المجتمع ونحو الأعداء ونحو الدولة ونحو إخوتنا الضعفاء.

أ. *في التكريس الشخصي* (١٢: ١، ٢)

١٢: ١ إن النظر بعين الاعتبار الجدّي المخلص **لرأفة (مراحم) الله** كما ظهرت في الأصحاحات ١-١١ يقود إلى خلاصة واحدة فقط: أن نقدّم أجسادنا **ذبيحة حيّة ومقدّسة ومقبولة لدى الله**. أجسادنا تمثّل كل أعضائنا، وبالتالي كل حياتنا.

إن التسليم الكامل هو **عبادتنا** (أو خدمتنا) **العقلية**. وخدمتنا العقلية بهذا المعنى هي: إن ابن الله مات من أجلي، فأقل شيء أستطيع القيام به هو أن أعيش لأجله. وقد قال الرياضي الإنجليزي العظيم س.ت. ستاد *C.T. Studd*: "إن كان يسوع المسيح هو الله وقد مات من أجلي، فعندئذ لا توجد تضحية من أجله أكبر مما يستحق".

ويعبّر إسحاق واطس *Isaac Watts* عن الفكرة نفسها: "محبة هكذا مذهلة وإلهية تتطلب قلبي وحياتي وكلي".

والعبادة العقلية قد تُترجم أيضًا «العبادة الروحية». فككهنة مؤمنين لا نأتي إلى الله بأجساد حيوانات مذبوحة، بل بذبائح روحية لحياة خاضعة له. كما أننا نقدم له خدمتنا (رو١٥: ١٦)، وحمدنا (عب١٣: ١٥)، وممتلكاتنا (عب١٣: ١٦).

١٢ : ٢ ثانيًا، يحثّنا بولس كي **لا نشاكل أهل هذا الدهر**، أو كما عبّر عنها فيلبس *Phillips*: "لا تدَعوا العالم حولكم يضغطكم في قالبه الخاص". وعندما نأتي إلى ملكوت الله ينبغي أن نتخلّى عن تفكير العالم وأساليب حياته.

والعالم (أي **الدهر**) كما هو مستخدم هنا، يعني المجتمع أو النظام الذي بناه الإنسان لكي يفرح به بعيدًا عن الله. وهو مملكة في عداء مع الله، كما أن إله هذا العالم ورئيسه هو الشيطان (٢كو٤: ٤؛ يو١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١). وكل الناس غير المخلّصين هم رعاياه. وهو يسعى إلى اجتذاب الناس واقتناصهم بشهوة العيون وشهوة الجسد وتعظُّم المعيشة (١يو٢: ١٦). فللعالم سياسته وفنونه وموسيقاه وديانته وملذاته وأفكاره وأساليب حياته، ويطلب من كل شخص أن يتكيّف حسب ثقافته وعاداته. وهو يكره كل من يرفض أن يشاكله أو يشابهه — كالمسيح واتباعه.

لقد مات المسيح ليخلّصنا من **هذا العالم**، لذلك قد صُلب العالم لنا وصُلبنا نحن للعالم. ومحبة العالم هي خيانة مطلقة للمخلّص، إذ أن كل من يحب العالم هو عدو لله.

والمؤمنون ليسوا من العالم كما أن المسيح ليس من العالم. ولكنهم قد أُرسلوا إلى العالم لكي يشهدوا أن أعماله شريرة وأن الخلاص متيسّر لكل من يؤمن بالربّ يسوع المسيح. وليس علينا أن ننفصل عن العالم فقط بل أيضًا أن نتغيّر **بتجديد أذهاننا**، أي أن علينا أن نفكّر كما يفكّر الله، بحسب ما هو موحى به في الكتاب المقدس. عندئذ نستطيع أن نختبر إرشاد الله المباشر في حياتنا. وسنجد أن إرادته بدلاً من أن تكون بغيضة للنفس وصعبة، تصبح عندنا **صالحة ومرضية وكاملة**.

إذًا هنا يوجد ثلاثة مفاتيح لمعرفة إرادة الله. **أولاً** أجسادنا المسلَّمة، **وثانيًا** حياتنا المنفصلة، **وثالثًا** العقل المتغيّر إلى شكلٍ أسمى.

ب. *في الخدمة بحسب المواهب الروحيّة* (١٢: ٣-٨)

١٢ : ٣ يتكلم بولس هنا **بالنعمة المعطاة له** كرسول ليسوع المسيح. وسيتناول أفكارًا شتّى، منها الصحيح ومنها المعوّج الذي ينبغي تصحيحه.

أولاً، يقول إنه لا يوجد في الإنجيل ما يشجّع على مركّب الاستعلاء، ويحثّنا على أن نكون متواضعين في ممارسة المواهب. ولا ينبغي أن تكون لنا أفكار مبالغ فيها عن أهميتنا. ولا ينبغي أن نغار من الآخرين، بل بالحري علينا أن ندرك أن كلاً منا هو فريد، وأن لكلٍّ منا عملاً مهمًّا لنعمله للربّ. وينبغي أن نكون سعداء بالمراكز التي أعطانا إياها الربّ في الجسد، وعلينا أن نسعى كي نمارس مواهبنا بكل القوة التي يزوّدنا بها الله.

١٢ : ٤ للجسد البشري **أعضاء كثيرة**. ومع ذلك لكلّ منها الامتياز بأن يؤدّي دورًا فريدًا. وصحة الجسد وسعادته تعتمدان على العمل الصحيح لكل عضو.

١٢ : ٥ وهذا أيضًا ما يحدث في **جسد المسيح**. ففيه وحدة (**جسد واحد**)، وتنوع (**الكثيرين**)، وتوافق أو ترابط (**أعضاء بعضًا لبعض**). وأي موهبة نتمتع بها ليست لأي عرض أو استخدام أناني، ولكن لخير الجسد. فلا توجد موهبة لها وحدها كل الكفاية ولا توجد موهبة غير ضرورية. وعندما ندرك كل هذا فعندئذ نفتكر **بتعقّل** (١٢: ٣).

١٢ : ٦ والآن يعطي بولس تعليمات لاستخدام بعض **المواهب**. واللائحة لا تشمل كل المواهب إذ أنها قُصِدت لتكون تمثيليّةً، لا جامعةً مانعة.

ومواهبنا تختلف بحسب النعمة المُعطاة لنا. وبكلمات أخرى: إن **نعمة الله تعطي مواهب** مختلفة لأُناس مختلفين. كما أن الله يعطي القوة والقدرة لاستخدام المواهب المعطاة لنا. وهكذا نصبح مسؤولين، كوكلاء صالحين، عن استخدام تلك المواهب المعطاة لنا من الله.

وأولئك الذين لهم موهبة **النبوة** فينبغي أن يتنبأوا بما يلائم **إيمانهم**. والنبي هو إنسان يتكلم نيابةً عن الله ويعلن كلمة الرب، والتي يمكن أن تشمل التنبؤ بالمستقبل، ولكن ليس هذا عاملاً ضروريًّا. ويكتب هودج *Hodge*: إن الأنبياء كانوا في الكنيسة أوّل عهدها "رجالاً يتكلّمون تحت تأثير روح الله المباشر، ويقدّمون من عند الله أفكارًا تتعلّق بالحقائق التعليمية، أو الواجبات الحاضرة، أو الأحداث المستقبلة؛ كما تدعو الحالة". وخدمتهم محفوظة لنا في العهد الجديد. ولا يمكن أن يُضاف وحي أو تنبؤات إلى مجموعة التعليم المسيحي اليوم، بما أن الإيمان قد سُلّم مرة للقديسين (انظر يهوذا ٣). وهكذا فالنبيّ اليوم هو إنسان يعلن ببساطة فكر الله كما كان قد أُعلن في الكتاب المقدس. ويقول سترونج *Strong*:

> كل النبوّات الصحيحة الحديثة ليست إلا نشر رسالة المسيح من جديد — أن يُذاع ويُفسّر الحقّ الذي سبق أن أُعلن في الكتاب المقدس.

والذين بيننا يتمتعون بموهبة **النبوة** ينبغي أن يتنبّأوا على تناسبٍ مع **إيمانهم**. وهذا قد يعني "بحسب قاعدة الإيمان ومعياره"؛ أي بحسب تعليم الإيمان المسيحي كما هو موجود في الكتب المقدّسة. أو قد يعني "بحسب مقدار إيماننا"؛ أي إلى الدرجة التي يعطينا الله فيها إيمانًا.

١٢ : ٧ الخدمة تعبير واسع يعني خدمة الربّ. ولا يعني مركز رجُل الدين أو واجباته أو أعماله (كما هو مستخدم اليوم). والشخص الذي له موهبة الخدمة له أيضًا قلب الخادم، فيرى الفرص ليخدم فينتهزها.

والمعلّم هو الذي يستطيع أن يشرح كلمة الله ويُخاطب بها قلوبَ سامعيه. ومهما كانت موهبتنا، فينبغي أن نكرّس ذواتنا لها من كل قلوبنا.

١٢ : ٨ والوعظ هو موهبة لتشجيع القديسين كي يقاوموا كل أشكال الشر ويستمروا عاملين على إنجازات جديدة لأجل المسيح في القداسة وفي الخدمة.

والعطاء هو موهبة إلهية تعطف قلب الإنسان وتقوّيه لكي يكون متنبّهًا إلى الحاجات وعاملاً على سدّها. وعليه أن يفعل ذلك **بسخاء** (بكرم).

موهبة التدبير هي باليقين مرتبطة بعمل الشيوخ (وربما الشمامسة أيضًا) في الكنيسة المحلية. والشيخ هو راعٍ يعمل تحت امرأة الراعي العظيم (المسيح) يتقدّم القطيع ويدبّر **باجتهادٍ** واهتمام.

وموهبة الرحمة هي قدرة وموهبة فائقة للعادة لمساعدة الذين هم في محنة، وأولئك الذين لهم هذه الهبة ينبغي أن يمارسوها **بسرور**، وبطبيعة الحال علينا جميعًا أن نظهر رحمة بسرور.

وقد قالت امرأة مسيحية مرة: "عندما أصبحت أمي كبيرة السن واحتاجت لمن يعتني بها، دعوناها أنا وزوجي لكي تأتي وتعيش معنا، وقد عملتُ كل ما باستطاعتي لكي أضمن راحتها. لقد حضّرت طعامها وغسلت ثيابها وأركبتها السيارة، وقد اعتنينا عامة بكل احتياجاتها. ولكن وبينما كنت أقوم بهذه الأعمال الخارجية كنتُ في

الداخل مستاءة، كما إنني كنت منزعجة نفسيًّا من تقاطع برنامج حياتنا العاديّة. مما دفع الوالدة لتقول لي: أنت لا تبتسمين الآن. لماذا لا تبتسمين أبدًا؟ حقًّا لقد كنت أظهر الرحمة ولكنني لم أفعل ذلك بسرور".

ج. في العلاقة بالمجتمع (١٢: ٩-٢١)

١٢: ٩ ثانيًا، يضع بولس لائحة ببعض الصفات التي ينبغي لكل مؤمن أن ينتهجها في علاقته بالمؤمنين الآخرين وبغير المؤمنين.

فالمحبة ينبغي أن تكون **بلا رياء**، فينبغي ألا تلبس قناعًا، بل أن تكون أصيلة ومخلصة وغير متكلّفة. وينبغي أن **نكره** كل أشكال **الشرّ، ونلتصق** بكل ما هو **خير**. وفي هذا النص، **الشرّ** يعني كل أعمال الحقد والخبث والكراهية. أما **الخير**، بالمباينة، فيعني كل ما يُظهِر المحبة الفائقة للعادة.

١٢: ١٠ وفي علاقتنا بأولئك الذين هم من أهل الإيمان، ينبغي أن نظهر محبتنا بعطف رقيق وليس باللامبالاة الباردة أو القبول الروتيني.

وينبغي أن نفضّل رؤية الآخرين مكرّمين أكثر من أنفسنا. مرة كان خادم للمسيح محبوب مع آخرين مشهورين في غرفة جانبية قبل الاجتماع. وقد سبقه عدد منهم إلى المنبر قبل أن يأتي دوره. وعندما ظهر على الباب صفّق له الناس بشدّة بالغة. وبسرعة وقف جانبًا وابتدأ يصفّق متجنّبًا الاشتراك بالكرامة التي فكر بإخلاص أنها لآخرين.

١٢: ١١ وترجمة موفات *Moffatt* البديعة لهذا العدد هي: "لا تدعوا غيرتكم تخمد، وابقوا على التوهّج الروحي واخدموا الربّ". وهنا نتذكر كلمات إرميا ٤٨: ١٠ «ملعون من يعمل عمل الربّ برخاء».

ليس للإنسان أن يضيّع وقته سدى،
فالحياة قصيرة والخطيّة هنا.
وعمرنا هو كسقوط الورقة،
أو ذرف الدمعة.
وليس عندنا الوقت كي نعبث بالساعات،
فعلينا أن نكون جدّيين في عالمٍ كعالمنا.

هوراتيوس بونار (Horatius Bonar)

١٢: ١٢ وبغضّ النظر عن ظروفنا الحاضرة، في وسعنا، بل ينبغي لنا، أن **نفرح في رجائنا**: مجيء مخلّصنا وفداء أجسادنا ومجدنا الأبدي. ويحثّنا لكي نكون **صابرين في الضيق**؛ أي نثبت بشجاعة تحت الضيق. والتحمّل بانتصار هو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يحوّل مثل ذاك الشقاء إلى مجد. كما علينا أن **نواظب على الصلاة** لكي نتمّم العمل ونحصل على النصرة. والصلاة تجلب قوة في حياتنا وسلامًا في قلوبنا. وعندما نصلّي باسم الرب يسوع، نصل أقرب ما يمكن أن يصل إنسان بشريّ إلى القدرة الكاملة. لذلك نحن نؤذي أنفسنا بأذى عظيم حينما نهمل صلاتنا.

١٢: ١٣ القديسون الذين هم في حاجة موجودون في كل مكان: العاطلون عن العمل، وأولئك الذين استنزفت أموالهم الفواتيرُ الطبيّة، والوعاظ والمرسلون الموجودون في أماكن منسية، وكبار السن الذين تضاءلت أموالهم. فحياة الجسد الواحد الحقيقية تعني أن نشترك في سدّ **احتياجات القديسين**.

"لا نضنّ على محتاج بوجبة طعام أو سرير"؛ فحُسن **الضيافة** قد أصبح فنًّا ضائعًا. والبيوت الصغيرة والشقق الصغيرة قد أصبحت عذرًا لعدم استقبال المؤمنين

الغربـاء. ولربمـا لا نريـد أن نواجـه العمـل الإضافي والإزعاج. ولكننا ننسـى أنه حينما نسـتقبل أولاد الله نكون وكأننا نسـتقبل الله نفسه. وبيوتنا ينبغي أن تكون كالبيت في بيت عنيا حيث أحبّ الرب أن ينزل.

١٢ : ١٤ وقـد دُعينـا لكـي نُظهِـر اللطـف نحـو الذين يضطهدوننا بدلاً مـن أن نحاول أن ننتقم منهم. وإنّه لأمر يستلزم حياةً ذات طابع إلهيّ أن يجازي أحد باللطف قساوة الغير وضررهم. فالتجاوب الطبيعي هو اللعن والثأر.

١٢ : ١٥ والتعاطـف مُهـمّ، وهو القدرة على المشـاركة بشـعور الآخرين وانفعالاتهـم. فميلنا الطبيعـي أن نغار عندما يفـرح آخرون وأن نتغاضى عنهـم في حزنهم. أما طريقة الرب فهي أن ندخل أفراح الذين حولنا وأحزانهم.

١٢ : ١٦ أن نكون **مهتمّين** بعضنـا لبعض **اهتمامًا واحدًا** لا يعـني أنه علينـا أن نتفق على الأمور غير الأساسـية. فلا يُقصَد وحدة الفكر، بقدر ما يقصد التناغم في العلاقات.

وعلينا أن نتجنب كل أثـر للتعجرف، كما علينا أن نتقرب إلى الأشـخاص **المتواضعين** والودعاء مثلما نتقـرب إلى الأغنياء وأصحـاب المراكز. عندما وصل مؤمن مرموق إلى المحطة استقبله مسؤولو الكنيسة التي كان سيتكلم فيها، كما أن سيارة كبيرة وفخمة وصلت لكي تأخذه إلى فندق فخم. فسألهم ذلك الواعظ: "مَن في العادة يسـتقبل الوعاظ الزائرين هنا؟". فذكروا له زوجين كبيري السـن يعيشـان في بيت متواضع قريب من هناك. فقال لهم: "هناك أودّ أن أنزل".

ومرة أخرى يحذّر الرسـول المؤمنين من أن **يكونوا حكمـاء عنـد أنفسـهم**، والإدراك أننـا لا نملك شـيئًا لم نستلمه، يحفظنا من "الأنا" المتضخّمة.

١٢ : ١٧ مجازاة **الشرّ بالشرّ** هي ممارسة عامة عند العالم. فالنـاس يتكلّمون عن ردّ الكيـل بالكيل، أو أن يجازوا أحدًا بما يستحقّ. ولكن هذا السرور بالانتقام لا يوجد له مكان في حياة المفديّين، بل ينبغي أن يتصرفوا باحترام في مواجهـة الإسـاءة والضـرر كمـا في جميع حالات الحياة. و«**معتنين**» تعني أن يفكّر الإنسـان أو أن يهتم بصورة عمديّة.

١٢ : ١٨ ولا ينبغـي للمؤمنـين أن يكونـوا مثيريـن للغضـب أو كثـيري الخصـام، إذ أن بـرّ الله لا يُعمل بالخصـام والغضب. فعلينا أن نحبّ السـلام ونسـالم الآخرين ونعيش في سـلام. وعندمـا نُغضب الآخرين أو حينما يُغضِبنا أحد، علينا أن نعمل مجاهدين من أجل حلّ يتّصف بالمسالمة والسلام.

١٢ : ١٩ وينبغي أن نقاوم كل ميل **للانتقام** من الشـرّ الذي قد ينتابنا. والتعبير «**أعطوا مكانًا للغضب**» قد يعني أن تسـمح لله أن يعالج مشـكلتك نيابة عنك، كما أنه يعني أن تستسلم استسـلامًا كليًّا لروح عدم المقاومة. وبقية العدد يسـند التفسـير الأول: أن تتراجع وتدع الله يعمـل نيابة عنـك، إذ أن النقمة هـي من حق الله وحده، ولا ينبغي لنا أن نتدخل في ما يخصه تعالى. وهو سـيجازي في الوقت الملائم وبالطريقـة الملائمة. وقد كتب لنسكي *Linski*:

> لقد حلّ الله المشكلة منذ القدَم بخصوص إجراء العـدل إزاء فاعلي الشـر. ولن يهـرب أي واحد منهم. وسـتتم العدالة الكاملـة في كل قضية. إن أي تدخّل منا، يكون ذلك قمّة الفضول والتداخل في ما لا يعنينا.

١٢: ٢٠ تذهب المسيحية إلى ما وراء عدم المقاومة، إلى الإحسان العملي. والمؤمن لا يبيد أعداءه بالعنف بل يهديهم إلى الخلاص بالمحبة، إذ أنها تطعم العدو عندما يكون جوعانًا وتطفئ ظمأه، **وبذلك تجمع نارعلى رأسه.** وإن كان **جمر النار** يبدو كأنّه معالجة شنيعة، فذلك لأن هذا التعبير الاصطلاحي لم يُفهم بالمعنى الدقيق للكلمة. "فجمع جمر نار على رأس إنسان" يعني أن تخجله بسبب عدائه وذلك بأن تفاجئه بلطف غير اعتيادي.

١٢: ٢١ يشرح داربي *Darby* الجزء الأول من هذا العدد كما يلي: "إن كان طبعي السيء يثير سوء طبعك فعندئذ يكون قد غلبك الشرّ".

وقد قال مرة العالم الأسود العظيم واشنطون كارفر *Washington Carver*: "لن أدع أي إنسان آخر يهدم حياتي بأن يدفعني لكي أكرهه". إنه، وهو مؤمن، لم يدع الشرّ يغلبه.

بل اغلب الشرّ بالخير، وهذه صفة في التعليم المسيحي لا تقف عند الموانع السلبية بل تتعدّاها إلى الحث الإيجابي. والشر يمكن أن يُغلَب بالصلاح، وهذا سلاح ينبغي أن نستخدمه غالبًا.

عامل ستانتون *Stanton* لينكولن *Lincoln* بكراهية مُسمّة. قال إنه من الحماقة أن يذهب أحد إلى أفريقيا للسعي وراء الغوريلا في حين أن الغوريلا الأصلية يمكن أن توجد في مدينة سبرينجفيلد *Springfield* في ولاية إلينوي *Illinois*. وقد ضرب لينكولن صفحًا عن ذلك القول. وفيما بعد عيّن ستانتون وزيرًا للحربية، إذ شعر أنه الأكثر كفاءة للمركز. وبعد أن قُتل لينكولن قال عنه ستانتون إنه قائد الرجال الأعظم. فالمحبة قد انتصرت.

د. في العلاقة بالدّولة (١٣: ١-٧)

١٣: ١ وأولئك الذين قد تبرّروا بالإيمان مُلزَمون أن يكونوا **خاضعين** للحكومة البشريّة. وهذا الواجب ينطبق بالفعل على كل إنسان، ولكن الرسول مَعنّي هنا خاصة بالمؤمنين. وقد أسّس الله الحكومات البشريّة بعد الطوفان، عندما حكم قضائيًا: «سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه» (تك٩: ٦). وهذا الحكم القضائي قد أعطى السلطة للناس كي يحكموا في القضايا الجنائية ويعاقبوا المذنب.

وفي كل مجتمع منظّم يوجد سلطة وخضوع لتلك السلطة وإلا تصبح الحالة حالة فوضى، ولا يستطيع أحد أن يعيش في حالة من الفوضى. وأي حكومة هي أفضل من لا حكومة، وهكذا أسس الله الحكومة البشرية ولا تقوم حكومة بغير إرادته. وهذا لا يعني أنه يصدّق على ما يفعله الحكام. كما أنه لا يُصدّق على الفساد والوحشية والاستبداد، ولكن الواقع يبقى أن **السلطات الكائنة هي مرتّبة من الله.**

وقد يعيش المؤمنون بنصرة في نظام من الديموقراطية أو في مملكة دستورية أو حتى في نظام استبدادي. ولا توجد حكومة أفضل من الرجال الذين يؤلّفونها، لذلك لا توجد حكومة كاملة. والحكومة المثالية الوحيدة ستكون مملكة بارّة يرأسها الربّ يسوع المسيح مَلكًا. ومن المستحسن أن نتذكّر أن بولس كتب هذا القسم بخصوص الخضوع للحكومة البشرية بينما كان نيرون الشائن إمبراطورًا. وكانت تلك أيامًا سوداء للمؤمنين إذ أن نيرون قد اتهمهم بإشعال النيران التي دمّرت نصف مدينة رومية (والتي قد أمر بها هو نفسه). وقد أعطى جنوده أمرًا كي يغمروا بعض المؤمنين بالقار

ومن ثمّ يُشعلونهم بالنار لكي ييسّروا له الأضواء اللازمة لطقوس العربدة، وآخرون قد خيطوا بجلود الحيوانات وطُرحوا إلى الكلاب المتوحشة كي تمزّقهم.

١٣ : ٢ ومع ذلك ما تزال الوصية صامدة: إن كل من يعصي الحكومة أو يثور عليها فهو يعصي ما قد رتّبه الله. ومن يقاوم السلطة القانونية يكون قد أكتسب العقاب واستحقه.

وطبعًا يوجد استثناء، فالمسيحي غير مُلزَم أن يطيع إن أمرته الحكومة بأن يخطئ، أو بأن يساوم على إخلاصه للربّ يسوع المسيح (أع٥: ٢٩). ولا توجد حكومة لها الحق أن تأمر ضمير إنسان. لذلك هناك أوقات فيها يلتزم المؤمن طاعته لله فيكتسب غضب الناس. ففي حالات كتلك عليه أن يؤدّي العقوبة دون أي تذمّر. ومهما تكن الظروف، لا ينبغي أن يثور المؤمن ضد الحكومة أو يُشارك بمحاولة لإطاحتها.

١٣ : ٣ وكقاعدة، الناس الذين يفعلون الحق لا يحتاجون لأن يخافوا السلطان. فقط أولئك الذين ينتهكون القانون عليهم أن يخافوا من العقاب. لذلك إن أراد أحد أن يتمتّع بحياة لا تشوبها الغرامات والعقوبات والمحاكم والسجون، فعليه أن يكون مواطنًا يراعي القانون. وبذلك ينال استحسان السلطات وليس لومها.

١٣ : ٤ فالحاكم؛ رئيسًا كان أم حاكم ولاية أم قاضيًا، هو خادم لله بمعنى أنه خادم وممثّل للربّ. ومع أنه ربّما لا يعرف الله شخصيًّا، فهو يبقى رجل الله رسميًّا. لأجل ذلك أشار داود إلى الملك الشرير شاول بوصفه مسيح الربّ (١صم٢٤: ٦، ١٠؛ ٢٦: ٩، ١١، ١٦، ٢٣). وبرغم محاولاته المتعددة للقضاء على داود، لم يسمح الأخير لرجاله أن يؤذوا الملك. وذلك لأن شاول كان هو الملك وبذلك كان الإنسان المعيّن من الله.

وكخدام الله يُتوقع من الحكام أن يعزّزوا ما هو صالح للناس: أمنهم وسلامتهم وخيرهم العام. وإن أصرّ أحدهم على انتهاك القانون، فيُتوقّع أن يتحمّل العقاب لأن الحكومة لها السلطة لأن تحاكمه وتعاقبه. وفي العبارة **«لأنه لا يحمل السيف عبثًا»** تصريح قوي بخصوص السلطة التي منحها الله للدولة. والسيف ليس مجرّد رمز للسلطة، فالصولجان يقوم بالقصد اللازم. فالسيف يظهر كأنّه إشارة إلى سلطة الحاكم المطلقة إلى حدّ إنزال عقاب الموت. ولا يصحّ أن يُقال إن عقاب الموت هو عقاب أزمنة العهد القديم فقط وليس عقابًا ملائمًا للعهد الجديد. فهنا نرى تصريحًا في العهد الجديد يتضمن أن الحكومة لها السلطة أن تُنهي حياة مجرم سفّاح. ويجادل بعض الناس ضدّ هذا الاعتقاد مقتبسين خروج ٢٠: ١٣ حيث يقول: «لا تقتل». ولكن تلك الوصية تشير إلى القتل العمديّ، وإماتة المجرم ليس قتلاً عمديًّا. والكلمة العبريّة المترجمة «تقتل» تعني «القتل عمدًا». فعقاب الموت قد وُصف في ناموس العهد القديم كعقاب لازم لبعض الجرائم الخطيرة.

والرسول يذكّرنا أيضًا أن الحاكم هو خادم الله ولكن هذه المرة يضيف: **«منتقم للغضب من الذي يفعل الشرّ»**. وبكلمات أخرى، فبالإضافة إلى كونه خادمًا لله لخيرنا هو يخدم الله أيضًا بإنزاله العقاب بكل من يخرق القانون.

١٣ : ٥ وما يعنيه هذا، هو أنه علينا أن نكون رعايا طائعين للحكومة لسببين: من أجل الخوف من العقاب، ومن أجل الرغبة في أن نحافظ على ضمير صالح.

١٣: ٦ ونحن لسنا بمديونين للدولة بطاعتنا فقط، بل أيضًا بمساندتنا المالية خلال دفعنا للضرائب. ومن الخير لنا أن نعيش في مجتمع قوانين ونظام، فيه دائرة شرطة ودائرة إطفائية، لأجل ذلك علينا أن نتحمّل قسطنا من النفقات. والمسؤولون الحكوميون يُنفقون أوقاتهم ويوظّفون مواهبهم للقيام بعمل إرادة الله في المحافظة على مجتمع ثابت، لذلك من حقهم أن يكسبوا أجرهم.

١٣: ٧ وواقع كون المؤمنين هم مواطني السماء (في٣: ٢٠) لا ينبغي أن يستثنيهم من المسؤولية تجاه الحكومة البشرية. فعليهم أن يدفعوا ما يُفرض عليهم من ضرائب الدخل وضرائب الملكية والكناسة والحراسة. كما عليهم أن يدفعوا الجمارك المطلوبة على السلع التي ينقلونها من بلد إلى آخر. وعليهم أن يظهروا خوفًا واحترامًا لكي لا يغيظوا أولئك الذين هم في مراكز السلطة. كما ينبغي أن يظهروا الإكرام لأسماء موظفي الدولة ومراكزهم (حتى لو كانوا لا يستطيعون أن يحترموا حياتهم الشخصية).

وفي هذا السياق، فالمؤمنون لا ينبغي أن يشتركوا بالكلام السيء ضد رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء. حتى في حماوة الحملات الانتخابية، ينبغي للمؤمنين أن يرفضوا الاشتراك بالكلام القبيح الموجّه ضد رئيس الدولة، لأنه مكتوب: «رئيس شعبك لا تقل فيه سوءًا» (أع٢٣: ٥).

هـ. في العلاقة بالمستقبل (١٣: ٨-١٤)

١٣: ٨ بصفة أساسية، يعني أول جزء من هذا العدد "ادفعوا فواتيركم في وقتها". وهذا ليس تحريمًا لكلّ شكل من الدّين. إذ لا بدّ من بعض أنواع الديون في مجتمعنا، كما أن أكثرنا يواجه الفواتير الدوريّة للتليفون والكهرباء والماء وغيرها. ومن المستحيل أن تدير عملاً بغير أن تُضطرّ إلى تحمّل الديون. أما التحريض هنا فهو أن لا نتأخر في دفع ديوننا (إذ تصبح مستحقة وغير مدفوعة).

ثمّ إن هنالك بعض المبادئ التي تهدينا في هذا المجال. فلا ينبغي أن نقع تحت الديون لأجل حاجات غير ضرورية. كما لا ينبغي أن نقع تحت الديون ونحن نعلم أننا لن نستطيع إيفاء تلك الديون. وينبغي أن نتجنب الشراء بالتقسيط بفائدة باهظة. كما علينا أن نتجنب السلفة لشراء منتوجات تنخفض قيمتها. وعلى العموم، ينبغي أن نمارس المسؤولية المالية بالعيش المتواضع ضمن إمكانياتنا، ومتذكرين دائمًا أن المُقترِض هو عبد للمُقرِض (أم٢٢: ٧).

وأما السلفة أو الدّين الذي يبقى دائمًا غير مدفوع فهو واجب المحبة. والكلمة المعبّرة عن المحبة التي استُخدمت في الرسالة إلى رومية (ما عدا استثناء واحد في ١٢: ١٠) هي "أجابي *agape*"؛ وتعني عاطفة فائقة للعادة وغير أنانية وعميقة نحو شخص آخر. وهذه المحبة التي تنتمي إلى غير هذا العالم لا تنشط بسبب أي من الفضائل التي يتحلى بها الشخص المحبوب، بل بالحري هي غير مُستحقّة. فهي تختلف عن أي محبة أخرى في أنها لا تشمل الشخص المحبوب فقط بل تمتد أيضًا إلى الأعداء.

وهذه المحبة تُظهِر نفسها في العطاء؛ وعامة في العطاء المضحي. «فهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». «وأحبّ المسيح الكنيسة حتى بذل نفسه من أجلها».

وهي بالأولى قضية إرادة أكثر مما هي قضية عواطف. الواقع المتمثّل في أنّ لنا وصية بأن نحب يشير إلى أنها أمر نستطيع أن نختار عمله. وإن كانت العواطف لا تُضبط

وتجاحنا في أوقات غير متوقعة، فعندئذ يصبح من المتعذّر أن نُحسب مسؤولين عنها. ولكننا بذلك لا ننكر أن العواطف قد تكون مشمولة باختيارنا وإرادتنا.

ومن المستحيل لشخص غير مؤمن أن يُظهر هذه المحبة الإلهية. وفي الواقع، من المستحيل حتى للمؤمن أن يظهرها بقوته هو. فهي تظهر فقط بقوة الروح القدس الساكن فينا.

والمحبة وجدت تعبيرها الكامل على الأرض في شخص الرب يسوع المسيح.

ومحبتنا لله تظهر في طاعتنا لوصاياه. كما أن الإنسان الذي يحبّ قريبه قد **أكمل الناموس**، أو على الأقل تمّم ذلك القسم من الناموس الذي يعلّمنا المحبة للآخرين.

١٣ : ٩ يفرد الرسول تلك الوصايا التي تمنع أعمال غير المحبة ضد القريب. وهي الوصايا التي تنهى عن الزنى والقتل والسرقة والكذب والشهوة. فالمحبة لا تستثمر أجساد الآخرين، في حين يفعل الفجور ذلك. والمحبة لا تأخذ روح إنسان آخر، لكن القتل يفعل ذلك. والمحبة لا تسرق ممتلكات إنسان آخر، ولكن السرقة تفعل ذلك. والمحبة لا تنكر العدل على الآخرين ولكن الشهادة بالزور تفعل ذلك. والمحبة لا تفكر حتى بالرغبة في حيازة ممتلكات الآخرين ولكن الاشتهاء يفعل ذلك.

«وإن كانت وصية أخرى» كان باستطاعة بولس أن يذكر وصية أخرى «أكرم أباك وأمك»، وجميعها تحمل نفس المعنى: أحبّ قريبك كنفسك، وعامله بالعاطفة والاعتبار واللطف التي تعامل بها نفسك.

١٣ : ١٠ والمحبة لا تطلب أن تؤذي الآخرين. بل بالحري تطلب بجدية سعادة الجميع وإكرامهم. لذلك يكون الإنسان الذي يتصرف بالمحبة متمّمًا بالحق لمتطلبات اللوح الثاني من الناموس.

١٣ : ١١ وبقية الأصحاح تُشجّع حياة التنبّه الروحي والطهارة الأخلاقية. فالوقت مُقصّر وزمن النعمة يقترب من نهايته والساعة المتأخرة تتطلب أن نهجر السبات والكسل إذ أن **خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا.** والمخلّص آتٍ ليأخذنا إلى بيت الآب.

١٣ : ١٢ الدّهر الحاضر يُشبه **ليل** خطية كاد ينتهي. **ونهار** المجد الأبديّ سيشرق على المؤمنين.

وهذا يعني أنه علينا أن نطرح عنّا كل ثياب العالم القذرة — أي كل شيء مصحوب بالفساد والشرّ. كما علينا أن نلبس **أسلحة النور** التي تعني غطاء الحماية في الحياة المقدسة. وقطع السلاح مفصّلة في أفسس ٦ : ١٤-١٨، وهي تصف عناصر الخُلُق المسيحي الحقيقي.

١٣ : ١٣ لاحظ أن التشديد هو على السلوك المسيحي العملي. وبما أننا أولاد النهار فعلينا أن نسلك كأولاد نور. وماذا للمؤمن في حفلات الخلاعة والسكر والعهر الجنسي والفساد، والخصام والحسد أيضًا؟ لا شيء البتة!

١٣ : ١٤ أفضل ممارسة نتبعها هي أولاً أن **نلبس الربّ يسوع المسيح.** وهذا يعني أنه علينا أن نتبنّى مجمل أسلوب حياته، ونعيش كما عاش هو، ونقبله دليلاً لنا ومثالاً.

ثانيًا، **ولا نصنع تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات.** والجسد هنا هو الطبيعة القديمة الفاسدة والتي تصرخ بلا انقطاع طالبة أن تتعزز بالراحة والرفاهية والممارسات الجنسية المحرّمة والبطر الفارغ والملذات العالمية والإسراف والمادية وما إلى ذلك. ونحن **نصنع تدبيرًا للجسد** عندما

نشتري أشياء تلازمها التجربة، أو عندما نسهل على أنفسنا أن نخطئ، وعندما نعطي الأولوية للجسديات بدل الروحيات. ولا ينبغي لنا أن نتساهل مع الجسد، ولو تساهُلاً قليلاً. بل بالحري علينا أن "لا نعطي أي فرصة للجسد كي ينغمس بالملذات" (ترجمة فيلبس).

هذه هي الفقرة التي استخدمها الله لإرجاع أوغسطينوس الذكي، الذي كان شهوانيًا، إلى المسيح وحياة الطهارة. وعندما وصل إلى العدد ١٤ سلّم حياته للربّ، وعُرف بعد ذلك في التاريخ باسم "القديس" أوغسطينوس.

و. في العلاقة بالمؤمنين الآخرين (١٤: ١ — ١٥: ١٣)

١٤: ١ في رومية ١٤: ١ — ١٥: ١٣ تُعالَج مبادئ مهمة لإرشاد شعب الله في معاملاتهم بأمور ثانوية. وهذه الأمور غالبًا ما تولّد النزاعات بين المؤمنين، إلا أن تلك النزاعات ليست ضرورية كما سنرى.

والمؤمن **الضعيف** هو الذي يسمح لوسواس لا أساس له بأن يهيمن عليه في أمور ثانوية. وفي هذه القرينة يكون عادة ذلك المؤمن يهوديًّا ما يزال مشوّشًا بخصوص أكل طعام تحرّمه الشريعة اليهوديّة أو العمل يوم السبت.

والمبدأ الأول هو: أن المؤمن الضعيف ينبغي أن يُقبل في الشركة المحلية، ولكن ليس بفكرة المنازعة معه بخصوص وسواسه الشديد. فيمكن للمؤمنين أن تكون لهم شركة بعضهم مع بعض دون أن يكونوا متفقين كليًّا بخصوص الأمور غير الأساسية.

١٤: ٢ والمؤمن السالك في كمال التمتع بالحرية المسيحية له إيمان مؤسّس على تعاليم العهد الجديد بأن كل الأطعمة طاهرة وقد تقدّست بكلمة الله والصلاة (١تي٤: ٤، ٥). ولكنّ المؤمن ذا الضمير الضعيف قد يكون عنده بعض الارتياب بخصوص أكل لحم الخنزير أو اللحوم الأخرى لأنّه قد يكون من أكَلَة البقول.

١٤: ٣ والمبدأ الثاني هو أنه ينبغي أن يكون هناك صبر، فالمؤمن البالغ لا ينبغي له أن **يحتقر** أخاه الضعيف، كما أن الأخ الضعيف ينبغي أن لا **يدين** كخاطئ إذا كان يتمتع بأكلة من لحم الخنزير أو من الجمبري. إن **الله** قد **قبله** في عائلته فردًا يتمتع بمقامه الثابت.

١٤: ٤ والمبدأ الثالث هو أن كل مؤمن هو **عبد** للربّ، وليس لنا الحق أن ندينه وكأننا الأسياد. إذ أن الإنسان يقف أمام **سيّده** للاستحسان أو عدمه. وقد ينظر أحدهم إلى آخرين بنظرة احتقار باردة، متيقنًا أنه سيحطّم إيمانه من أجل نظرته إلى تلك الأمور. إلا أن موقفًا كهذا هو موقف خاطئ. والله سيعضد من هم في كلتا جهتي المسألة. وهو قادر على القيام بعمل كهذا.

١٤: ٥ بعض اليهود المؤمنين بالمسيح نظروا إلى السبت وكأنه ما يزال يوم الراحة الواجبة. وقد أنّبهم ضميرهم عند القيام بعمل شيء يوم السبت. فبهذا المعنى هم اعتبروا يومًا دون يوم.

وبعض المؤمنين لم يشاركوا بذلك الوسواس اليهودي إذ نظروا إلى كل يوم النظرة نفسها، ولم ينظروا إلى ستة أيام كأنّها أيام دنيوية ويوم واحد كأنه يوم مقدّس. بالنسبة لهم كانت كل الأيام مقدسة.

ولكن ما هو شأن يوم الرب، اليوم الأول من الأسبوع؟ فهل له مكان خاص في حياة المسيحيين؟ نرى

في العهد الجديد أنه كان يوم قيامة الرب (لو٢٤: ١-٩). وفي يومَي الرب التاليين تقابل الرب مع تلاميذه (يو٢٠: ١٩، ٢٦). وقد أُعطي الروح القدس في يوم الخمسين، وذلك اليوم وقع في أول الأسبوع. ويوم الخمسين حدث بعد سبعة آحاد من عيد الحصاد (لا٢٣: ١٥، ١٦، أع٢: ١) والذي يرمز إلى قيامة المسيح (١كو١٥: ٢٠، ٢٣). وقد أوصى بولس مؤمني كورنثوس أن يجمعوا العطاء في كل أول أسبوع. وهكذا نجد أن يوم الرب يسمو في العهد الجديد بطريقة خاصة. ولكن بدلاً من أن يكون يوم واجب كالسبت، هو يوم امتياز. وكما نتحرّر في ذلك اليوم من وظيفتنا العادية نستطيع أن نخصّصه بطريقة خاصة للعبادة وخدمة الرب.

ولا يوجد مكان في العهد الجديد فيه يؤمَر المسيحيون أن يحفظوا يوم السبت، ولكننا في الوقت نفسه نميّز قاعدة "يوم من سبعة"؛ أي يوم راحة بعد ستة أيام عمل.

وبغضّ النظر عن نوع النظرة التي يتمسك بها الإنسان تبقى القاعدة كما هي: **فليتيقن كلُّ واحد في عقله**. وينبغي أن يكون الآن واضحًا أن مثل تلك القاعدة تنطبق على أمور محايدة أدبيًّا. ولكن في ما يختصّ بالأمور الأساسية وعقائد الإيمان المسيحي لا يوجد مكان للأفكار الفردية. ولكن في هذا النطاق، حيث الأمور ليست بحد ذاتها صوابًا أو غلطًا، يوجد مجال لنظرات مختلفة، ولا ينبغي أن تصبح تلك النظرات امتحانات للشركة الأخوية.

١٤: ٦ والشخص **الذي يهتمّ باليوم** في هذا العدد هو اليهودي المؤمن الذي ما يزال ضميره يؤنّبه إن قام بأي عمل في يوم السبت، مع أنه لا ينظر إلى حفظ السبت كوسيلة للحصول على الخلاص أو للحفاظ عليه، ولكنه أمر يعمل به لأنه يفتكر أنه بذلك يسرّ الرب.

وبطريقة مماثلة فالإنسان الذي لا يعتبر اليوم، يفعل ذلك لأنه يعزم أن يكرم المسيح الجوهر وليس يراعي ظل الإيمان فقط (كو٢: ١٦، ١٧).

والشخص الذي يشعر بحرية عندما يأكل الطعام الذي لم يُحضَّر بحسب الشريعة العبرية يحني رأسه **ويشكر الله** من أجله، وهكذا المؤمن ذو الضمير الضعيف الذي لا يأكل إلا الطعام المحضَّر بحسب الشريعة العبرية (الكوشير *kosher*). فكلاهما يطلبان بركة الله على الطعام.

ففي كلتا الحالتين يكون الله قد أُكرِم وشُكر، ولذلك كيف يمكن أن يحوِّل شخص تلك الفرصة إلى موضوع مماحكة ونزاع؟

١٤: ٧ إنّ ربوبية المسيح تدخل إلى كل جهة من حياة المؤمن، إذ أننا لا نعيش لأنفسنا بل للرب، ولا نموت لأنفسنا بل للرب. والحق يُقال إن كل ما نعمل ونقول يؤثّر بالآخرين، ولكن ليس هذا هو الفكر هنا، إنما بولس يشدِّد على أنه ينبغي أن يكون الربّ هو هدف حياة شعبه وموضوعها.

١٤: ٨ وكل ما نفعله في هذه الحياة إنما هو خاضع لتدقيق المسيح واستحسانه. ونحن نمتحن الأشياء بكيفية ظهورها في حضرته. وحتى في الموت نأمل أن نمجد الربّ في ذهابنا لنكون معه. ففي الحياة وفي الموت نحن ملك له.

١٤: ٩ وأحد الأسباب التي لأجلها **مات المسيح وقام وعاش أيضًا** هو كي يكون ربًّا لنا ونكون نحن رعيته المطيعة، والتي بسرور تكرِّس له قلوبًا طائعة شاكرة. وربوبيته تستمر حتى في الموت حين تُلقى أجسادنا في القبر أما أرواحنا ونفوسنا فتكون في حضرته.

١٤ : ١٠ ولأن هذا حق، يصبح من الباطل ليهودي مؤمن أن يدين أخًا له لا يحفظ الأعياد اليهودية ولا يأكل الطعام المحضّر بحسب الشريعة العبرية. وبطريقة مماثلة، من الخطأ للأخ القوي أن يظهر أي احتقار للأخ الضعيف. والواقع أن كل واحد منا سيقف أمام كرسي المسيح للمجازاة، وهناك سيكون التقويم الوحيد ذو القيمة الحقيقية.

هذه المجازاة تتناول خدمة المؤمن وليس خطاياه (١كو٣: ١١-١٥)، فهي وقت للمراجعة والمكافأة، كما لا ينبغي أن تخلطها وندمجها بدينونة الأمم (مت٢٥: ٣١-٤٦) أو بدينونة العرش العظيم الأبيض (رؤ٢٠: ١١-١٥). والأخيرة هي الدينونة النهائية لجميع الأموات والأشرار.

١٤ : ١١ ويقين ظهورنا أمام كرسي المسيح قد سُند باقتباس من إشعياء ٤٥ : ٢٣ حيث يثبت يهوه نفسه بشدة أن كل ركبة ستجثو أمامه معترفة بسلطانه السامي.

١٤ : ١٢ إذًا من الواضح أننا سنعطي لله حسابًا عن أنفسنا وليس عن إخوتنا. إننا ندين بعضنا بعضًا بكثرة وبغير السلطة الشرعية أو المعرفة.

١٤ : ١٣ وبدلاً من أن نجلس لندين إخوتنا المؤمنين في أمور لا جوهرية، علينا أن نصمّم ألا نقوم بأي عمل يعثر أخًا في تقدّمه الروحي. وليس أي من تلك الأمور اللاجوهرية مهمًّا كفاية لنُعثر أخانا أو نصدمه بسببه.

١٤ : ١٤ عرف بولس، كما عرفنا نحن، أنه لا يوجد بعد أي طعام نجس طقسيًّا كما كان للذين عاشوا تحت الناموس. فالطعام الذي نأكله قد تقدّس بكلمة الله والصلاة (١تي٤: ٥). ويتقدس الطعام بالكلمة بمعنى أن الكتاب المقدس يفرزه بوضوح كطعام صالح. ويتقدس الطعام بالصلاة عندما نطلب من الله أن يباركه لتقوية أجسادنا لخدمته. ولكن إن افتكر أخ ضعيف أنه من الخطإ أن يأكل لحم الخنزير مثلاً فعندئذ يصبح أكله خطأ، وإن هو أكل منه يكون قد انتهك حرمة ضميره الذي أعطاه إيّاه الله.

وعندما يقول بولس هنا إنْ «ليس شيء نجسًا بذاته»، علينا أن ندرك أنه يتكلم فقط عن تلك الأمور اللاجوهرية. وفي الحياة أشياء كثيرة قذرة كالصور الخلاعية والأدب الإباحيّ والنكت البذيئة والأفلام القذرة وكل أشكال الفجور. إذًا، علينا أن نفهم تصريح بولس في نور قرينة كلامه: فالمؤمنون لا يتأثرون بالنجاسة الطقسية لأكلهم طعامًا وَسَمَهُ ناموس موسى بالنجاسة.

١٤ : ١٥ عندما أجلس للأكل مع اخ ضعيف، فهل أصرّ على حقي الشرعي في أكل لحم السراطين (الكابوريا)، مع علمي أن أخي يعتقد أن أكل ذلك اللحم هو خطأ؟ وإن أكلتُ أنا فلا أكون قد تصرفت بالمحبة لأن المحبة تفتكر بالآخرين وليس بالذات. والمحبة تتغاضى عن حقها الشرعي لكي تعزّز مصلحة أخٍ آخر. فلا يوجد صحن من الطعام له أهمية كالأهمية الروحيّة لشخص مات المسيح لأجله. لذلك إن استعرضتُ حقوقي في هذه الأمور أكون قد سبّبتُ أضرارًا في حياة ذلك الأخ يتعذر إصلاحها. وهذا أمر لا يستحق ما نوليه من أهمية إن تذكرت أن هذه النفس قد افتُديَت بثمنٍ باهظ؛ دم الحمل الثمين.

١٤ : ١٦ فالمبدأ هنا هو أنه لا ينبغي لنا أن نسمح لهذه الأمور الثانوية، والتي هي مسموحة بحد ذاتها، أن تصبح فُرصًا للآخرين كي يدينونا لأجل "عدم تدقيقنا" أو "عدم محبتنا"، الأمر الذي يُظهر وكأننا نضحي بصيتنا الحسن لأجل صحن حساء.

١٤: ١٧ وما هو مهم في ملكوت الله ليست القوانين الطعامية بل الحقائق الروحية. وملكوت الله هو المكان الذي فيه يُعترف بالله كالسيد المطلق والحاكم الأسمى. وفي مغزاه الأوسع، يشمل ملكوت الله أيضًا كل الذي يعترفون بأنّهم موالون لله. ولكن في الواقع الداخلي، فهو يشمل الذين قد وُلدوا الولادة الثانية. وهذا هو الاستعمال هنا.

ولم يقصد لرعايا الملكوت أن يكونوا مولعين بالطعام وخبراء به، ولكن ينبغي أن تتّصف حياتهم بالبرّ العملي وبنشر السلام والتناغم وتثبيت فرح الروح القدس في الفكر.

١٤: ١٨ ليس المهم ما يأكله الإنسان أو ما لا يأكله. إذ إن الحياة المقدّسة هي التي تُكسب إكرام الله واستحسان الإنسان. وأولئك الذين يشددون على البرّ والسلام والفرح يخدمون المسيح بطاعتهم لتعاليمه.

١٤: ١٩ وهكذا يبرز مبدأ آخر، فبدلاً من أن نتنازع في أمور غير مهمة فلنعكف على ما يأتي بالسلام والتناغم في الشركة المسيحية. وبدلاً من أن نُعثر الآخرين بإصرارنا على حقوقنا، علينا أن نجاهد كي نبني الآخرين على الإيمان الأقدس.

١٤: ٢٠ إنّ الله يعمل في حياة كل واحد من أولاده، ومن المخيف جدًّا أن نفكّر بأن نعيق ذلك العمل في حياة الأخ الضعيف من أجل أمور ثانوية كالطعام والشراب والأيام. فبالنسبة إلى أولاد الله، كلّ الأطعمة طاهرة، ولكن يكون من الخطإ له أن يأكل طعامًا ما إن كان بعمله ذاك يصدم أخًا أو يعثره في مسيره المسيحي.

١٤: ٢١ أفضلُ ألف مرة أن نمسك أنفسنا عن اللحم والخمر أو أي شيء آخر من أن نُعثر أخًا أو نسبب انحدارًا في حياته الروحية. فالتخلي عن حقوقك الشرعية هو ثمن بسيط تدفعه مقابل الاهتمام بشخص ضعيف.

١٤: ٢٢ وقد تكون عندي الحرية كي أتناول كل أنواع الأطعمة عالمًا أن الله قد أعطاها لنتناولها بالشكر. ولكن لا ينبغي لي أن أسيء استخدام تلك الحرية أمام الضعفاء. ومن الأفضل أن نمارس هذه الحرية عندما نكون وحدنا فلا نعثر أحدًا.

ومن الصالح أن نسلك بالتمتع الكامل من الحرية المسيحية دون أن نُغلّل بقيود الوساوس التي لا مبرّر لها. لأنه من الأفضل أن نتخلّى عن حقوقنا الشرعية من أن ندين أنفسنا لأننا أعثرنا الآخرين. فالإنسان الذي يتجنب إعثار الآخرين هو إنسان سعيد.

١٤: ٢٣ ومن جهة الأخ الضعيف، يكون من الخطإ له أن يأكل أي شيء يشكّ ضميريًّا في طهارته. فأكله في تلك الحالة ليس عمل إيمانٍ، أي أن له ضميرًا موسوَسًا من ناحية الطعام. وانتهاك المرء لضميره هو خطية.

من الحق أن ضمير الإنسان ليس بدليل معصوم، لذلك ينبغي أن ندرّبه بكلمة الله. ويكتب ماريل أنجر *Merril Unger*: "يُرسي بولس القانون الذي يقضي بأن يتبع الإنسانُ ضميرَه، حتى لو كان ضعيفًا، وإلا تحطّمت الشخصية الأدبية".

١٥ : ١ الثلاثة عشر عددًا الأولى من الأصحاح ١٥ تتابع موضوع الأصحاح السابق، وتعالج الأمور اللاجوهرية. وقد ثار التوتر بين المؤمنين اليهود والأمميين، فيأتي بولس ويلتمس منهم كي يعيشوا في علاقة وئامٍ وسلام.

وأولئك الذين هم **أقوياء** (أي الذين يتمتعون بكامل الحرية بخصوص الأمور التي هي غير جوهرية أدبيًّا) عليهم أن **لا يرضوا أنفسهم** بإصرارٍ أنانيّ على حقوقهم، بل بالحري عليهم أن يعاملوا أخوتهم **الضعفاء** بلطف واعتبار مراعين ارتيابهم المفرط.

١٥ : ٢ وهنا المبدأ هو: **لا تعِش لترضي الذات**، ولكن عِش لترضي قريبك ولتصنع له **الخير** ولتبنيه. فهذه هي الطريقة المسيحية.

١٥ : ٣ وقد أعطانا **المسيح** مثلاً إذ عاش ليرضي الآب وليس نفسه. «**تعييرات معيريك وقعت عليّ**» (مز ٦٩ : ٩): هذا يعني أنه كان اهتمامه الأول أن يكرم الآب لدرجة أنه حينما أهان الناس الله حَسِب ذلك إهانة شخصية لنفسه.

١٥ : ٤ وهذا الاقتباس من المزامير يذكّرنا أن أسفار العهد القديم قد **كُتبت لتعليمنا**، مع أنه لم تُكتب مباشرة لنا، لكنها تحتوي على دروس ثمينة لنا. وبينما نواجه المشاكل والنزاعات والضيقات والصعوبات، يعلمنا الكتاب المقدس أن نثبت، كما يعطينا **التعزية**. وهكذا، بدلاً من الغرق تحت الأمواج يسندنا **الرجاء** الذي يؤكّد أن الربّ يساعدنا لاجتياز مِحَننا.

١٥ : ٥ وهذا الاعتبار يقود بولس إلى التعبير عن رغبته في أن **الله**، الذي يعطي الثبات والتعزية، سيقدّر الضعيف والقوي، والمؤمنين الأمميين واليهود، كي يعيشوا في تناغم **بحسب** تعالم **المسيح يسوع** ومثاله.

١٥ : ٦ والنتيجة تكون أن القديسين يتّحدون في عبادتهم **الله أبا ربنا يسوع المسيح**. فيا لها من صورة: مخلّصون يهود وأمميون يعبدون الربّ **بفمٍ واحد**!

وقد ذُكر **الفم** أربع مرات في رومية مُشكّلاً موجز سيرة النفس المخلّصة. ففي البداية كان الفم مملوءًا لعنة (٣ : ١٤). وبالتالي استدّ فمه وسيق مذنبًا أمام القاضي (٣ : ١٩). ثم يعترف بفمه بيسوع ربًّا (١٠ : ٩). ونهائيًّا ينطلق **فمه** بالحمد وعبادة الربّ (١٥ : ٦).

١٥ : ٧ ثم يبرز مبدأ آخر من كل هذا، إذ بالرغم من كل الاختلافات التي قد توجد بخصوص تلك الأمور الثانوية، علينا أن **نتقبّل بعضنا بعضًا كما قبلنا المسيح أيضًا**. وهذا هو أساس القبول الصحيح في الجماعة المحلية. فنحن لا نقبل الإخوة على أساس عضوية مذهبية، أو بلوغ روحي، أو مركز اجتماعي. بل علينا أن نقبل الذين قبلهم المسيح لكي يعمّ **مجد الله**.

١٥ : ٨ وفي الأعداد الستة التالية يُذكّر الرسول قارئيه أن خدمة **يسوع المسيح** تشمل اليهود والأمميين، والمعنى المتضمَّن هو أنّ قلوبنا ينبغي أن تكون كبيرة كفاية لتتّسع لجميع المؤمنين. وطبعًا جاء المسيح أصلاً ليخدم **الختان**؛ أي الشعب اليهودي، إذ أن الله قد وعد مردّدًا بأنه سيرسل المسيّا إلى الأمّة، ومجيء المسيح ثبت حق تلك **المواعيد**.

١٥: ٩ ولكن المسيح قد أتى بالبركات لأهل الأمم أيضًا. وقصد الله أن الأمم يسمعون البشارة وأن الذين يؤمنون يمجّدون الله لأجل مراحمه العظيمة. وهذا أمر لا ينبغي أن يأتي كمفاجأة للمؤمنين اليهود لأنه قد تُنبِّئ عنه في كتبهم المقدسة. ففي المزمور ١٨: ٤٩ مثلاً، يتوقّع داود اليوم الذي فيه يرنّم المسيح حمدًا لله في وسط جماعة من الأمميين المؤمنين.

١٥: ١٠ وفي التثنية ٣٢: ٤٣ قد صُوِّر الأمميون وهم يفرحون ببركات الخلاص مع **شعبه** القديم.

١٥: ١١ وفي المزمور ١١٧: ١ نسمع الأمّة تدعو الأمم ليحمدوا الربّ في مُلك المسيح الألفيّ.

١٥: ١٢ وأخيرًا يُضيف إشعياء شهادته ليشمل الأمميين في ملكوت المسيح (إش ١١: ١، ١٠). والنقطة المهمة هنا هي أن الأمميين سيشتركون بامتيازات المسيح وإنجيله.

والرب يسوع هو **أصل يسى**، بمعنى أنه خالق يسّى وليس طالعًا من أصل يسّى (ومع أن هذا أيضًا حق). وفي رؤيا ٢٢: ١٦ يتكلم يسوع عن نفسه أنه أصل داود وذريته. أما من ناحية ألوهيته، فهو خالق داود؛ وأما من جهة بشريّته فهو ذرية داود.

١٥: ١٣ وهكذا ينهي بولس هذا الجزء بدُعاء بركة سَمْح، طالبًا إلى **الله الذي يعطي الرجاء** الصالح بالنعمة أن **يملأ** القديسين **بكل سرور وسلام**. وربما كان يفكر خاصة بالأمميين المؤمنين هنا، ولكن الدُّعاء ملائم للجميع. ومن الحق أن الذين **يزدادون في الرجاء بقوّة الروح القدس** لا يجدون الوقت للنزاع من أجل أمور غير جوهريّة. ورجاؤنا المشترك هو قوّة موحّدة وقادرة في الحياة المسيحية.

ز. في خطط بولس (١٥: ١٤-٣٣)

١٥: ١٤ في بقية الأصحاح ١٥ يصرّح بولس بدوافعه للكتابة إلى مؤمني رومية، وبرغبته الشديدة في زيارتهم.

ومع أنه لم يكن بعد قد قابل مؤمني روما فقد كان واثقًا بأنهم سيتقبلون وعظه وحثّه، وكانت تلك الثقة مبنية على أساس ما كان قد سمع عن **صلاحهم**. وبالإضافة، كان متيقّنًا من علمهم بالعقائد المسيحية، الأمر الذي أهّلهم لكي يحثّوا الآخرين أو **ينذروهم**.

١٥: ١٥ ورغم ثقته بتقدمهم، ورغم واقع كونه غريبًا عنهم، لم يتردد بأن يُذكّرهم ببعض امتيازاتهم ومسؤولياتهم. وصراحته في الكتابة أتت من **النعمة المعطاة له من الله**؛ أي النعمة المعيّنة إيّاه رسولاً.

١٥: ١٦ قد عيّنه الله ليكون أشبه بالكاهن **الخادم ليسوع المسيح لأجل الأمم**. وهو نظر إلى عمل خدمة **إنجيل الله** كعمل كهنوتي فيه قدّم الأمميين المخلّصين كذبيحة مقبولة لدى الله، لأنهم كانوا قد أُفرِزوا بالروح القدس لله بواسطة الولادة الثانية، لذلك يقول كامبل مورجن *G. Campbell Morgan* متهلّلاً:

> يا له من نور مُشعّ يُلقيه هذا على كل المجهود التبشيري والراعوي. فكل نفس رُبحت بتبشير الإنجيل تكون قد وُضعت في مكان الأمان والبركة، وهي ذبيحة لله وهبة تؤتيه الشبع إذ هي الذبيحة التي يطلبها. وكل نفس تُعلَّم بانتباه وصبر في أمور المسيح وهكذا صارت مشابهة له، هي نفس يُسَرّ الآب بها. لذلك نحن نعمل، ليس لخلاص الناس فقط، بل أيضًا لإشباع قلب الله. وهذا هو الدافع الأعظم قوّة.

١٥ : ١٧ وإن كان بولس يفتخر، فهو لا يفتخر بشخصه هو بل بيسوع المسيح. كما أنه لم يفتخر بإنجازاته هو، بل بما سُرّ الله أن يفعل بواسطته. وخادم المسيح المتواضع لا يفتخر بما لا يليق، ولكنه واعٍ لواقع كون الله يستخدمه ليتمّم مقاصده. وأي تجربة للافتخار يبدّدها إدراكنا أن الإنسان هو لا شيء بذاته، وأنه لا يملك شيئًا إلا ما قد أُعطي، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا للمسيح إلاّ بقوّة الروح القدس.

١٥ : ١٨ ولا يجرؤ بولس أن يتكلم عمّا فعله المسيح من خلال خدمة الآخرين، ولكنه يحصر نفسه بالطريقة التي بها استخدمه الله لربح الأمميين للطاعة، وذلك بما قال وبما صنع؛ أي بواسطة الرسالة التي بشّر بها والعجائب التي صنعها.

١٥ : ١٩ وقد ثبّت الربّ رسالة الرسول بعجائب علّمت دروسًا روحية وأثارت الدهشة، وبظهورات مختلفة لقوّة الروح القدس. ونتج عن ذلك تبشيره الكامل بالإنجيل مبتدئًا من أورشليم وممتدًا بدائرة إلى إيلليركوم *Illyricum* (في شمال مقدونيا على البحر الادرياتيكي). «من أورشليم... إلى إلليركون» يصف المجال الجغرافي لخدمته وليس تسلسلها الزمنيّ.

١٥ : ٢٠ وفي تتبع هذا الطريقة، قد هدف بولس إلى أن يبشّر بالإنجيل في مناطق بِكرٍ وقد كان مستمعوه عامة من الأمميين الذين لم يكونوا قد سمعوا بالمسيح سابقًا. وبذلك لم يكن يبني على أساس وضعه شخص آخر. ومثال بولس في افتتاح مناطق جديدة لا يُلزِم بالضرورة خدامًا آخرين للقيام بذلك النشاط عينه. لأن بعضًا قد دُعوا إلى الانتقال ليخدموا في كنائس كانت قد أُسّست وتحتاج إلى من يُعلّمون فيها.

١٥ : ٢١ لقد كان العمل التأسيسي بين الأمميين هو تتميمًا لنبوّة إشعياء (٥٢: ١٥)، لكي يرى الأمميون، الذي لم يُبَشّروا سابقًا، الحقّ. ولكي يفهم ويتجاوب، بالإيمان الحقيقي، أولئك الذين لم يسمعوا البشارة سابقًا.

١٥ : ٢٢، ٢٣ فيتوق بولس ليحرث في حقول لم تُفلَح، كان في الماضي شغله الشاغل هو أن يذهب إلى رومية. ولكن الأساس كان قد وُضع الآن، كما هو موصوف في ١٥: ١٩، وآخرون يستطيعون أن يبنوا على ذلك الأساس، وهكذا صار باستطاعة بولس أن يحقّق أمله القديم بزيارة رومية.

١٥ : ٢٤ وكانت خطته أن يتوقف في رومية بطريقه إلى أسبانيا. ولن يكون بمقدوره أن يبقى هناك مدة طويلة كفاية ليتمتع بكل الشركة التي يرغب بها معهم. ولكن أمله بأن يتمتع بعشرتهم سيتحقق على الأقل جزئيًّا. كما أنه علم أنّهم سيقدّمون له كل المساعدة التي يحتاج إليها كي يواصل سفره إلى أسبانيا.

١٥ : ٢٥ وفي الوقت عينه كان ذاهبًا إلى أورشليم ليسلّم المبالغ التي كان قد جمعها من الأمميين لسدّ حاجات القديسين المحتاجين في اليهودية. وهذا هو الجمع الذي قرأنا عنه في كورنثوس الأولى ١٦: ١، كورنثوس الثانية ٨، ٩.

١٥ : ٢٦،٢٧ كان المؤمنون في مكدونية وأخائية قد تبرّعوا بسرور بمبالغ لتخفيف المحنة المالية التي كان المؤمنون الفقراء يمرّون بها. وكان ذلك الجمع طوعيًّا من ناحية المتبرعين، بكل ما في الكلمة من

معنى، كما أنه كان من المناسب لهم أن يقدّموا تلك التقدمات. وهذا كانت نتيجة منطقية، إذ أنهم انتفعوا روحيًّا بمجيء بشارة الإنجيل إليهم بواسطة المؤمنين اليهود. وهكذا لم يكن من الكثير أن يُتوقّع منهم أن يشاركوا إخوتهم العبرانيين بالأشياء المادية.

١٥ : ٢٨، ٢٩ وحالما يتمّم بولس هذه المهمة بتسليمه المبالغ كما وعد، سيقوم بزيارة رومية في طريقة إلى أسبانيا. وكان عنده كل الثقة أن زيارته إلى رومية ستكون مصحوبة بملء بركة الإنجيل التي يسكبها الربّ دائمًا عندما تُعلن كلمة الله بقوة الروح القدس.

١٥ : ٣٠ وينهي الرسول هذا القسم بطلب حارّ طالبًا صلواتهم. والأساس الذي يبني عليه طلبه هو وحدتهم في الرب يسوع المسيح ومحبتهم التي أتت من الروح القدس. وطلب منهم أن يجاهدوا في الصلاة لله من أجله. وكما قالها لنسكي *Linski*: "هذا ما يدعو إلى صلوات يضع فيها الإنسان كل قلبه ونفسه كما يفعل المتبارون الرياضيون في ساحة الألعاب".

١٥ : ٣١ ويُعطي هنا أربع طلبات محدّدة للصلاة. أولاً، يطلب أن يصلّوا كي يُنقَذ من المتعصّبين في اليهودية الذي عارضوا الإنجيل بكلّ قواهم كما فعل هو مرة.

ثانيًا، أراد من أهل رومية أن يصلّوا كي يقبل القدّيسون اليهود أصلاً مبالغ الإعانة بنعمة صالحة، إذ كان ما يزال هناك تمييز ديني شديد ضد المؤمنين الأمميين، وضد الذين بشّروا الأمميين. وأيضًا توجد دائمًا الإمكانية بأنّ أناسًا يتضايقون من فكرة قبول "إحسان". وغالبًا ما يحتاج الإنسان المستلم الإحسان إلى نعمة أكثر من الإنسان الذي يعطي الإحسان.

١٥ : ٣٢ وثالث طلب هو أن تكون إرادة الله في جَعْل الرحلة إلى رومية رحلة مفرحة. والكلمات «بإرادة الله» تعبّر عن رغبة بولس بأن يقوده الربّ في كل الأمور.

وأخيرًا، يطلب أن تكون زيارته للاستراحة والاستجمام في وسط خدمة متعبة وصاخبة.

١٥ : ٣٣ وينهي بولس الأصحاح بطلبة أن يكون الله مصدرُ السلام نصيبَهم. ففي الأصحاح ١٥ دُعي الربّ إله الصبر والتعزية (ع٥)، وإله الرجاء (ع١٣)، والآن إله السلام. فهو مصدر كل ما هو صالح وكل ما يحتاجه الخاطئ المسكين الآن وفي الأبدية. آمين.

ح. في تقدير خدمة الآخرين (أص١٦)

من أول نظرة، قد يبدو الأصحاح الأخير من رومية كلائحة أسماء غير مهمّة، وليس لها أي معنى في يومنا الحاضر. ولكن بعد أن نلقي نظرة فاحصة يُنتج هذا الأصحاح المُهمَل دروسًا مهمة للمؤمنين.

١٦ : ١ تُعرّف فيبي بأنّها خادمة كنيسة كنخريا. ولا ينبغي أن نفكر بها وكأنها تنتمي إلى سلك دينيّ خاص، إذ يمكن لأية أُخت تخدم في علاقة بكنيسة محليّة أن تُعتبر «خادمة».

١٦ : ٢ كلّما ارتحل المؤمنون الأوائل من كنيسة إلى أخرى، حملوا معهم رسائل توصية أو تعريف. وهذا الأمر كان مُجاملة حقيقيّة للكنائس التي يقومون بزيارتها وعونًا لهم كضيوف.

وهكذا عرّف الرسول بفيبي طالبًا أن تُستقبَل

بترحاب كمؤمنة حقيقية وبالطريقة التي تليق باستقبال المؤمنين. كما أنه يطلب أن يساعدوها بكل طريقة ممكنة. ومديحها أنها قد أعطت نفسها لخدمة مساعدة الآخرين الذين منهم بولس نفسه. وربما كانت هي الأخت التي لا تتعب والتي كانت تظهر دائمًا حُسن ضيافتها للوعّاظ والمؤمنين الآخرين في كنخريا.

١٦ : ٣ ثم يرسل بولس تحيّاته إلى **بريسكلا وأكيلا** اللذين كانا يعملان معه ببسالة في خدمة المسيح يسوع. فكم نشكر الله من أجل الأزواج المسيحيين الذين يسكبون أنفسهم في عمل تضحية من أجل قضية المسيح.

١٦ : ٤ وفي أحد الظروف خاطر بريسكلا وأكيلا بالفعل بحياتهما من أجل بولس — لا بدّ أنه كان عملاً بطوليًّا لم تُعطَ عنه أي تفاصيل. ولكن الرسول أقرّ بالجميل، وهكذا فعلت **كنائس الأمم** من المؤمنين الذين خدمهم.

١٦ : ٥ سلموا على الكنيسة التي في بيتهما: وهذا يعني أنه كان يوجد بالفعل جماعة من المؤمنين يجتمعون في بيتهما. فأبنية الكنائس لم تكن معروفة حتى أواخر القرن الثاني. وقبلاً، عندما كان بريسكلا وأكيلا في كورنثوس، كان عندهما كنيسة في بيتهما أيضًا.

أبينتوس يعني "من يستحق الحمد"، ولا شك أن هذا المؤمن الأول في ولاية آخائية كان يحمل اسمه بحق. لذلك تكلم عنه بولس داعيًا إيّاه «**حبيبي**».

١٦ : ٦ وبروز أسماء النساء في هذا الأصحاح يشدّد على مجال نفعهن الشامل (ع١، ٣، ٦، ١٢ ...إلخ). **فمريم** اشتغلت شغلاً شاقًّا من أجل القديسين.

١٦ : ٧ ولا نعلم متى كان **أندرونكوس ويونياس مأسورين** مع بولس، ولسنا متيقنين هل كلمة «**نسيبيّ**» تعني أنهما كانا قريبيه، أم أنهما كانا فقط يهوديّين من بني جنسه. كما أننا لا نعلم هل التعبير «**مشهوران بين الرسل**» معناه أنهما كانا محترمَين عند الرسل، أم أنهما هما كانا رسولَين مشهورين بمعنى معيّن. ولكن كل ما نعرفه باليقين هو أنهما كانا قد آمنا **قبل** بولس.

١٦ : ٨ وبعد ذلك نقابل **أمبلياس** المحبوب من الرسول. وما كنّا سمعنا عن هؤلاء الناس لو لم يكن لهم ارتباط بالجلجثة. وهذه هي العظمة الوحيدة لأيٍّ منّا.

١٦ : ٩ أوربانوس قد اكتسب اللقب «**العامل معنا**»، **وإستاخيس** دُعي «**حبيبي**». ورومية ١٦ هو كمصغّر لكرسي المسيح حيث يكون مدح لكلّ عمل أمانة للمسيح.

١٦ : ١٠ اجتاز **أبلّس** خلال تجارب عظيمة بنجاح عظيم واكتسب ختم استحسان المسيح (**المزكّى**).

ويسلّم بولس على **بيت أرستوبولوس**، وربما هذا يعني العبيد المؤمنين الذين امتلكهم هذا الرجل وهو حفيدُ هيرودسَ الكبير.

١٦ : ١١ وربما كان **هيروديون** أيضًا عبدًا **ونسيبًا** لبولس، وربما كان هو العبد اليهودي الوحيد في بيت ارستوبولوس. وأيضًا كان بعض العبيد الذين امتلكهم **نركيسوس** مؤمنين، وقد شملهم بولس في تحياته. لم يستثنِ حتى أولئك الذين كانوا في أخفض المستويات الاجتماعية من بركات المسيحية الخالصة. وشملُ أسماء العبيد في هذه اللائحة هو تذكرة طيبة بأن التمييز الاجتماعي قد زال في المسيح لأننا جميعنا واحد فيه.

١٦ : ١٢ ويحمل الاسمان **تريفينا وتريفوسا** المعنى "أنيقة" و"مُترَفة"، ولكنهما كانتا عاملتين نشيطتين في خدمة الربّ. **وبرسيس المحبوبة** كانت إحدى أولئك النساء اللواتي كنّ من العاملات اللواتي تحتاج إليهنّ الكنائس المحلية لدرجة عظيمة، ولكن قلّما قُدِّرْنَ إلاّ بعد ذهابهنّ.

١٦ : ١٣ روفس قد يكون ابن سمعان الذي حمل صليب يسوع (مت٢٧: ٣٢)، وكان **مختارًا** بالربّ ليس فقط لأجل خلاصه ولكن لأجل شخصيته أيضًا، وبهذا كان قدّيسًا مختارًا. وأم روفس قد أظهرت أمومة لطيفة لبولس وهكذا اكتسبت النّعت الرقيق «أمي».

١٦ : ١٤، ١٥ ربما كان **اسينكريتس وفليغون وهرماس وبتروباس وهرميس** عاملين في كنيسة تجتمع في أحد البيوت كبيت أكيلا وبريسكلا (١٦: ٣، ٥). وربما كان **فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس** نواة كنيسة في بيت آخر.

١٦ : ١٦ القبلة المقدّسة كانت العادة المتداولة في التحية الحُبيّة بين القديسين آنذاك، كما أنها ما تزال تُمارس اليوم في بعض البلدان. وقد لُقِّبت بالقبلة المقدسة لكي تُحفَظ من أي قلّة احتشام. وكثير من المجتمعات قد استبدلت المصافحة بالقُبلة عامة.

والكنائس في أخائية، حيث كان بولس يكتب الرسالة، قد شاركته في إرسال التحيات.

١٦ : ١٧ لم يستطع الرسول أن ينهي الرسالة دون أن يحذّر المؤمنين من المعلّمين الأشرار الذين قد يشقّون طريقهم إلى الكنيسة. لذلك على المؤمنين أن يبقوا متيقظين من الذين يؤلّفون أحزابًا حول أنفسهم ويضعون فخاخًا لهدم إيمان غير المحترزين. وينبغي لهم أن يلاحظوا الذين يُعلِّمون تعليمًا **يخالف التعليم الصحيح** الذي تَعَلّمه المؤمنون، كما عليهم أن يتجنبوهم كليًّا.

١٦ : ١٨ هؤلاء المعلّمون الكذبة لا يطيعون **ربنا يسوع المسيح**، إذ أنهم يطيعون شهواتهم وهم ناجحون نجاحًا باهرًا في خداع الذين لا يشكّون بكلامهم المداهن والمتملق.

١٦ : ١٩ وقد سَرَّ بولسَ أنّ طاعة قُرّائه للربّ كانت مشهورة. ومع ذلك أراد لهم أن يكون باستطاعتهم أن يميّزوا التعليم الصالح ويطيعوه وألاّ يتجاوبوا مع الشرّ.

١٦ : ٢٠ وفي هذه الطريقة يكون قد أعطاهم الإله، الذي هو مصدر **السلام**، نُصرةً سريعة على **الشيطان**.

وبركة الرسول المميّزة ترجو كل القدرة التي يحتاج إليها القديسون خلال رحلتهم إلى المجد.

١٦ : ٢١ نحن نعرف **تيموثاوس** الذي كان ابن بولس في الإيمان وشريك خدمته الأمين. ولكننا لا نعرف شيئًا عن **لوكيوس**، إلا أنه كان كبولس من أبوين يهوديين. وربما كنا قد قابلنا **ياسون** في أعمال الرسل ١٧: ٥ **وسرباترس** (أع٢٠: ٤) وهما أيضًا يهوديّان.

١٦ : ٢٢ وترتيوس كان الشخص الذي أملى بولس عليه هذه الرسالة، فرفع الكلفة وأضاف تحيّاته للقراء.

١٦ : ٢٣ يوجد على الأقل أربعة رجال باسم **غايُس** في العهد الجديد، وبالأرجح هذا هو نفس الشخص الذي ذُكر في كورنثوس الأولى ١: ١٤، وكان معروفًا بضيافته، ليس فقط لبولس بل أيضًا لأي مؤمن احتاج إلى تلك الضيافة. **واراستس** كان **خازن المدينة**، أي كورنثوس،

ولكن هل كان هو نفسه الشخص المذكور في أعمال الرسل ١٩: ٢٢ وتيموثاوس الثانية ٤: ٢٠؟ إنّنا لا نستطيع أن نكون متيقنين. **وكوارتس** قد ذُكر ببساطة بصفته الأخ، ولكن يا له من لقب شرف وكرامة!

١٦ : ٢٤ **«نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم»** كانت بركة بولس النموذجية، وهي بعينها الكلمات التي في العدد ٢٠ إنما بإضافة الكلمة **«جميع»**. والأمر الواقع أن في كل المخطوطات للرسالة إلى رومية كان هذا هو العدد الأخير في الرسالة، وتسبيحة الحمد المذكورة في الأعداد ٢٥-٢٧ تأتي بعد الأصحاح ١٤. والمخطوطة الإسكندرية تُسقط العدد ٢٠. وكلتا البركة وتسبيحة الحمد هما طريقتان جميلتان لإنهاء هذه الرسالة المستفيضة. وكلتاهما تنتهيان بآمين.

١٦ : ٢٥ فالرسالة تنتهي بتسبحة حمد، موجّهة إلى **الإله القادر أن يثبت شعبه بحسب الإنجيل** الذي بشّر به بولس والذي دعاه **«إنجيلي»**. هنالك طبعًا طريقة واحدة للخلاص وقد ائتُمن بولس على الإنجيل "كرسول للأمم" في حين أن بطرس مثلاً بشّر به لليهود. وهكذا جرى علنًا التبشيرُ بالرسالة المختصّة **بيسوع المسيح** والمتعلّقة **بحقٍّ عجيب كان مكتومًا** طوال أزمنة الدهور. والسرّ في العهد الجديد هو الحقّ الذي لم يُعرَف قطّ سابقًا، كما أنه الحقّ الذي لا تستطيع العقول أن تكتشفه أو تستقصيه، ولكنه الآن أصبح معروفًا إذ تمّ إعلانه.

١٦ : ٢٦ والسرّ الخاص الذي تكلّم بولس عنه هنا هو الحقيقة المتمثّلة في أن المؤمنين من اليهود والأمم على السواء قد جُعلوا ورثةً متشاركين، وأعضاء مشتركين في جسد المسيح وشركاء لوعده في المسيح خلال الإنجيل (انظر أفسس ٣: ٦).

والآن ظهر بالكتب النبويّة: ليس بكتابات أنبياء العهد القديم بل أنبياء العهد الجديد. فقد كانت تلك الأمور غير معروفة في كتب العهد القديم، ولكنّها ظهرت في كتب العهد الجديد النبويّة (انظر أفسس ٢: ٢٠؛ ٣: ٥).

وقد كانت رسالة الإنجيل هي الرسالة التي أمر الله أن تُذاع في **جميع الأمم** كي يطيع الناس الإيمان ويخلصوا.

١٦ : ٢٧ **الله وحده** هو مصدر الحكمة الصافية ومعلنها، له المجد إلى الأبد بيسوع المسيح شفيعنا الوحيد.

وهكذا انتهت رسالة بولس هذه العظيمة، وكم نحن مدينون للربّ من أجلها وكم نكون فقراء روحيًّا لولاها! آمين.